



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران 01– أحمد بن بلة -

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية

قسم التاريخ و علم الآثار

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم

دور البحرية الفينيقية في ربط العلاقات الحضارية الباكرة بين الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط وغربه

المشرف : د . محمد بن عبد المؤمن **تقديم الطالب : شريف قوعيش**

أعضاء لجنة المناقشة : 2015/06/07

أ.د. بوباية عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة وهران 01
د . محمد بن عبد المؤمن	أستاذ محاضر	مقررا	جامعة وهران 01
أ.دة. العقون أم الخير	أستاذة التعليم العالي	مناقشا	جامعة وهران 01
دة . مقرانطة بختة عابد	أستاذة محاضرة	مناقشا	جامعة معسكر

السّنة الدراسية: 2014-2015

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى الوالدين الصابرين المثابرين طلبا الرضى و خفضا لجناح الذل من الرحمة ، و إلى زوجتي الكريمة التي دوما أجدها إلى جانبي للمضي العمل نحو الأمام بكل صبر واحتساب

و إلى أخي و أختي...

و إلى كل حملة مشاعل الثقافة و الحضارة من أجل أن تسترد فيه كرامة الإنسان المستخلف في الأرض

و إلى كل محب لتاريخ الجزائر و لشهدائنا الأبرار

قائمة المختصرات

A .C : L’Antiquité classque

A.H.A : Annales d’histoire et d’Archéologie

B .H : Bibliothèque historique

C.I.S : Corpus Inscriptionum Semiticarum

Ency . Berb : Encyclopédie Berbére

H.A.A.N : Histoire ancienne de l’Afrique du Nord

H . N : Histoire Naturelle

H . R : Histoire Romaine

BIFAO : Bulletin de L’Institut français d’archéologie orientale

R . Afr : Revue Africaine

R .O.M.M : Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée

R . T . A : Revue Tunisienne d’Archéologie

Stu . Pheo : Studia phoenicia

مقدمة

لقد كان للفينيقيين أدوار حضارية في عدة مناطق في العالم، هذا نتيجة تحركاتهم البحرية والبرية، كما أقامو جسرا حضاريا بين حوضي البحرالأبيض المتوسط الشرقي والغربي مستفيدين في أواخرالألف الثانية قبل الميلاد من ظروف عسكرية وطبيعية منها سقوط البحرية الإيجية على يد الدوريين،وتطور تقنيات بناء السفن الملاحة البحرية وبذلك أضحت الأساطيل الفينيقية تصل بين ضفاف البحرالأبيض المتوسط، خاصة على سواحل شمال إفريقيا، وقد أشار المؤرخون القدامى عن الحضور الفينيقي في منطقة شمال إفريقيا والتي كان يطلق عليها اسم ليبيا.

وحسب الدراسات القديمة والحديثة يرجع أول اتصال فينيقي بهذه المنطقة إلى نهاية الألف الثانية قبل الميلاد، من تأسيسهملأقدم مستوطناتهم التجارية في اتجاهي البحر المتوسط الشرقي والغربي كمستوطنة مالطا وصقلية وقبرص في الشرق وليكسوس في الساحل المغربي الأطلسي، وأوتيكا في الساحل التونسي حاليا، بالإضافة الى مستوطنات أخرى منتشرة عبر سواحل البحرالأبيض المتوسط، كما نجد أهم مستوطنة أسسوها في شمال إفريقيا وهي قرطاجة، هذه المستوطنة التي أصبح لها شأن كبير خاصة بعد ضعف الذي ألتإليه المدن الفينيقية في الحوض الشرقي، وسمح لها أن تأخذ الريادة الإستراتيجية في البحر الأبيض المتوسط .

وعلى أساس التطور التاريخي للبحرية الفينيقية يعتبر البحرالأبيض المتوسط أكثر مدرسة وأقدمها للملاحة حيث تضافرت عدة ظروف جغرافية لتجعل منه بيئة صالحة، فنشأت حوله اتحادات المدن البحرية واخترقته الأساطيل التي أثرت على رواج التجارة وانتشار حركة الاستيطان البشري ، وكان الإنسان قديما مغامرا في البحرعلى غرار الفينيقيين الذين اجتمعت لديهم كل مميزات الملاحة البحرية و حتى النهرية ، وتحكمهم في شبكة الطرق البحرية في الحوض الشرقي و الغربي للمتوسط.

وبفضل هذه السيادة البحرية استطاع الفينيقيون أن يؤسسوا إمبراطورية واسعة الأرجاء امتدت من الشرق الأدنى القديم إلى سواحل المحيط الأطلسي .

وقد اتفق المؤرخون القدامى على أن الفينيقيون هم أهل الملاحة ومن أقدم الذين حذقوا علم الفلك واستعانوا بالظواهر الطبيعية وكانت ظروف بيئتهم الخاصة هي التي

جعلت منهم بحارة ماهرين، وكانت التجارة علة وجود الفينيقيين منذ القرن الحادي عشر حتى القرن الثامن قبل الميلاد ، نفس الكلام يقال حول الإغريق الذين دفعت بهم الظروف الاقتصادية و الطبيعية نحو الملاحة .

وبالرغم من وجود دراسات التي تناولت موضوع البحرية القديمة وتطورها عبر العصور غير أن الملاحظ على هذه الدراسات إنها لم تكن مفصلة في موضوع البحرية الفينيقية ودورها الحضاري في البحر الأبيض المتوسط وما حملته هذه الرحلات من تأثيراتة لايستهان بها بقدر الإنسانية القديمة في المجال الاقتصادي والاجتماعي والديني و لهذا ارتأيت أن اختار موضوع البحث و الدراسة تحت العنوان :

" **دور البحرية الفينيقية في ربط العلاقات الحضارية الباكرة بين الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط و غربه** " والذي سوف نحاول فيه الإلمام بجوانب عدة والخوض فيما هو غامض منه لمحاولة استجلاء خفاياه ، وتجلي في معرفة حقيقية الوجود الفينيقي في عالم البحر الأبيض المتوسط .

وترتكز الإشكالية المحورية للموضوع في السؤال التالي: ما هي مظاهر تأثر الفينيقيين بالبحر؟ وكيف استغلوا رحلاتهم البحرية في إظهار إنتاجهم الحضاري للشعوب شرقي وغربي البحر الأبيض المتوسط ؟ وما مدى تأثير هذا الإنتاج في ربط العلاقات الحضارية الباكرة بين ضفتي المتوسط ؟.

ولمعالجة موضوع هذه الدراسة اعتمدت على المنهج التاريخي الوصفي، خاصة في وصف مواقع المدن الفينيقية، وفي طريقة بناء السفن ومسار الطرق التجارية والرحلات البحرية، واعتمدت على المنهج التاريخي المقارن في المقارنة بين بعض أنواع السفن الفينيقية، كما اعتمدت على المنهج التحليلي في شرح وتحليل بعض العناصر كأسباب التوسع الفينيقي في البحر الأبيض المتوسط ، وأهم التأثيرات الحضارية على مجتمعات غربي البحر الأبيض المتوسط خاصة المغرب القديم .

وتسهيلا لدراسة الموضوع إرتأيت إستهلال موضوع بحثي بفصل تمهيدي يتناول خصائص عامة عن الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط أو ما يعرف بالساحل الفينيقي، ومن ضمنه بينت الامتداد الطبيعي في الساحل و الداخل وأهم مظاهر

الحضارة فيما قبل التاريخ خلال العصور الحجرية إقتصاديا ودينيا، وفيما يخص الفصل الأول تناولت فيه الهجرات السامية من شبه الجزيرة العربية إلى الشرق الأدنى القديم أو ما يسمى بالهلال الخصيب مع ذكر أسبابها و اتجاهاتها ، وكذلك ذكرت في هذا الفصل أصول الفينيقيين و أصل تسميتهم بهذا الاسم ومختلف مدنهم التاريخية ، أما الفصل الثاني تطرقت فيه تقنيات صنع البحرية الفينيقية ومراحل انجازاتها و مكوناتها الرئيسية .
أما الفصل الثالث الذي عنونته بالبحرية الفينيقية في البحر الأبيض المتوسط، فقد استعرضت فيه أسباب التوسع الفينيقي في البحر الأبيض المتوسط وأهم المواقع التي استوطنوها في حوضي البحر الأبيض المتوسط الشرقي والغربي، وأهم السلع التي تاجروا بها مع الشعوب المنطقة.

وفي الفصل الرابع والأخير المعنون بالتأثيرات الحضارية الفينيقية الباكرة في غربي البحر الأبيض المتوسط ويتضمن التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية والدينية واللغوية وما تركه الفينيقيون من بصمات حضارية قوية.

وفي الأخير ختمت الموضوع بخاتمة تناولت فيها النتائج المتوصل إليها من هذه الدراسة.

ولتجاوز العديد من المعضلات امتثلت إلى ما أمكن الحصول عليه من مادة علمية تراوحت ما بين ماهو مدون بين أسطر أمهات المصادر وتحليلات وتفسيرات الباحثين المحدثين وبين ما توصل إليه البحث الأثري من نتائج، ومن جملة المصادر
نجد النصوص الأدبية: كتاب الجغرافيا(Géographie)[1] للمؤرخ الإغريقي(سترابون –Strabon) خاصة في كتابه الثالث والسابع العشر، والكتاب التاريخ الطبيعي Histoire)Naturelle[2] لـ(بلين الكبير– Pline L'Acien) و(هيرودوت

[1] - Strabon ; Géographie ; Tradieu ; Amédée, Libraire de «1 », Magritte et « C », paris, 1967.

[2] - Pline l'Ancien ; Histoire Naturelle ; traduire par Ajasson le grand sagne, édition Panckoucke, paris, 1829

Hérodote–)(1) في كتابه التواريخ (Histoires) و غيرها من المصادر الأخرى التي إعتمدتهافي البحث.

وفيما يخص المصادر الأثرية و على رأسها النقوش إعتمدت على سجل النقوش السامية(2)في الجزء الأول والثاني الذي يتضمن مجموعة من النقوش المكتشفة ، وإستدفت منه في ذكر أهم المعبودات الفينيقية .

أما بالنسبة للدراسات الحديثة ، فيمكننا الإشارة إلى عمل الباحث محمد صغير غانم في كتابه التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط(3) ، وكذلك معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر(4)، كان لهذا المؤلف عظيم الفائدة لنا من حيث المادة العلمية بالإضافة إلى أعمال كل من الشاذلي بورينة، قرطاج البونية(5) ، جورج كونتينو، الحضارة الفينيقية ، وجان مازيل، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية(6) وغيرها من الكتب. بالإضافةإلى اعتمادي على مراجع باللغات الأجنبية من أهمها : أ.سان :تاريخ البحرية لكافة الشعوب(7)الذي أفادني في معرفة تاريخ البحرية الفينيقية ، وستيفان غزال في كتابه تاريخ شمال إفريقيا القديم(8)بأجزائه الثمانية و الذي كان لي سندا في المادة العلمية عن تاريخ الفينيقيين والقرطاجيين، وجون ميرات في كتابه البحرية القديمة في البحر الأبيض

---

(1)–Hérodote ; Histoires, Traditeur par Larcher, Charpentier, Libraire-éditeur, paris, 1856.

(2)–Saulcy, Mohel (J) ,Longpérier , Waddington (W.H) , Renan (E),Corpus Inscriptionum Semiticarum, Academia inscriptionum litterarum humaniorum ,Ereipublicae Typographeo ,T01,Parisis,1881

(3)– غانم محمد الصغير، التوسع الفينيقي في غربي البحر الابيض المتوسط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1979

(4)– ———————— ،معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر ،رسالة دكتوراه الدرجة(3) في التاريخ القديم والأثار ، معهد العلوم الإجتماعية، قسنطينة، 1982/1981

(5)– الشاذلي .ب. وطاهر .م ً، قرطاج البونية، مركز النشر الجامعي، تونس 1999

(6)– جان مازيل ، تاريخ الحضارة الكنعانية ، تر: ربا الخش ، دار الحوار ، سوريا ، 1998

(7)– Du Sain(A), Histoire de la marine de tous les peuples, I01. Libraire de Firmin didot frères, Paris 1863

(8)–Gsell (S), Histoire ancienne de l’Afrique du Nord, T8, Libraire hachette Paris.1927

المتوسط[1]، وميتلان، التجار الأوائل للبحرية[2].

كما اعتمدت أيضا على مجموعة من المقالات التي تناولت جوانب من الحضارة الفينيقية من أهمها:

الصفدي هشام : شواهد من حضارات عالم البحر المتوسط[3]، غطيس مصطفى : ساحل المغرب المتوسط خلال العصر القديم[4]، وغانم محمد صغير : نظرة في العلاقات الحضارية الفينيقية الليبية[5] و غيرها من المقالات باللغة العربية .

إضافة إلى ذلك إعتمدت على مقالات باللغة الأجنبيةأهمها : مقال " قرطاجة ومراقبة البحر " للباحث بياروبارتولوني[6]، ومقال لمحمد حسين فنطر تحت عنوان : الزيتون والتين في الفترة القرطاجية[7]

كما لا يفوتني أن أذكر وأني إعتمدت على رسائل جامعية أفادتني كثيرا في توجيهي من ناحية بعض العناصر في الموضوع وفي المادة العلمية واخص بالذكر رسالة الماجستير للباحثة آيت عمارة ويزة "دور السفينة في التجارة والتوسع الاستيطاني في البحر المتوسط

---

(1)- Meirat(J) : Marine antique en méditerranée résurrection du passé, fayard, Paris, 1964

(2)- Maitland (E), Les Premiers Marchandes Des Mers, Éd, Time Life International, Paris, S.D .

(3)- هشام الصفدي، شواهد من حضارات عالم البحر الأبيض المتوسط، مجلة الأصالة، العدد 52، مطبعة البحث، قسنطينة، الجزائر، 1977

(4)- غطيس مصطفى، ساحل المغرب المتوسط خلال العصر القديم، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية (العدد 15)، جامعة عبد الملك السعدي، تيطوان،2009

(5)- غانم محمد صغير، نظرة في العلاقات الحضارية الفينيقية الليبية القديمة من خلال المصادر المادية، مجلة سيرتا، العدد 10، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 1988

(6)- Piero (B), Carthage et contrôle des mers"les phéniciens en Algérie les vois du commerce entre la Méditerranée et l’Afrique noire",Ministre de culture, Algérie, 2011

(7)-Fantar (M .H) ; la vigne et le vin à l’époque carthaginoise, Reppal X, institut national du patrimoine, ministre de la culture, Tunisie, 1997

القديم"[1]، وأطروحة دكتوراه للباحث عبد المالك سلاطنية " المستوطنات الفينيقية البونية في غربي البحر الأبيض المتوسط"[2]

ولقد واجهتني صعوبات عديدة في انجاز الموضوع الدراسة يمكن إختصارها فيما يلي:

– قلة المصادر الأدبية والمراجع و الدراسات الحديثة التي تناولت موضوع النشاط البحري للفينيقيين خاصة في مجال صنع السفينة و أهم المراحل التي مرت بها، فغالبا ما وجدت عموميات في تاريخ البحرية عند الشعوب القديمة دون الخوض في الخصوصيات، فلهذا سعيت تغطية النقص في إختصاص البحرية الفينيقية .

– قلة المصادر الأثرية حول تاريخ البحرية الفينيقية، وهذا راجع لعامل الزمن فمن المعروف تاريخيا أن السفن القديمة كانت تصنع من الخشب وهذه قابلة للتحلل والاندثار ولا تستطيع المقاومة، إلا القليل منها بقي على شكل ركام تحت البحار والمحيطات.

– صعوبة فهم المصطلحات المتعلقة بأسماء السفن فهي اغلبها أسماء لاتينية أوإغريقية وحتى في مهامها فهناك السفينة التجارية وأخرى حربية.

– تشابه المعلومات في اغلب المراجع و الدراسات الحديثة حول موضوع الفينيقيين وبحريتهم، ولذلك إرتأيت أن أوضح بعض النقاط في الموضوع مثلاتاريخ تواجدهم في البحر الأبيض المتوسط وأصولهم التاريخية ودور فقهاء اللغة في تحديد تسميتهم وخاصة في مجال تأثيراتهم الحضارية .

وبعد أن إستقامت هذه الوريقات بحثا مقروءا، لا يسعني غير تقديم جزيل الشكر والامتنان بالفضل لأستاذي الكريم المشرف الدكتور محمد بن عبد المؤمن لحسن صنيعه معي ورحابة صدره وما أمده لي من النصائح وإرشادات علمية، فله مني خالص الاحترام والتقدير، وأستاذي الدكتور بوعيزم عبد القادر الذي كان مشرفا علي في بادئ الأمر،

---

[1]– آيت عمارة ويزة، دور السفينة في التجارة والتوسع الإستيطاني في البحر الأبيض المتوسط القديم، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1955،

[2]– سلاطنية عبد المالك ، المستوطنات الفينيقية –البونية في الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط ،أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ، قسم التاريخ و الاثار ، جامعة منتوري ، قسنطينة،

مقدمة

ونظرا لظروفه الصحية تغيرت عملية الإشراف لصالح الدكتور محمد بن عبد المؤمن، فأتمنى له الشفاء العاجل ويمنه الله بوافر الصحة والعافية وطول العمر إن شاء الله، كما لاننسى الأستاذ الدكتور رحماني بلقاسم الذي أقدم له كافة الشكر و العرفان و جزاه الله خيرا على ما أمده لي من مساعدة، وكان لي سندا في هذه الرسالة ، كما أوجه عبارات التقدير والشكر للأستاذة الدكتورة العقون أم الخير التي فتحت لنا باب البحث العلمي وأنارت الجامعة بهذا المشروع وقدمت كل ما لديها لخدمة التاريخ الوطني، وأقدم كذلك شكري وعرفاني إلى كل من ساهم في مساعدتي في إعداد هذا العمل بشكل أو بأخر.

وفي الأخير أشكر أعضاء اللجنة المناقشة لتحملها عناء قراءة هذا العمل ومناقشته كما أن ملاحظاتهم وتوجيهاتهم سآخذ بها للتسديد والتصويب.

الفصل التمهيدي

الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط – خصائص عامة –

1- الخصائص الطبيعية
2- الخصائص البشرية
3- الخصائص الاقتصادية
4- الخصائص الدينية

يختلف علماء الآثار واللغات في تحديد المدلول الجغرافي لمنطقة شرق البحر الأبيض المتوسط ، إذ نجد عدة تسميات مختلفة و هذا حسب الحدود الجغرافية و الظروف التاريخية التي مرت بها المنطقة ، فنجد تسمية إقليم سوريا والذي يشمل قديما جبال طوروس وشبه جزيرة سيناء والبحر الأبيض المتوسط[1] ، وهناك تسمية بلاد الشام[*]التي ما زالت منذ يومنا هذا متداولة في الأدبيات اللغوية ، وكذلك تسمية الهلال الخصيب الذي يمتد من الخليج العربي إلى منطقة سيناء ويضم العراق و سورية و لبنان و فلسطين[2] ، أما المتعارف عليه في الكتابات التاريخية خلال الفترة القديمة نجد إستعمال تسمية الشرق الأدنى القديم وهي الأخرى يختلف حولها المؤرخون و علماء الآثار ،فالشرق حسب مفهوم بعضهم يعني منطقتنا العربية في غرب آسيا بالإضافة إلى الهند والصين واليابان ويعني لبعضهم الآخر تلك البلدان المجاورة للبحر الأبيض المتوسط بما في ذلك تركيا وإيران وشبه الجزيرة العربية ويحدد آخرون الشرق في منطقة الهلال الخصيب بحدودها الطبيعة، وكل له ما يثبت وجهة نظره ويدعم رأيه سواء بالوثائق والبراهين الجنسية العرقية، أم الجغرافية البشرية[3] ، كما نجد اصطلاحا أخر و هو الساحل الفينيقي نسبة إلى التسمية التي أطلقت على الشعوب التي سكنت منطقة الساحل .

وبالرغم من هذه الاختلافات إلا أن حضارة الإنسان القديم في شرق البحر الأبيض المتوسط كانت مميزة عن الحضارات الأخرى ، وهي وحدة لا تتجزأ جمعتها التفاعلات الحضارية ، على الرغم من تعدد الأجناس البشرية و الأماكن الجغرافية .

وتتميز منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط بخصائص متعددة، سواء من حيث الامتداد الساحلي أو الداخلي، ومن بين هذه الخصائص نذكر:

---

[1]- محمد علي سعد الله، في تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر، سورية القديمة، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر 2001، ص 233

[*]- نقصد بكلمة الشام فهي تسمية عربية للإقليم السوري كله ونعني اليسار أو الشمال بالمقابلة مع اليمين التي تعني اليمين أو الجنوب وذلك بالنسبة لأهل الحجاز للمزيد ينظر: نجيب ميخائيل، مصر و سورية في العصور القديمة ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، 1958، ص08

[2]- حتي فيليب ، العرب " تاريخ موجز " ، ط4 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1991 ، ص15

[3]- سيف الدين الكاتب، أطلس التاريخ القديم، ط3 ، دار الشرق العربي ، بيروت ، لبنان ، 2009 ، ص06

1-الخصائص الطبيعية:

طبيعيا ينفصل الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط عن الأجزاء الداخلية في الشمال بواسطة سلسلة جبال أمانوس، بينما تقف تلال الأردن في الجنوب حائلا دون اتصال الداخل بالساحل في هذه المناطق [1] أما الحدود الجنوبية فترسم عند النقطة المحاذية لمدينة عكا وأما الحدود الشرقية والغربية نجد البحر الأبيض المتوسط من الغرب وجبال لبنان من الشرق، وتمتد جبال لبنان على شكل شريط الذي يتألف من جبال اللاذقية وتوازي البحر على مسافة تقارب ستين ميلا، ويبلغ ارتفاعها في بعض الأمكنة تسعة آلاف قدم فأكثر[2]، ولهذا نلاحظ أن الساحل الممتد على طول البحر الأبيض المتوسط هو كبير جدا وله دلالة جغرافية قوية.

ونجد جبال لبنان لا تبعد عن البحر الأبيض المتوسط أكثر من 50 ميلا، بل يقترب الجبل من البحر، وفي بعضالمواقع يتلاصق الجبل بالبحر[3].

ويتكون الساحل من وحدتين طبيعيتين هما:

1- السهل الساحلي فهو ضيق في معظمه ما عدا ناحيته الجنوبية والشمالية بالإضافة إلى بعض السهول الصغيرة في الوسط.

2- السلاسل الجبلية التي تشكل حاجزا طولانيا منيعا يقف بين الساحل والداخل باستثناء بعض النواحي منه في الشمال مثل ممر العمق وفجوة طرابلس[4].

كما تعتبر هذه المكونات أساس التشكل الطبيعي للساحل، وفي هذا النوع تبرز الأهمية البالغة لدور البيئة الجغرافية في إظهار الملامح الاجتماعية والاقتصادية لأقوام استطاعت أن تتمركز على طول المنطقة الساحلية، خاصة وأن الشريط الضيق الذي بين البحر من الغرب

(1)- غلاب محمد السيد، يسرى الجوهري، الجغرافية التاريخية "عصر ما قبل التاريخ وفجره" مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، مصر ،1997 .ص 341.

(2)- محمد الخطيب، الحضارة الفينيقية، ط2، دار علاء الدين للنشر، دمشق، سوريا، 2007 ، ص 23-24.

(3)- محمد بيومي مهران، المدن الكبرى« مصر والشرق الأدنى القديم »ج2 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، مصر، 1999 ص 270.

(4)- غانم محمد الصغير، التوسع الفينيقي ....، ص 15

والصحراء من الشرق أصبح بمثابة قنطرة يعبرها الغزاة الآسيويين القادمون من منطقة أخرى قبل نزولهم إلى وادي النيل[1].

وتفسيرا للإطار الجغرافي الذي يحمل مقومات العيش، فلا شك في ذلك كان المناخ متميزا في الطبيعة ، ونظرا لوجود الساحل في المنطقة المعتدلة فإن المناخ يظهر بصورة عامة معتدلا، فكان الطقس قديما مثلما هو عليه اليوم تقريبا، أمطار غزيرة في الشتاء تتسرب في أعماق تربة طفالية وتخصبها، ويبدأ الربيع في مارس وهو نفس الشهر الذي تقل فيه الأمطار وتكاد تتوقف تماما بين جوان وجويلية، أما الصيف فهو يدوم أربعة أو خمسة أشهر وفي أثناءه تيبس الخضار على رغم من سقايتها بواسطة السواقي في نقاط عديدة، وفي أكتوبر يبرد الطقس ويستأنف تهاطل الأمطار وتعود الدورة سيرتها الأولى[2]، وبما أن البحر الأبيض المتوسط كان يجاور لبنان في أراضيه فإن نسبة الرطوبة كانت قوية على الرغم من وجود كميات كافية من الأمطار، ذلك يعطي تموضع جديد في الخارطة الجغرافية للمنطقة[3].

كما أن الحاجز الجبلي الذي يوازي البحر الأبيض المتوسط يسبب سقوط أمطار كثيرة على الواجهة البحرية، كما يسبب جفافا حقيقيا في الواجهة الداخلية، ولهذا السبب تظهر السهوب والصحراء من السفوح الشرقية للسلسلة الداخلية لجبال لبنان[4]، وأما الوضع الذي كان يظهر فيه المناخ على الساحل البحر الأبيض المتوسط هو يتأرجح بين الفصول الأربعة فتختلف درجات الحرارة والهواء الملامس لأرض لبنان من مكان إلى آخر، بل وفي نفس المكان الواحد من فصل إلى آخر، ففي الصيف تتعامد الشمس على مدار السرطان، وفي الشتاء تتعامد الشمس على مدار الجدي فتنخفض الحرارة الهواء الذي يلامس سطح أرض لبنان وفي فصل الربيع يبدو التباين بين الساحل والجبل أكثر وضوحا، ويبقى الجو معتدلا في ربوع لبنان في فصل الخريف[5]، وهو الأمرالذي ساعد شعوب المنطقة أكثر فأكثر على الاستقرار والمداولة اليومية للعيش، ولا توجد في المنطقة الساحلية أنهارا دائمة الجريان بل أن معظم أنهارها

(1)- مهران محمد بيومي، المرجع السابق، ص 270.
(2) - غانم محمد صغير، المرجع السابق، ص 16.
(3) - محمد الخطيب، المرجع السابق، ص 25.
(4)- جان كلود مارغون، السكان القدامى لبلاد ما بين النهرين وسوريا الشمالية، ترجمة سالم سليمان العيسى، ط2 ، دار علاء الدين للنشر والتوزيع ، سوريا 2006، ص 23.
(5) - محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية "تاريخ لبنان القديم " ، المرجع السابق ،ص 27-28.

صلبة تفيض وتزيد في الفصل الممطر، ثم تجف أو تقارب الجفاف في فصل الصيف باستثناء نهر العاصي والليطاني اللذان ينبعان من الداخل، ويصبان في البحر الأبيض المتوسط[1]، فتبلغ عدد الأنهار التي تجري في أرض لبنان نحو سبعة عشر نهرا رئيسيا منها ثلاثة لا يملك لبنان سوى بعض أجزاء من مجاريها وهي نهر الكبير الجنوبي ويبلغ طوله ثمانية وخمسين كيلا، ونهر العاصي ونهر الحصياني[2]، كما أن الرياح السائدة في المنطقة هي الرياح الغربية الممطرة شتاءا، ثم الحافة الشرقية في فصل الصيف[3]، ذلك لأن الموقع الجغرافي لبلاد سوريا ولبنان القديم يتميز بالتعرج على مستوى الجهة الداخلية مع كثرة الجبال والوديان التي تترك آثار الحفر والانجراف.

وكل هذه الأنهار سواء أكانت رئيسية أم ثانوية أضحت بمثابة أحد الظروف الداخلية للإنسان من أجل الاستقرار و الإنتاج الحضاري المادي، خاصة و أن والتمركز السكاني كان على حواف الساحل وحتى السبخة، التي تعج بالمياه[4]، وما يتضح جليا أن المعطيات المناخية السائدة على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط هي مدعاة للتواصل الحضاري بين الشعوب والمجتمعات القديمة.

لكن إذا ما لاحظنا وفحصناطبوغرافية أرض لبنان نجدهناك علاقة جغرافيةبينالبحر والنهر والبر، خاصة بحكم المسافة القريبة بينهم وهذا ما سهل على الإنسان القديم العيش والتأثير والتأثر في بيئته واستطاع نوعا ما أن يحقق ما لم يحققه من قبل في فترات زمنية بعيدة جدا.

أما بالنسبة للثروة النباتية، فالمنطقة الساحلية لشرق البحر الأبيض المتوسط تزخر بإمكانيات هائلة لا تحصى من الأشجار والمزروعات وحتى الغابات التي لا تخلو في كافة أرجاء لبنان، لحد نجد تجار اليونان الأقدمون أطلقوا على شاطئ البحر الأبيض المتوسط اسم بلاد النخيل، وكانت أحراج النخيل الكثيفة تمتد على طول الساحل الرملي للبحر وهي التي

---

[1] - محمد صغير غانم، المرجع السابق، ص 16.
[2] - محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 28-29.
[3] - محمد صغير غانم ،المرجع السابق، ص 16.
[4]-Alexandre (M) ; Histoire de L'orient, Tome 01 « Préhistoire II et III ».(Millénaires Egypte, Élam , Sumer et Akkad, Babylone), presse universitaires de France, Paris .1941. P 153.

اجتذبت أنظار التجار، وكان وراء هذه الأحراج سهول خصبة تنمو فيها الحبوب والفواكه والأزهار ، فكانت مغطاة بالكروم وأشجار الزيتون، وكان في الجبال غابات من الأشجار أجودها الأرز[1]، وهذه المواصفات تعتبر ترجمة لما تحتويه المنطقة بشكل عام من تعدد وتنوع في الثروة، ولهذا نجدها من أخصب بلدان المشرق، فكانت زراعتها نامية جدا على الرغم من محدودية الأرض الصالحة للزراعة ، فكانت تنبث فيها الحنطة والكرمة، والأشجار المثمرة لاسيما التين والجميز لكن أعظمها شجر الصنوبر والسرو[2]، وكل هذه الأنواع كانت تعطي لطبيعة لبنان ازدهارا.

وتدل الإحصائيات أن 07% من أرض لبنان مكسوة بالغابات وهي نسبة توازي سبعين ألف هكتار، ويقدر عالم النبات "جورج بوست" أن عدد أنواع النبات في لبنان وفي البلدين المجاورين له فلسطين وسوريا يبلغ حوالي 3500 نوعا ومما يزيد في جمال لبنان روعة أزهاره، شقائق النعمان، والأقحوان، والبرواق،ودويك الجبل، والنعلة حشائشه وشجيراته ذات الزهر العطر[3].

وإن الإطار الجغرافي الذي يتشكل منه الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط كان هائلا بالثروة الحيوانية كسائر المناطق الأخرى من آسيا الغربية، فقد ظهرت عدة أدلة أثرية تبين وجود أنواع عديدة من الحيوانات منها ما هو صغير الحجم وآخر كبير الحجم وهذا حسب تواجد الفعلي للحيوان، فقد عرفتالمنطقة نوع الدجاج والكلاب والقطط، وجميعها دجنت في غربي آسيا منذ أقدم العصور، وهناك الثيران ذات القرون المستديرة التي تسمى (بوس براتشريكوس- BosBrachyrecos) والجاموس والثيران والحرباء[4]، كما نجد أنواع أخرى مثل الدّب والأسد وأما الذئب والضبع فهما نادران[5].

(1)- إدنا مجوير، الماضي يبعث حيا، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد، المراجعة علي أوهم ،ب ط، مكتبة النهضة المصرية ب، ت، ص 99-100.
(2) -محمد الخطيب المرجع السابق ص 25.
(3) - محمد بيومي مهران ،المدن الفينيقية ، ... المرجع السابق، ص 40-41.
(4) - محمد بيومي مهران المرجع السابق ص 42.
(5) –عمر السكندري، تاريخ سوريا ، مطبعة بيروت الأدبية، 1981 ، ص12.

غير أن هذه الأصناف لم تكن وحدها هي التي تميز أرض الساحل ، فمن الطبيعي تتوفر الأسماك[*] على شواطئ البحر، لذلك أضحت موردا عظيما من موارد التموين، كما يوجد على ضفاف الأنهارحيوان التمساح، وكانت الثعابين وافرة الكثرة على حد كبير، وكان بها أيضا كل أنواع الحراذينوبها من الحشرات الضارة والعقارب والجراد وهي من وقود الصحراء الشرقية[1]وقد كانت هذه الحيوانات لها دور كبير في التوازن البيئي في الفترة القديمة، لأن منها ما هو مستأنس ، ومنها ما هو بري صالح للصيد من أجل الأكل والعيش اليومي،وهنا تظهر علاقة الحيوان بالإنسان القديم،أما حيوان الحصان [**]فقد دخل المنطقة الساحلية لشرق البحر الأبيض المتوسطخاصة وبلاد الشرق الأدنى القديم عامة متأخرا حوالي الألف الثاني ق. م [2]

2-الخصائص البشرية:

لعل مثل هذه الموضوعات تحتاج إلى التفحص والتدقيق خاصة من حيث الخصائص الجسمانية والفيزيولوجية، و هنا يبرز الدور العنصر السامي[***]، ونحن نجهل ما هي الشعوب التي سكنت هذه المنطقة وإن استطعنا أن نحدد مواقع نشاطها، وامتداد مواطن سكانها وترحالها فيبعض الأحيان إلا أننا عاجزون عن تسميتها باسمها، ونكتفي تسمية العصور التي أنشأت فيها.

فالنسبة للجنس الذي سكن سوريا وفلسطين في العصر الحجري الحديث، إنما هو جنس الحوض البحر الأبيض المتوسط حيث اكتشفت أثار هذا الجنس في حفريات الشقبة في وادي

([*])- كانت أنواع السمك المفضلة هي "الموركسMurex" الأرجواني اللون للمزيد أنظر: محمد الخطيب، المرجع السابق، ص26، وقد أحظى المختصون نحو 50 نوعا من حيوانات البحر المنجزة في أحجار لبنان الجيرية للمزيد ينظر: محمد علي سعد الله ،المرجع السابق، ص240.

(1)- جورج كونتنو، الحضارة الفينيقية، ترجمة عبد الهادي شعيرة، مراجعة طه حسين، شركة مركز كتب الشرق الأوسط، 1948، ص32.

([**])– الحيوان الحصان أستأنس في آسيا في الألف الرابع ق.م، وظهر بالصحراء الكبرى في الألف الثانية ق.م. للمزيد ينظر: خطيب العفراء، بعض النماذج من العلاقات والتفاعلات بين شبه الجزيرة العربية والصحراء الكبرى وشمال إفريقيا خلال العصور القديمة.، منشورات جمعيةالاثاريين العرب ، ج4 ، القاهرة ، 2004 ، ص383

(2)-محمد بيومي مهران المدن الفينيقية المرجع السابق، ص 42

([***])- نسميهم كذلك الشعوب السامية وهذه التسمية أطلقها الباحث الألماني (تشيلترز) في عام 1781، وذلك قياسا على سلسلة سام بن نوح، في الإصحاح العاشر (10) من سفر التكوين ولتكون هذه الشعوب من الفينقيينالكنعاتيين والعبريين والبابليين للمزيد ينظر: الكتاب المقدس (العهد القديم) سفر التكوين ..... 10، الفقرة 31/ موسكانيسباتينو، الحضارات السامية القديمة ترجمة يعقوب بكر، دار الشرقي، بيروت لبنان، 1986 ص42، محمد سيد غلاب، المرجع السابق، ص378.

النطوف في مغارة الوادي (قبل 5000 ق م) وفي تل الجديدة (قبل 4000 ق م) كما نجد الجنس الأرميني قد سكن منطقة لبنان[1] وكانت هذه الأنواع إنما جاءت وفق جماعات مهاجرة تحولت ضمن العصور الجيولوجية المتتابعة[*]، كما تعطينا الحفريات في منطقة حوض الفرات فكرة عن نمط التجمعات البشرية الجماعية الأولى في سوريا، ويمثل (تل المربيط) على الضفة الغربية من نهر الفرات في الجزيرة السورية (حوالي 80 كلم شرقي حلب حاليا) هذه الفترة خير مثيل على ذلك، حيث نشأت أقدم قرية سكنية عرفتها سورية[2]وتعود إلى بداية الألف التاسع ق. م وتنتمي إلى الحضارة النطوفية[**]، التي كانت منتشرة بين النيل والفرات[3]، كما يسعنا في الذكر أن الإنسان القديم قد ترك لنا أثار مادية بارزة دلت على إنتاجه وتفاعله مع الطبيعة مما يتجلى في الرسوم الصخرية والشواهد القبور الجنائزية، واستطاع أهل الاختصاص الإفراد بدراسة هذا الإنسان[***]منحيث بنيته الداخلية والخارجية مما أعطى لنا معرفة حتى ولو كانت نسبية في المجال التركيبة السوسيولوجية القديمة.

وقد ذكر "شارل سنيوبوس" في كتابه تاريخ الحضارات العالم أنه قد انسالت من جبال آسيا بين القرن 20 و25 ق.م عصابات من الرعاة أهل القارة وزعماء الفتنة فانتشروا في

(1) –محمد بيومي مهران، المدنالفينيقية، المرجع السابق، ص 115-116.

[*]- نشأ الإنسان أثناء الزمن الجيولوجي الرابع أواخر عصر البليستوسين منذ نصف مليون سنة أو أكثر (كلمة البليستوسين مركبة من كلمتين يوخانيتين الأولى (Pleistos) بمعنى الأكثر والثانية (Keinos) بمعنى الجديد أو الحديث لكن حرف (K) اليوناني صار في اللغات الحديثة © للمزيد ينظر: عبد اللطيف أحمد علي محاضرات في تاريخ الشرقي الأدنى القديم، مكتبة بريدية بيروت لبنان 1971، ص2

(2)- سيف الدين الكاتب،المرجع السابق ، ص06.

[**]- الحضارة النطوفية هي حضارة العصر الحجري الوسيط نسبة إلى وادي النطوف الواقع بشمال غرب مدينة القدس الفلسطينية، فقد عثرت الباحثة "حارد" سنة 1928م بكهف (شقبه) على بقايا تلك الحضارة، للمزيد ينظر :شوقي شعث، فلسطين أرض الحضارات، ط1، الأوائل للنشر والتوزيع دمشق، سوريا، 2000، ص11.

[***]-وهي دراسة تعتمد على تطبيق تقنيات علم الإنسان "الأنتروبولوجيا الفيزيولوجية" وحسب الدراسة تم تحديد عدة أنواع بشرية رئيسية استوطنت المعمورة وهي "الإنسان العاقل العاقل" « Homo sapiens sapiens »، وقبله كان الإنسان النياندرتال« Homo sapiens neanderthalensis »، وقبله كان الإنسان المنتصب القامة « Homo Erectus » بأنواعه المختلفة، وقبل ذلك كان النوع الأوسترالوبيتيك« Australopithèques »، للمزيد ينظر: فرنسيس أور، حضارات العصر الحجري القديم، تعريب: سلطان محيسن، ط2، مطابع ألف-باء (الأديب)، مكتبة الإسكندرية، دمشق، 1995، 15-12، و ينظر: يسمينة شايد ، نتائج الحفريات الجدية لعصور ما قبل التاريخ في الجزائر وعلاقاتها بمصر، ندوة الدراسات في أثار الوطن العربي، منشورات جمعية الأثاريين العرب، ج4، القاهرة، 2003، ص18

أطراف أوروبا كافة وفي غرب آسيا(1)، وخاصة هذه الأخيرة أصبحت موطن قاري يجلب كافة الأطياف البشرية بأنواعها شمالا وجنوبا، شرقا وغربا بما فيه المناطق الصحراوية أو الصحراء الكبرى، هذا بالرغم من ما ذكرهسنيوبوس من أوصاف مبالغ فيها على تلك الأقوام التي انحدرت من أعالي آسيا، أما الحقيقة في ذلك نجد البلاد الواقعة على الجانب السوري كانت إلى حد ما عامرة بالسكان (2)، فكانوا بمثابة اللبنة الأساسية لبدايات الحضارة الشرق الأدنى القديم.

ونحن كالباحثين في التاريخ القديم نجزم بوجود سرح كبير لا قيود له في المنطقة الشرق الأدنى القديم و سواحل شرق البحر الأبيض المتوسط، فالمجتمعات القديمة التي سكنت الساحل البحر كانت لها يد طويلة في المناطق المجاورة لاسيما التي تقع على حافة البحر والأنهار، نذكر منها مصر(*) هذا البلد الذي استطاع أن يكون حضارة كبيرة من الشمال إلى الجنوب تاركا لنا أثار مازالت قائمة حتى الآن، وبالنسبة لنوعية الوجود البشري على سبيل المقارنة فيعتقد من الباحثين أن المصريين الأوائل من سلالات البحر الأبيض المتوسط الجنوبية(3) بغض النظر عن الهجرات التي جاءت من كل صوب وحدب صحراءا وبحارا وأنهارا، هذا بما يترك لنا مجال للتخمين في مفهوم واحد ألا وهو الجنس البحري كان حاضر وبكل قوة في المناطق الشرقية الساحلية للبحر الأبيض المتوسط، وكما قامت الحفريات بجوار أبو شوشة بقرب الرملة ما بين 1902م و1905م من طرف جمعية انكليزية ترأسها الأستاذ "مكالينتز"، أكد أن فلسطين قديما قد سكنها أقوام غير ساميين وبرهن ذلك بما نطقت به الآثار. (4)

---

(1)- شارل سنيوبوس، تاريخ الحضارات العالم، تعريب: محمد كرد علي، مطبعة الطاهر، القاهرة، 1908، ص2.
(2)- محمد الخطيب، المرجع السابق، ص28.
(*)- هي إحدى الحضارات الشرقية القديمة التي قامت على ضفاف نهر النيل وأجزاء من البحر المتوسط كان أولى أحكامها في الأساطير هو ملك العقرب 3150 ق.م "ومينا" أو "نعرمر" في نفس السنة حتى 3125 ق.م مرت بعدة مراحل وتعددت أسراتها إلى نحو أسرة تولى حكمها بعدة حوالي 3000 ق.م إلى 332 ق.م للمزيد انظر:
Nicolas Grimal, Histoire de l'Egypte, Fayard, France, 1942, pp42-62.
وكذلك عبد العزيز صالح، مصر القديمة وأثارها "الاتجاهات الحضارية العامة حتى أواخر الألف الثالثة ق.م ،مكتبة الأنجلو-المصرية، المنشورات العربية، 1972، ص49...إلخ
(3)- شافية شارن، حضارة مصر القرعونية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص10-11.
(4)- صالح البرغوتي، خليل طوطح، تاريخ فلسطين، ب ط، مكتبة الثقافة الدينية، ب ت، ص13.

هذا ويمتاز الساحل بخاصية طبيعية ذات إقليم كبير ضم عناصر سكانية عبارة عن خليط من الأجناس، من خلالها أصبح المجال مفتوح أمام الحراك والتفاعل الحضاري.

3-الخصائص الاقتصادية:

عرفت المنطقة الممتدة على طول الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسطبما فيها المناطق الداخلية تحولات جذرية مست كافة الميادين على المستوى التطور التجمعات السكانية، والاستقرار، والبحث عن مادة العيش في الحيز الجغرافي الذي يقطن فيه خاصة وأنه يحمل عدة أنواع من مصادر الأكل والاستئناس ، كما نجد الصيد هو أولى تطور الشعوب القديمة من حيث المسايرة مع أحوال الزمان والمكان منذ العصور القديمة بما فيه العصر الحجري الحديث الذي دام نحو ألفي سنة اعتبارا من 6000 ق.م(*) فنلاحظ تقدم ملموس في الزراعة وتربية الحيوان واستعمال الآلات الحجرية المصقولة والحياة المستقرة[1] التي تنوعت وتعددت حسب توجه الإنسان في ذلك، وبجانب الآثار المعمارية التي تم الكشف عنها، فقد تم العثور على أثار الصناعة الزراعية ومن أهمها الفؤوس والمناجل الحجرية والأجران والمخازن[2]، وهذا ما جعل من الشعوب تستطيع أن تعتمد على موارد متعددة استخرجت من باطن الأرض.

صحيح أن الانتقال إلى الزراعة الحقلية كان حدثا قد غير جذريا سائر ميادين الحياة الإنسان العصر الحجري، إلا أن هذا التغيير كان زمنه طويل جدا، يرجح أنه بدأ بمحاولات نشر الأشجار المثمرة المستنبتة، والاحتفاظ بالحيوانات البرية الملائمة في زرائب المسيجة وهي تحسينات في شروط الحصول على الغذاء[3]، فكان على الإنسان لا بد عليه أن يعطي للحيوان حقه كسائر الأشكال الحية الموجودة في الطبيعة، وتشير اللقى الأثرية من أهمها العظام والأحجار على أن الإنسان حاول منذ تلك اللحظة استخدام أساليب محسنة للاستغلال

(*)- يرجع أن العصر النيوليتي قد تميز بثلاث مراحل ترجع أقدمها إلى أواخر الألف السادس أي ما بين 4053 ق.م و4592 ق.م للمزيد ينظر: عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص78.

(1)- سليم أحمد أمين، العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم، ب ط، دار المعرفة الجامعية، مصر، ب ت، ص293.

(2)- نفسه، ص297.

(3)- كارلها ينز برنهردت، لبنان القديم، ترجمة: ميشيل كيلو، مراد زيان منى، ط1، قدمس للنشر والتوزيع، سوريا، 1999، ص25.

ثروة البحر في هذه الحقبة "أي العصر الحجري الحديث" و بناء مستقرات أولى للصيادين على الشواطئ[1] وهذا إن دَل على شيء إنما يدل على أن البحر كان مقصد للاستقرار البشري .

ولقد كانت حياة الإنسان القديم في العصور الحجرية صعبة جدا، فيما يخص البحث عن الوسائل الدفاعية والغذائية والكشف عن ظروف طبيعية مواتية له، ولهذا يشار على أن منطقة "جبيل" بقيت خلال زمن طويل مستقر لصيد الأسماك، كما يبدوا أن طبيعة هذه الحقبة لم تشهد غير تغير بسيط[2] في مجال تقنيات وأدوات الحجرية، وما دامت المنطقة الساحلية للبحر الأبيض المتوسط كانت قديما وحدة جغرافية فلا بد من أن حركة الاقتصاد أصبحت تأخذ باتجاه واحد سواء من حيث الزراعة أو الصناعة ، فقد اعتمد اقتصاد سكان فلسطين[*]قديما على زراعة المناطق الخصبة التي تحيط بأماكن استقرارها بأشجار مثمرة ومحاصيل زراعية عديدة، وعلى تربية الماشية وعلى الأعمال الحرفية المتنوعة وكذلك على التجارة الداخلية والخارجية واستقر بعضهم على الكهوف الطبيعية، ومنهم من سكن القرى.[3]

فعلى أنقاض ما تنتجه الطبيعة، بدأت أولى الاستقرار البشري في الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط فعثر على أدلة تشير لهذا الاستقرار في عدة مواقع أثرية مثل "جبيل" "بيبلوس" « Byblos »، "وحراجل" "وبركة راما" "وعين راجل" "ونهر الكلب" "ونهر الزهراني"وغيرها[4] من المواقع التي شهدت استيطان بدائي، إضافة إلى موقع "مرسين"، "وطرسوس" في قيليقيا وأيضا بحماة ورأس شمرا (أوغاريت)[**]، وقرقميش-طرابلس،

---

(1)- كارلها ينز برنهردت، المرجع السابق، ص25-26.

(2)- نفسه ، ص26.

(*)- فلسطين مشتق من اسم "فيلستيا" الممتدة حتى جبل الكرمل، وغزة، ويذكر البعض أن اسم فلسطين أو فيلستيا ورد في وثيقة مصرية رسمية يعود تاريخها إلى حوالي 750 ق.م كما ورد في كتابات الجغرافيين الكلاسيكيين باسم "palestina" ويذكر ياقوت الحموي وفي كتابه معجم البلدان أن فلسطين سميت "فيلستين" بن كلوحيم من بني يافت بن نوح .للمزيد ينظر، شعت شوقي، المرجع ص8-9.

(3)- صلاح الهودلية، المرجع السابق، ص484.

(4)- سليم أحمد أمين، المرجع السابق، ص299.

(**)- تقع مدينة أوغاريت "رأس شمرا" قرب البيضا على بعد 11 كم شمال مدينة اللاذقية.للمزيد ينظر: الخطيب محمد، المرجع السابق،ص22.

وأريحا(جريكو قديما)[1] وقع نهر الجوز شمال البترون "تقع بين جبيل وطرابلس"، ومواقع نهر "إبراهيم" ونهر "بيروت" و"عدلون" التي تقع جنوبي صيدا[2]، ولاشك في ذلك أن هذه المواقع قد حظيت باكتشافات دقيقة ودراسات علمية مكثفة.

وعن تطور أمكنة الاستقرار البشري ما فيه البناءات البدائية فقد تميز أسلوب بناء البيوت على شكل غرف واسعة دائرية الشكل استخدم الإنسان الخشب في بنائها الذي كان يشذب بواسطة قدوم من الصوان، ليضع منه العواميد التي كانت كنصيب بجانب بعضها لتشكل حاجزا يطلى من الداخل بالطين بمواد خفيفة والأغصان وجلود الحيوانات[3] هذا فضلا عن استخدامه لأنواع مختلفة الأشكال واجهات المسكن، من جانبها غدت البيوت أكبر و أمتن لتكونها من شجر الصنوبر الإبري الدقيقة، وإلى جانب البيوت الرباعية الزوايا نجد نموذجا ذا أبعاد شبه دائرية، ودائرية تماما، فكانت تشبه البيوت خلية النحل السورية المعروفة[4]، كما نجد البيوت متوازية الأضلاع التي لم يبق منها سوى الأرضية المطلية بالجص تماما في "تل الرَماد" و"أريحا" ، ويلاحظ كذلك استمرار البناء المتوازي الأضلاع[5] إلى فترة زمنية طويلة، وكشفت لنا أطلال القرى منطقة "بيل" عن مساكن مستطيلة الشكل مبنية فوق أساسات حجرية[6].

فقد اكتشفت الدلائل السكنية الأولى في اوغاريت (رأس شمر) بطريقة غير مباشرة، يعود تاريخها إلى مرحلة الاستيطان الأخيرة في المربيط أي الألف السابع ق.م[7]التي أصبحت بمثابة جوهرا ثابتا يستدل به الباحثون من كل الاختصاص في معرفة خصوصية المواقع الأثرية المجاورة، و في نفس الموقع (أوغاريت) قد وجد نوع من البيوت تتألف في بداية أمرها من بيت سكني واحد، يشبه شكل بيضوي الذي تحول فيما بعد إلى مستطيل[8] ، فهذا

[1]سعد الله محمد علي، المرجع السابق، ص297.-
[2] - جورج كونتنو، المرجع السابق، ص40.
[3] - سيف الدين كاتب، المرجع السابق، ص6.
[4]- أمهز محمود، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان 2009، ص44.
[5]- نفسه ، ص44
[6]- عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص78
[7]- سيف الدين الكاتب، المرجع نفسه، ص7.
[8] - نفسه، ص7.

يشكل نمط الإستيطان القديم للجماعات البشرية الأولى التي وجدت بسوريا ولبنان وفلسطين ومنطقة الشرق الأدنى القديم.

بالإضافة إلى الآثار المادية التي ثم العثور عليها وبالرغم من اختلاف العلماء حول تاريخها فهذا لا يدعي إلى أن نماذج الأولى لحياة الإنسان القديم اقتصرت على جانب مادي واحد فقط، بل تعددت الطبوع والأشكال فنجد الفخار، هذه المادة التي أصبحت لها دور كبير في حياة الإنسان عند استعماله بشكل يومي في صناعته، فصنعت الأواني الفخارية التي استخدمت في فرن الحبوب والغلال والطهي(1)، وكذلك في الحفاظ على بعض المواد التي هي قابلة للتخزين، ولهذا نجد أنواع من الفخار يستعمل كمهام كبرى، بما فيه منفعةللإنسان والطبيعة.

ويرجح أن تكون عجلة الفخار قد تم اختراعها في سوريا قبل عام 4000 ق.م ولكن لم يستخدم بصورة بارعة في جنوبي فلسطين حتى حوالي عام 2000 ق.م، وكان الفخار قبل ذلك يصنع بواسطة اليد(2)حيث نجد بعض نماذج من الأدوات الفخارية تختلف بشكل كبير عن مثيلتها أثناء إدخال تقنيات جديدة في الصنع، أما بالنسبة للأصل اختراع الفخار بالساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط ، فهناك اختلاف كبير بين علماء الآثار في تحديد المكان، وحتى الزمان، فيعتقد عالم الآثار (غار ستانغ) الذي نقب في أريحا(*) أن الفخار أخترع في هذه المدينة صاحبة التاريخ العمراني الموغل في القديم(3) علما أن سكان أوغاريت في الفترة الممتدة منذ الألف السابع ق.م لم يكونوا قد اكتشفوا صناعة الفخار بعد(4)، فنحن لا ننفي على أنه كانت هناك اتصالات واسعة الأرجاء بين الشعوب الشرق الأدنى القديم وأخذ عن بعضها البعض نتاجات عقولهم المادية وما يستمدونه من الطبيعة، فمثلا نلاحظ من خلال دراستنا

---

(1)- سعد الله محمد علي، المرجع السابق، ص227.

(2)- سليم أحمد أمين، المرجع السالق، ص299.

(*)- أريحا :وصفها البغدادي بكتابة البلدان فقال أريحا بالفتح ثم الكسر وياء الياء الساكنة والحاء المهملة، وسميت من قبل بأريحا بن مالك بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام، وأريحا عند الكنعاينين تعني القمر مشتقة من فعل (يريحو) (yereho)واليرح في لغة جنوبي الجزيرة العربية تعني شهر وقمر، وهي مدينة كنعانية قديمة يعود تاريخها للعصور الحجرية أي قبل 7 آلاف عام، للمزيد ينظر: المرعي توفيق، قصة مدينة أريحا، "سلسلة المدن الفلسطينية (1)"، دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، ب ت، ص8-9.

(3)- شعت شوقي، المرجع السابق، ص13.

(4)- سبق الدين كاتب، المرجع السابق، ص7.

لحضارة مصر أن أشكال البناء بالأجر المستطيل المجفف أو المشوي جاءت لهذه الحضارة بعد احتكاك سكانها وسكان سوريا وفلسطين بالألف الرابعة ق.م، كما أخذوا عنهم الفخار المزين برسوم الحيوانية والنباتية، والبشرية[1]، ويعود ذلك للحضارة نقادة المصرية التي انطلقت حوالي 4500 ق.م حتى 3500 ق.م حسب الباحث (بيار ليفاك)[2]، مما يبين أن الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط كان أهل للحضور مادة الفخار قبل أن تعرفه مناطق أخرى.

كما يجب أن نعرف بأن الشعوب الساحلية للبحر الأبيض المتوسط كانت لها مواصفات تتماشى والظروف المعيشية حتى أنهم أصبحوا أبناء البحر لا منازع فيه، يصنعون وينحتون على المواد والأواني الفخارية وكذلك إنتاج مادة الخزف بأنواعه، وقد عرف الفخار في المنطقة السورية تطور ملحوظ عبر فترات زمنية متعددة وإليك الجدول الآتي يبين ذلك:[3]

الفخار في سوريا عبر العصور	**مميـــزاتـه**
العصر البرونزي المبكر الحقبة الأولى (ج)	فخار موشح
العصر البرونزي المبكر الحقبة الأولى (ب)	فخار ملون بخطوط فخار أحمد مصقول
العصر البرونزي المبكر الحقبة (أ)	فخار رمادي مصقول
الغسوليـة[*] (العصر النحاسي)	
العصر النحاسي المتأخر	
فـخار عادي	
العصر النحاسي المتقدم	

(1)- شارن شافية، المرجع السابق، ص16.

(2)-lévêque (P) ; les premiers civilisations," des despotismes orient aux à la gréque, tome 01, France, 1987, P216.

(3)- خيرنمر ياسين، جنوبي بلاد الشام تاريخيه وأثاره في العصور البرونزية، منشورات لجنة تاريخ الأردن، الأردن، 1991، ص17..

(*)-الغسولية هي حضارة حجرية نسبة إلى تليلات الغسول وهو موقع في فلسطين في سهول الأردن على بعد 10 كيلا شمال شرق البحر الميت ويعود ذلك للعصر النحاسي . للمزيد ينظر: بيومي محمد مهران، (1994)، المرجع السابق، ص112.

من خلال الجدول نلاحظ أن الفخار قد شهد تقدم وزيادة في التفنن والزخرفة حسب الحقب التاريخية من العصر البرونزي الأول إلى العصر النحاسي، هذا الأخير الذي تحسنت فيه العمارة بشكل كبير[1]، ولاسيما المواد التي صنعت بمختلف المصادر التي استخرجت من الأرض، ولهذا استطاع الإنسان أن يوفر لنفسه أداة يوظفها في حياته اليومية، وهذا فضلا عن الابتكارات الأولى التي تميزت بها المجتمعات القديمة على المستوى الداخلي أو الخارجي عن طريق وضع طرق وجسور اقتصادية واجتماعية لخدمة متطلبات الحياة، واستمر الإنتاج الحضاري وتقدمت الصناعات الحجرية وازدادت خبرة الإنسان في منطقة الشرق الأدنى القديم عامة في تلك المرحلة المسماة بعصر الحجر والمعادن "العصر الكالكوليتي"[2] وفي هذه الفترة تطورت حضارة "جبيل" Byblos فامتدت أرجائها جنوبا حتى وادي اليرموك[3] بالحدود الفلسطينية الحالية، كما شهدت كافة المناطق المجاورة نفس التقدم الملحوظ، فبدأ يعرف الإنسان الحديد والبرونز والاستخدام المتفرق للحديد النيزكي الذي وجد منذ الألف الثالث والثاني ق.م، لكن الصناعة الفعلية لم تظهر إلا في نهاية الألف الثاني ق.م[4]، وتؤكد لنا الآثار أن رأس شمرا-أوغاريت- كانت على علاقة من جهة قبرص وأعالي الرافدين، إذ عثر على أوان خزفية من طراز قبرص، وعلى خزف آخر من طراز المعروف باسم حلف[*] شمال الرافدين،كما كانت جبيل متأثرة بالوجود الرافدي لكن بدرجات متفاوتة، والذي عاصر فترة نهاية حكم أوروك[5]، ففي هذا المجال يتضح لنا أن العلاقات التي كانت قائمة في فترة زمنية قديمة، اقتصرت على منتوجات أبرزها "الفخار" ، و"الخزف"، و"الحديد" وغيرها من مجموع السلع و البضائع المنتجة بالنطاق الجغرافي لشرق البحر الأبيض المتوسط ساحليا و داخليا ،

(1)- سليم احمد امين، المرجع السابق، ص330.
(2)- سعد الله محمد علي، المرجع السابق، ص228.
(3)- عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص79.
(4)- ف-دياكوف، س-كوفاليف، المرجع السابق، ص79.
(*)- نسبة إلى تل حلف الواقعة قرب مدينة رأس العين عند مصب نهر الخابور على الحدود السورية التركية للمزيد ينظر: سيف الدين كاتب، المرجع السابق، ص07.
(5) -أمهز محمود، المرجع السابق، ص80-81.- أوروك: وهي مدينة تقع ببلاد الرافدين، قامت تحت الحكم الأموي، تلاءمت مع مدينة لارسا وتحالفت مع مدينة بابل، فقد تزوج مؤسس هذه السلالة كاشيد(Kashid) مع ابنه سومر "إيل"، كما تقاربت أوروك مع مدينة إيسن، للمزيد ينظر: بشور أمل ميخائيل، تاريخ الامبراطوريات السامية في بابل وأشور، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان ،2008، ص82

وكل هذا يفسر على أن النظام أو بوادر تشكل التجمعات كان بمحض إرادة الإنسان وحده الذي يسير ضمن الطبيعة التي يعيش فيها .

4-الخصائص الدينية:

إن دراسة الخصائص الدينية لمجتمعات المنطقة الساحلية شرق البحر الأبيض المتوسط ، يحتاج لوضع ترتيب زمني محدد وذلك من اجل معرفة نوعية وبدايات الأولى للمعتقد الديني لتلك الشعوب، غير أن العصر الحجري الوسيط لم يشهد ظهور ملحوظ لأفكار الاعتقاد والتعبير الفني، إذ توجد فقط ملامح قليلة تدل على ذلك، وقبل أن نتطرق لمعرفة خصوصية الديانات التي كانت واضعة أنذاك قديما، لابد من معرفة نشأة الدين، فيرى الباحث **"تايلور"** « Taylor »(1838م-1917م) أن فقدان الجيد للحياة كان سببا مباشرا وراء اعتقاد الناس البدائيين بأن نفسا أو روحا تسكن الجسد وتفارقه حتى الوفاة، وأن الروح تستمر في العيش بعد موت صاحبها وتحل الأشياء الطبيعية مثل الأشجار والأنهار محلها، أما العالم الأنتروبولوجي الإنجليزي (مارت)(PR.MART) (1860م-1943م) يرى أن الناس البدائيين اعتقدوا بوجود قوة غير ذاتية، أو قوة فوق طبيعية تحيي كل شيء، وأما فرويد(Freid) (1858م) في كتابه الطوطم والحرام يرى أن الدين البدائي نتج عن مرض نفسي له علاقة شخصية بالأب المهيمنة في الأسرة البدائية، أمافرايزر(Frayzer) (1854م-1940م) يبين أن نشأة الدين جاءت عن طريق السحر[1]، فكل هذه الاجتهادات تبرز أن الدين عن الشعوب القديمة إنما هو ذاتي يدور بالنفس قبل الطبيعة، وهذا ما ينطبق على سكان الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط بما تحتويه هاته المنطقة من مناظر خضراء تتعدى الأشجار وحتى البحار، كما نجد في ذلك دور الصفات التي تحملها تلك المظاهر الخارجية من اللون، وعامل القوة، وشكلها النفعي، ولشك أن الإنسان ما قبل التاريخ قد اكتسب العديد من التجارب الطويلة التي يمارسها خلال عمليات صراعه مع البيئة بقواها المختلفة، كما أنه من ناحية أخرى قد اكتسب أيضا العديد من

(1)- مرشد اليوسف، دموزي (طاووسي ملك) بحث في ديانة الكردية القديمة، ط1، ب.د، 1999، ص14-15.

التجارب المتوارثة مما هيأ له مكانة بداية التوصل إلى بعض الأصول الخاصة بتفسير بعض ظواهر الحياة من حيث كنهها وغايتها،ومحاولة ربط ذلك بحاضره ومستقبله [1]

وهذا راجع لتأملات الإنسان خاصة بعد إشباع غرائزه وضمان سد قوته اليومي، وبحسب التفكير الإنسان الشرق القديم، بدأت أشياء جديدة تحدث حوله فكان هو الأول والأخير في مجال الصنع والتدبير، حيث أخذ متسعا من التأمل وظهر نوع من العقيدة بدليل العثور على بعض الأواني الطعام والتقدمات في أماكن الدفن، كما أخذ ينمي ملكته الفنية، حيث أصبح يحاكي ما حوله من أنواع الكائنات[2]، فهي مختلفة تعددت بين ما هو طائر وماشي وزاحف، وكلها تمثل منابع الدين ما قبل التاريخ، وإذا ما فسرنا هذا الأمر فنجده يتماشى وفق نظر العقيدة[*].

فكانت الشعوب القديمة بين أمرين أوثالوث طبيعي، الإنسان خلقه الله عزوجل مكرما بعقله والحيوان كائن حي غريزي، والبيئة هي احتوت الإثنين معا، وهنا نشأت أولى مراحل الممارسات الدينية الدنيوية، وظهرت أفكار ميتولوجية[**]متنوعة تنمو تدريجيا واحدة تلوى الأخرى.

وكان أهل سورية القديمة يمارسون المعتقدات الدينية وعلى رأسها عبادة الثور ومعبودة الأم وتقديس الأجداد على امتداد الألف السابع والسادس ق.م، وكانت هذه الشعائر لم تكن معروفة من قبل دفن الموتى وتقديس الحيوانات كالدَب والغزال[3]، لهذا نجد أن الحيوان في تلك الفترة كانت له أهمية كبرى في التعبير الإنساني، ففي البداية نجد أن الإنسان بدأ يدفن موتاه، مما ساعد في العثور على الكثير من الهياكل العظمية المحفوظة في العديد من المواقع وفي قبور جماعية أو فردية زودت أحيانا بالأسلحة والأدوات الحجرية الجميلة، ومعظم

---

(1)- الناضوري رشيد، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غرب آسيا وشمال إفريقيا، "الكتاب الثالث" "المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1976، ص30.

(2)- حلمي محروس إسماعيل، الشرق العربي القديم وحضارته "بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة"، مؤسسة شباب الجامعية، الإسكندرية، 1997، ص104.

(*)-القصد من العقيدة هنا الاعتقاد الإنسان القديم ما قبل التاريخ حسب هواه الطبيعي.

(**)- الميتولوجيا: كلمة يونانية تعني علم الأساطير القديمة وتتألف من كلمتني "ميتوس": وتعني حكاية، لوجي وتعني علم، للمزيد ينظر: مرشد اليوسف، المرجع السابق، ص13

(3)-سلطان محيسن، دمشق من مستوطنة إلى مملكة، دمشق عاصمة الثقافة العربية، جامعة دمشق، 2008، ص24.

الاكتشافات بلاد الشام إنحصرت في فلسطين القديمة ، فقد وجدت في موقع مغارة جبل "قفزة" جنوب شرق الناصرة حوالي ستة عشر جثة[1]، ربما كانت كأول ملمح وشاهد أثري مادي حول ديانة المجتمعات العصور القديمة خاصة في العصر النيوليتي، وإلى جانب ذلك أول ظاهرة تلقت الانتباه في هذا المجال، ظاهرة إعطاء صفة التقديس من وجهة نظر الإنسان القديم إلى تلك القوة الخفية للخلق الجديد سواء كان إنسانيا أو نباتيا أو غير ذلك وأعطىلها رمز[2] معبر عنها، فاختار الأمومة الإنسانية، كرمز قريب يلمسه بوضوح في مجتمعه الإنساني، ويعبر في أبسط صور التعبير عن صورة من صور الخلق الجديد، ومن هنا بدأت فكرة آلهة الأمومة[3] وكانت هذه الفكرة قد ظهرت من قبل حسب ما جاء به الباحثون والاختصاصيون وتطورت مع العصور الأخرى المتتالية، ونجد عقيدة عبادة الأجداد أو عبادة الأسلاف فقد جسدت هذه العقيدة من خلال الجماجم البشرية المحنطة التي فصلت عن الأجساد، وتمت معالجتها وقولبتها بالجص بعد كشط اللحم عنها مع الحفاظ بها، ويستخدمها بالمناسبات والشعائر الدينية وهي تمثل مركز الفكر والعقل والروح خاصة ما نجده "بتل أسود" بسوريا التي اكتشفت فيها العديد من الجماجم المقولبة وكذلك "تل الرماد" هذا الموقع الذي كشفت فيه أنواع من الجماجم البشرية معظمها من النساء. [4]

أما الحديث عن نماذج التي تبين مدى تطبيق هذه الممارسات القديمة، فقد عثر على جرار خزفية مدفونة في الأرض تحتوي على هياكل عظمية لأطفال صغار، ويظن البعض من علماء الآثار أن بعض الموتى إنما كانوا يحرقون ومن المعروف أن حرق الجثث عادة غير معروفة عند الشعوب السامية، وكما جدت بموقع "جبيل" جرار خزفية كذلك وضعت فيها الموتى بشكل كأن الجثة الميت جالس وركبتاه منطويتان ومرتفعتان[5] وتبدو أن هذه الصفة كانت منتشرة بشكل واسع على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط خاصة والشرق الأدنى القديم عامة،

(1)- سلطان محسين، بلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ "الصيادون الأوائل"، ط1، الأبجدية للنشر، دمشق، سوريا، 1989، ص102.
(2)- الناضوري رشيد ، المرجع السابق، ص33.
(3)- نفسه ، ص33.
(4)- سلطان محسين، المرجع السابق، ص29-30.
(5)- مهران محمد بيومي ، المرجع السابق، ص113.

كما وجدت مقبرة بها امرأة شابة مستلقية على الجانب الأيمن ومثنية الأرجل وإلى جانبها طفل نائما برأسه على صدرها، وبين ذراعي هذا الطفل جثة غزال رمز للحياة والخصب.[1]

والمثل في هذا نجد تعدد الأشكال في عملية الدفن والسبب راجع إلى تعدد الأفكار وتنوع البيئات، وكما عرفنا أن الجماجم الإنسان كانت أحد المواد الرئيسية في تكوين المعتقد فقد رافقتها تماثيل أسطوانية الشكل تساعد على حمل هذه الجماجم المحنطة، والتي يعتقد أنها توضع فوق هذه التماثيل أثناء المراسم الدينية، ولم يعرف هل هذه العمليات تأسيس لتبارك المنزل وتحميه، أم أنها تجسيد للأموات في بيوت الأحياء.[2]

هذا التخمين ربما يلح إلى وجود اعتقاد ما بعد الموت والعالم الآخر، حتى ولو لم تكن المظاهر واضحة ودالة على ذلك.

ووجود الأدوات مدفونة مع جثة الميت خلال العصر الحجري الحديث والبرونزي، ليس معناه أن الميت سيبعث حيا ويستعمل هذه الأدوات، ولكن قد يكون معناه كراهة أن يستعملها الحي[3]، ذلك قد يؤثر جليا على نفسانية الفرد داخل المجتمع ، والفيلسوف "دوركايم" في كتابه "صور أولية للحياة الدينية" يؤكد أن الحفلات والأعياد والمجتمعات التي كان الإنسان البدائي يشهدها كانت تبعث في نفسه شعورا بالنشاط والقوة واللذة، ومن ثم يغمره الأمل والزهو[4]، بما في ذلك الطقوس والقرابين التي يقدمها مما تحمله من معاني الخلاص والصدق، وكانت المجتمعات التي تسكن لبنان القديم تدفن الموتى بالقرب من المنزل في ثلاث أنواع من المدافن، ذلك النوع الأكثر شيوعا، حيث تم عثور على نحو واحد و عشرون قبرا، وضعيات الجثة أو الهيئة في هذه المقابر معظمها على الجانب الأيسر مع الركبتين تصلا هي واليدين عند الصدر "شكل القرفصاء"، وقد وضعت بضائع في ناحية الحجر في تجاويف محملة بواسطة لوح مع وجود الفخار والحلي، كما تم استخدام المزهريات الطينية لدفن الأطفال

(1)- سلطان محسين، المرجع السابق، ص102.
(2)- سلطان محسين ، المرجع نفسه، ص30.
(3)- حسين عبد الله، تاريخ ما قبل التاريخ، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، مصر 2012، ص82.
(4)- نفسه ، ص100.

الصغار وبجانبها أربعة هياكل عظمية من كتف البقر[1]، مما نستنتج أن الحيوان ما زال يرافق الإنسان حتى في قبره ، ودليل على ذلك هو مدى تقديس الإنسان للكائنات الحية خاصة التي هي المدجنة والمستأنسة مثل البقر والحصان...الخ.

ولم يبقى المعتقد الديني على شاكلته الأولى بل تطور وأصبحت عملية الدفنتسجى في أوعية فخارية كبيرة، وقد اكتشف أكثر من" 1800" عملية دفن على هذه الطريقة بمنطقة "جبيل"[2]، حتى أنه مس منطقة كبيرة تمتد من وادي الفرات شمالا حتى حوض دمشق ووادي الأردن جنوبا[3]، ناهيك على بعض المواصفات الأخرى لم نتطرق إليها وهي متنوعة بتنوع الشعوب وتعدد ثقافتها لكن الهدف كان واحد وهو أن الفكر الديني بالمنطقة الساحلية لشرق البحر الأبيض المتوسط إنما يعز أن يتبلور في نمط التبعية وتسخير القوة الطبيعية في خدمة التواصل البشري واللابشر واستطاع المكنون الذي تم إنتاجه أن يمثل بصفة رسمية للإنسان القديم، وأصبح بمثابة زخر حضاري لا يمكن أن يستهان به، لأن تلك العادة على ما يعتقد أنها لم تكن تمارس لمجرد إشباع غريزة الجوع وإنما عكست معتقدات دينية آمنت بها تلك المجتمعات التي كانت تفكر بالموت مثلما فكرت بالحياة[4].

ومن مظاهر الإنتاج الفكري الديني العام خلال العصر الحجري الحديث، يتضح في الاعتقاد بوجود عالم أبدي بعد انتهاء الحياة الدينوية، وقد اعتبر الإنسان القديم لزوم ذلك الاعتقاد لاتصاله اتصالا وثيقا بعالم القوى الطبيعية التي تتحكم في إنتاجه الزراعي ومدى صلاحية ذلك الإنتاج، واعتبر نفسه مثالا آخر للحياة في أوسع مفاهيمها لا يختلف قليلا أو كثيرا عن الأمثلة الأخرى الحيوانية والنباتية والكونية من حيث انطباق حقيقة دورة الحياة والموت عليه،ولذلك شعر بضرورة لحاقه بظاهرة الخلود والاستمرار بعد الموت الدنيوي[5]، مع استمرارية الحياة قبله أو بعده، ولذلك نجده يقدم الأضاحي من أجل ضمان استمرار الوجود

(1)- Boustani(M .H) ; le néolithique du Liban dans le conteste proche-oriental état des connaissances, Annales d'histoire et d'Archéologie(A.H.A),Vol 12-13, Paris, 2001-2012-p20.
(2)- كارلها ينزر برنهردت، المرجع السابق، ص28.
(3)- سلطان محسين، (2008)، المرجع السابق، ص30
(4)- الناضوري رشيد (1976)، المرجع السابق، ص34-35.
(5)- سلطان محسين، (1989)، المرجع السابق، ص103.

للميت[1]، وكثيرا ما نجد أن التكهنات في العصور الحجرية بدت واضحة المعالم مقصودة غير وهمية بارتباطها مع عقلية الإنسانية القديمة، حيث أين نجد التكريس الفعلي مع جهود كبيرة لتنفيذ المفاهيم والمثابرة عليها، ولهذا نجد في العصر الحجري الحديث أو النحاسي على الساحل مقصدا لتلك الشعائر والتبريكات باعتبار المنطقة جغرافية في حد ذاتها تملك كل الإمكانيات لإظهار ذلك خاصة وأنها تطل على البحر، والخصوبة أمر يتجلى في أهمية الاهتمام والاستغلال في الدنيا واعتقاد ما بعد الموت، وقد بقيت الإشارة إلى أن الفن وخاصة التشكيلي منه إنما يتقدم خاصة في أواخر الألف الرابعة، عندما وجدت أدوات صنعت من النحاس[2]،خلال العصر الكالكوليتي[*] المتميز بثورته على المعدن، هذه المادة التي أصبحت لها دور كبير في ديانة المجتمعات القديمة لاسيما منطقة فلسطين وسوريا ولبنان وحتى منطقة الأناضول.(ينظر اللوحة رقم 01 و 02)

وبفضل التغيرات التي عرفتها المنطقة الساحلية الشرقية للبحر الأبيض المتوسط ، أصبح لزاما لدى الإنسان أن يعرف مدى تأثيره على الطبيعة و إستغلالها أحسن إستغلالا ، و هذا ما جعل الشعوب القديمة تبحث عن مناطق تتوفر فيها ظروف مناخية و اقتصادية من أجل الاستقرار و بناء الحضارة .

(1)- كارلها ينز برنهردت، المرجع السابق، ص28.

(2)- مهران محمد بيومي (1994)، المرجع السابق، ص115.

(*) -العصر الكالكوليتي: ورد في قاموس ما قبل التاريخ بأن أصل الكلمة افريقية ويعني بها النحاس والمعدن والحجر، وهي فترة زمنية حضارية عرفت فيها صناعة الأدوات من الحجارة مثل الفؤوس المصقولة، والفؤوس الحجرية إضافة إلى أدوات أخرى للمزيد ينظر:

André (L.G)-, Dictionnaire de la préhistoire, 2 édit –P.U.F, université saint-joseph-Beyrouth,S.d ; P216.

الفصل الأول

الوجود السامي في منطقة الشرق الأدنى القديم و بداية ظهور الحضارة الفينيقية

تمهيد

I- الهجرات السامية نحو منطقة الشرق الأدنى القديم

1- أسباب الهجرات

أ- الأسباب الطبيعية

ب- الأسباب الاقتصادية

2- طرق اتجاهاتها

3- تأثيراتها الحضارية

II- الفينيقيون على سواحل البحر الابيض المتوسط

1- أصول الفينيقيين

2- تسمية الفينيقيين

3- المدن الفينيقية :

-أ- جزيرة أرواد

-ب- مدينة جبيل

-ج- مدينة صيدا

-د- مدينة صور

-ه- مدن فينيقية أخرى

4- المدن الفينيقية في ظل الصراعات السياسية الإقليمية

تمهيد:

وكما عرفنا أن المنطقة الساحلية لشرق البحر الأبيض المتوسط وما يجاورها داخليا كانت مقر للوجود الإنساني منذ العصور الحجرية القديمة، ولاسيما الإنتاج المادي في الزراعة والصناعة والتجارة، هذا فضلا عن التغيرات التي حدثت عند اكتشاف المعادن ودخول في مرحلة فجر التاريخ بصورة واسعة مكنَت الإنسان التفكير نحو بدائل تخدم ثقافته ومجتمعه بشكل حضاري، ولعلَ الإطار الزمني الذي كان يحتوي هذه الفترة الممتدة من الألف السابعة قبل الميلاد حتى بداية الألف الثالثة قبل الميلاد خير دال على أن الفراغ البشري لم يكن ظاهر في المنطقة، بل العكس كانت هناك تحركات بشرية من قبل أقوام متفرقة جمعتها الضرورة البيئية والظروف الاجتماعية وحتى الاقتصادية منها.

I- الهجرات السامية نحو منطقة الشرق الأدنى القديم:

مع بداية الألف الثالثة ق.م ظهرت جماعات بشرية جديدة دخلت منطقة الشرق الأدنى القديم حيث حملت معها ثقافات متعددة غيَرت مجرى الحياة اليومية لسكان الساحل السوري، وقد كانت لهذه الجماعات دور كبير في بناء الحضارة وقيام دويلات سياسية جديدة هي كذلك أصبحت سند في تحول الإنسان نحو التحضر، ومن المعروف أن الجهة المحاذية للجنوب الشرقي في الساحل السوري كانت عامرة بالسكان من بدو ورحل وهي قديمة بقدم وجود الإنسان فيها تدعى بشبه الجزيرة العربية[*]منطقة واسعة الأرجاء، صحرائها كبيرة،وإطلالتها

---

[*]– تقع جزيرة العرب في الركن الجنوبي الغربي من قارة آسيا، وتعد أكبر شبه جزيرة في العالم، إذ يبلغ متوسط عرضها 700 ميل، وأقصى طول لها 1200 ميل، وبهذا نجد مساحتها الكلية تبلغ 86500 ميل^2، وتحيط بها المياه من جهات الثلاث هي البحر الأحمر من الغرب، والخليج العربي وخليج عمان من الشرق، وبحر العرب من الجنوب، وفيما يخص اسم الذي أطلق على الجزيرة اسم العرب، لقد اختلف العلماء على تحديد أصل هذا الاسم، فقد وجد نقش من عهد الملك الأشوري شلمنصر "3" (859 ق.م-824 ق.م) وقد ورد في هذا النقش اسم شيخ عربي اسمه "جنذب أوجندبو" ويمكن قراءتها بجندب العربي، كما يمكننا قراءة اسم "شلمنصر" بالعربية (سلم نصر) أو سالم أو سليم أو شلم، وتذكر مراجع أخرى أن العرب ذات أصلين، العرب البائدة (عادا الأولى وثمود والعمالقة وطسم وجديس، وأميم وجرهم الاولى وحضرموت)، العرب العاربة قحطان بن عامر هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام، للمزيد ينظر: كفافي زيدان عبد الكافي، أصل الحضارات الأولى، دار القوافل للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 2005، ص72.

وينظر: الظفيري أحمد بن محارب، العرب "أمة قائمة منذ 7 آلاف عام"، مجلة الدراسات عالم اليوم"، مستودع القيم والشيم ومهد الحضارة الإنسانية، العدد 1423، 2011، ص25، و ينظر: آل ناصر علي شداد، الذخيرة أنساب قبائل الجزيرة، طبعة مزيدة ومنقحة، ب ط، 2012، ص15.

العديدة على البر والبحر، وخرج من هذه المنطقة الساميون أبناء نوح عليه السلام منذ 3000 ق.م يهاجرون البادية تباعا[1]، عبر جماعات منتقلة عند أطراف الصحراء التي كانت دوما تتحين الفرص للنزوح نحو الجنوب والمراكز المتحضرة، قاصدة منطقة الشرق الأدنى القديم هي الأخرى تتمتع بمقومات وإمكانيات واسعة ذات قابلية ممكنة.[2]

-1- أسباب الهجرات:

إن الحديث عن الأسباب والدوافع التي أدت إلى ظهور الهجرات السامية وخروج أقوام شبه الجزيرة العربية إلى اتجاهات مختلفة، هو نفس الموضوع الذي يتحدث على أنَ الاتصال الجغرافي والبنية السطحية لصحراء الجزيرة كانت سهلة من حيث عدم وجود عوائق ولا حواجز تمنع ذلك، ومن أسباب هذه الهجرات نذكر ما يلي:

-أ- الأسباب الطبيعيــة:

تعتبر الأسباب الطبيعية من أحد الدوافع الرئيسية التي أدت إلى خروج الجماعات البشرية نحو منطقة الشرق الأدنى القديم خاصة فيما يتعلق بالمناخ والبيئة، وما تقدر عليه البراري من استقرارية للإنسان، و كانت أسلاف هذه الموجات يتمتعون في الأصل إلى حضارة عريقة قديمة في الطرف الجنوبي من جزيرة العرب، وكانت بلادهم في تلك الأزمات عامرة بأنهارها الدائمة الجريان وبأمطارها الغزيرة إلا أنها تعرضت إلى تغيرات مناخية وجيمورفولوجية، في نهاية العصر الجليدي في حدود 200.000 ق.م، الأمر الذي أدى إلى احتباس الأمطار واندثار الأنهر، فأخذ الجفاف ينتشر منذ ذلك حين في النطاق الصحراوي الحالي، مما اضطر الإنسان إلى الهجرة باتجاه أماكن ذات موارد طبيعية دائمة، فكان أن توصل هؤلاء السكان إلى شمال شبه الجزيرة العربية[3]، وبدأوا يتوزعون جماعات جماعات، فبدأت تظهر الهجرة الداخلية من الجنوب إلى الشمال، وانطلقت اغلب القبائل البدوية القديمة تتحرك من منطقة إلى أخرى بين حين قصير وآخر، وكانت الدوافع لهذه الهجرات هي نقص موارد الماء، وتغير مناطق الرعي

---

[1]- جيمس هنري بريستيد، العصور القديمة، ترجمة: داود قربان، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، لبنان، 1983، ص116.

[2]- أمهز محمود، المرجع السابق، ص126.

[3]- الذنون عبد الحكيم، بدايات الحضارة، ط1، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، 1993، ص27.

وتسابق مختلف القبائل والعشائر إلى استغلال هذه الموارد والمناطق والتحكم فيها[1]فضلا عن المنازعات والحروب الداخلية واضطرار الجماعات المغلوبة إلى النزوح عن مواطنها إلى حيث يتوفر لها الأمن والاستقرار[2]، وإذا كانت الهجرة الداخلية قد بدأت لفترة زمنية طويلة وبعيدة فلا شك في ذلك سوف تزداد حجم الهجرات وتتحول إلى خارجية بشكل واسع، وبينما عامل الجفاف الذي أصبح له دور بارز في الحركات البشرية، فلم يكن منتشرا بمنطقة الجزيرة فقط بل في كل أرجاء التي تجاورها بما في ذلك مصر، والمناطق التي تقع على حواف المحيط.

وحسب ما تطرقت إليه الأبحاث الحديثة حول مفهوم الهجرة الخارجية وأسبابها الحقيقية في منطقة شبه الجزيرة العربية، فالمنطلق كذلك ينطبق على أهل اليمن[*]، الذين أخذوا حيز كبير في شبه الجزيرة العربية وكما كان لها دور عريق في التاريخ الإنسانية، وبالتالي لا نستطيع الفصل بين هاتين المنطقتين، ويقول عدد من المؤرخين أن شبه الجزيرة العربية بما فيها اليمن كانت في الماضي أكثر خصوبة، وأمطارا مما هي عليه الآن، من ذلك رأي بعض العلماء أن المنطقة كانت في عصر البلايستوسين خصبة جدا وكثيرة الآبار والأمطار، إلا أن تغيرا طرأ عليها فأذاب الثلج، وازداد الجفاف وحوَل الأرض الرطبة إلى أرض يابسة وصحاري ورمال لا تصلح للإنبات ولا للحياة[3]، فبدت المظاهر جد مقلقة للسكان، وهنا أصبحت الظروف المناخية والجغرافية تحتم على الإنسان أن يهجر بلدته بحثا عن المناطق ذات وفرة غذائية.

وعن تاريخ الهجرة الأولى مع تغيرات المناخية فيذكر الباحث "محمد يحي حداد" أنها كانت مع بداية 4000 ق.م، وأما"حرب حسن" أعطى تواريخ متشابهة، حيث يقول "أن أول هجرة عرفها التاريخ العربي عام 4000 ق.م ، وثاني هجرة عام 3600 ق.م،وبلغت الهجرات

[1]-كاتب سيف الدين، المرجع السابق، ص18.
[2]-نفسه، ص19.
[*]—اليمن: يذكر المؤرخون أن اليمن يكاد يشمل جنوب شبه الجزيرة العربية، تلك المنطقة الواسعة التي عرفت لدى الكتاب القدامى باسم العربية الجنوبية أو العربية السعيدة، وقد ورد اسم اليمن في نصوص سبأ القديمة باسم "يمنات ويمنت"، والبديهي أنه اشتق من اسم اليمن الخضراء وعرفت عند اليونان ببلاد العرب السعيدة (ARABIC FELIX)، أما الإخباريين العرب سموها باليمن ليمنها والتيمن واليمين الكعبة، للمزيد ينظر: رحماني بلقاسم، حضارة العرب القديمة "الحضارة اليمنية نموذجا"، الكتاب الأول، مطبعة بغيجة، قسنطينة، الجزائر، 2009، ص61.
[3]-نفسه، ص210.

ذروتها ما بين 2500 ق.م و1500 ق.م[1]، والتدرج في هذه التواريخ كان له أثر في تطور عامل الهجرة عند الشعوب السامية والحامية.

وتبقى العوامل الطبيعية هي السبب وراء ظهور تلك الهجرات نحو منطقة الشرق الأدنى القديم بالرغم أن هذا الموضوع ما زال محل تضارب أراء المختصين والباحثين، ويبدو أن السبب في ذلك راجع لنقص المصادر الأثرية المادية الدَالة على ذلك.

وقد ترك الجفاف أثار بارزة على سطح الأرض، كما أثَر على سطحها وعلى أحيائها، واستمرت هذه الظاهرة الطبيعية حتى حوَلت طبيعة المنطقة إلى أراضي غلبت عليها الطبيعة الصحراوية وقلَت فيها الرطوبة، وهبط مستوى الماء تدريجيا، وظهرت الأملاح في الآبار، فتركت الأقوام هذه الأماكن قاصدة البحث عن العيش المستمر حتى ولو تطلب بذل جهود لا تحصى في البيئة[2] هذه الأخيرة التي أصبحت تحمل كل أشكال ومظاهر الصراع نحو مستقبل أفضل.

وفي فترة الجفاف لم يهاجر الإنسان فقط، فتبعته الحيوانات الضخمة أمام ذبول النباتات الكبيرة، ويرى العالم الايطالي "كيتاني" أن فترة الجفاف كانت دورية على شبه الجزيرة العربية[3]بما في ذلك المناطق المجاورة، وكما أن الجفاف كان أشد وأسرع في القسم الشرقي الذي يشمل الأرض التي تأخذ في الانحدار والميل نحو الشمال والشرق وتمتد إلى نهر الفرات والخليج الفارسي منه في القسم الغربي، ولذلك بدأت الهجرات من هذه المناطق قبل المناطق الغربية، وظهرت فيها البداوة بصورة أوضح[4]، وباستطاعة البشر أن يوفروا لأنفسهم متطلبات الحياة والتوجه نحو الإنتاج الحضاري.

كما لعبت الأحوال الجوية والمناخية دورا أساسيا في تحريك موجات الهجرة[5]، بما في ذلك الآثار التي ظهرت على مستوى سطح الأرض الداعية نحو التغيير والانطلاق إلى بداية جديدة ترقى إلى المستوى الحضاري المادي، وكما فرضت العوامل الطبيعية ضوابط محاور

[1]-رحماني بلقاسم،المرجع السابق ، ص211.
[2]-نفسه، ص212-213.
[3]-الخطيب محمد، المرجع السابق، ص9.
[4]-غلاب محمد السيد، المرجع السابق، ص361.
[5]-حافظ صلاح الدين، صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1982، ص15.

الهجرات السكانية من شبه الجزيرة العربية، وخطوط سيرها، وتمثلت في طرق القوافل التي ربطت الجزيرة بالأقاليم المجاورة وكذلك الطرق البحرية ربطتها بالأقاليم البعيدة.[1]

وقد بينت لنا الظروف الجغرافية التي أدت إلى الهجرة وهي البعد عن المحيط الهندي ووجود حواجز طبيعية جبلية متصلة ببعضها البعض، تمتد من بلاد الشام إلى اليمن، وتعرف جبال "السراة" وهي سلاسل جبلية موازية للبحر الأحمر، ومن الجنوب تحتضنها سلاسل جبلية أخرى تمتد من اليمن غربا حتى عمان شرقا[2]، ولهذا أصبحت الهجرة حتمية على شعوب الجزيرة العربية، بعد ظهور عصر الفطحل عند العرب والذي يتزامن أوروبيا مع العصر "فارم" [*]« WVRM »[3].

وخير دليل على هذه الموجات البشرية يقول "بورزاني" أن منطقة وادي "رم" كانت غنية بالمياه والأشجار بالعصور القديمة، وأنها شهدت نشاطا بشريا ملحوظا، وقد ترعرع فيها المنازعون خلال الفترة ما بين 6000 ق.م-3000 ق.م، لكنها بدأت تجف، وبدأت الرحلات تظهر، وقد تم الكشف عن أقدم خارطة جغرافية حجرية في التاريخ تدل على ذلك[4] مما يدل أن عامل الجفاف كان قد مس مناطق كبيرة في شبه الجزيرة العربية .

- ب-الأسباب الاقتصادية:

تعتبر العوامل الاقتصادية من أهم الأسباب الرئيسية وراء الهجرات البشرية القديمة المنطلقة من شبه الجزيرة العربية إلى منطقة الشام "الهلال الخصيب"، حيث يمثل الاقتصاد

---

[1]- أبو عيانة محمد فهمي، دراسات في جغرافية شبه جزيرة العرب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994، ص6.

[2]-الخطيب عفراء، المرجع السابق، ص374.

[*]- WVRM : هو إحدى العصور الجليدية بأوروبا (منطقة الألب) ويعتبر آخر مرحلة من نظام الجليديات الأربعة (جينز، مندل، رس، فارم)، وتتزامن مع مرحلة المد البحري العالمي بالبحر المتوسط (Tyrrhénien) للمزيد ينظر: محسن سلطان (1995)، المرجع السابق، ص26، كما تتزامن مع فترة السلطاني بالمغرب، وتتزامن مع الساوري بالصحراء بالبلايستوسين الأعلى، للمزيد ينظر، سحنوني محمد، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص28.

[3]-الظفيري أحمد بن محارب، الجزيرة العربية مستودع القيم والشيم ومهد الحضارة الإنسانية، مجلة الدراسات العالم اليوم، العدد 1493، 2011، ص12.

[4]-الغول علي فايز، الجذور التاريخية والمعمارية التي أثرت على التشكيل الفني للحروف العربية منذ نشأتها حتى الآن، منشورات عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، عمان، 2005، ص25.

العصب الحيوي وراء تحريك الإنسان فوق الأرض للعمل والمسايرة على النشاط الزراعي والصناعي والتجاري، وهذه الأنشطة لابد من حضور شروط ممكنة للقيام بها وهي البحث عن الموارد الطبيعية[1]، التي نفذت بالجزيرة ولعلَها تتوزع بمناطق أخرى مثل الشرق الأدنى القديم بصحرائه ،وأنهاره، وبحاره، خاصة بعد انتشار الطابع الصحراوي الذي لا يكفي إنتاجه من الغلال إلا للأعداد محدودة من السكان، بقدر معلوم، حتى أنَ هذه الإمكانيات ولو كانت قليلة على مستهلكيها فهي مؤقتة غير دائمة تتماشى والحجم كمية الأمطار التي تناقصت بشكل كبير أمام الجفاف المجفف.[2]

والبدو بطبيعتهم يحبون الترحال للبحث عن الكلأ والمراعي، وهم ليسوا بغرباء عن مواطن الحضارة المستقرة التي تحفهم، بل يرتادونها من حين إلى آخر للاستبدال منتوجات قطعانهم بما يحتاجونه من أسلحة وملابس[3].

لقد لعبت التجارة دورا بارزا في تأسيس طرق الاتصال بين الشعوب القديمة، خاصة وأنَ شبه الجزيرة العربية وبحكم موقعها الاستراتيجي، وثرواتها الطبيعية تمكنت من السيطرة على جزء هام من التجارة [4]،وكان على الإنسان القديم أن يوفر لنفسه ملجأ من الحصول على المواد الغذائية، والمعيشية، وهو الأمر الذي جعله يخرج من منطقته نحو المناطق الأخرى، وكذلك لمحاولة الحصول على السلع والبضائع مهما كان حجمها أو قيمتها ونقل التجارة والتبادل في السلم[5]، هذا مما أدى إلى وضع طريق يصل بين المناطق التي تتفرع منها التجارة، ففي جنوب غرب شبه الجزيرة العربية أو منطقة "نجران"، ومنطقة "وادي الدواسر" وجدت أدوات حجرية يعتقد أنها تنتمي إلى فترة سابقة للعصر الأشولي[*]وأنها تشير إلى

[1]-الذنون عبد الحكيم، المرجع السابق، ص27.

[2]-أمهز محمود، المرجع السابق، ص127.

[3]-الخطيب محمد، المرجع السابق، ص8.

[4]-خطيب العفراء، المرجع السابق، ص375.

[5]-الخطيب محمد، المرجع السابق، ص9.

[*]–الأشولي، ويعرف بالثقافة الأشولية(culture Achaulien) نسبة إلى سانت أشول (Saint Acheule) بفرنسا والتي عثر فيها لأول مرة على أدوات حجريةجديدة ، والتي تمثل الدور الثاني للعصر الحجري القديم الأسفل، ومن مظاهره ظهور أسلوب جديد لتشكيل ادوات حجرية، وتطورها من شكل المثلث إلى أن أصبحت بيفاسية(Biface) ذات الوجهين، ثم تطورت وأصبحت على شكل القلب (cordiform) وازدادت تطورا وسارت مستديرة الشكل (circulaire)، ويتم تقسيم الحضارة الأشولية إلى ثلاثة أقسام: الأشولي المبكر (ظهرت فيه الفؤوس ذات أشكال البيضاوية، والأشولي الأوسط (أشكال ثلاثية الرؤوس و السكاكين ذات النصلين)، والأشولي المتأخر (تظهر فيه الفؤوس اليدوية الصغيرة)، للمزيد ينظر: الخثعمي سفر

الاتصال بين شبه الجزيرة العربية والشاطئ الشرقي لإفريقيا[1]مما يدل على وجود علاقات تجارية بين المنطقتين.

كما نجد قيمة البضاعة أو السلعة من الضروريات المجتمعات القديمة سواء في المجال الداخلي أو الخارجي لشبه الجزيرة العربية ، فأينما نفذت البضاعة في مكان ووجدت في مكان آخر رحل إليها الإنسان وعمد في استغلالها، لأن إذا افترضنا أن المناطق القديمة التي كانت على ضفاف الأنهار وهي التي أصبحت ملجأ للاستقرار، فحتما أن منطقة الشرق الأدنى القديم هي المنطقة المقصودة للاستقرار فيها والاسترزاق من ثرواتها الطبيعية .

وتوجد أسباب سياسية وبشرية أخرى دفعت بسكان شبه الجزيرة العربية للنزوح نحو بلاد الشام بما فيها من نزاعات قبلية وغزو في الفائض السكاني.

-2- طرق اتجاهاتها:

لقد نتج عن الهجرات البشرية من شبه الجزيرة العربية طرق عديدة منها ما هو بري وبحري، وهذا حسب الأهداف ومتطلبات العيش بالرغم من أن السبب واحد، وقد اتفق معظم الباحثين وعلماء الآثار أن صفة هذه الهجرات كانت أكثرها سامية مع وجود العنصر الحامي، وبها تعددت الآراء والأفكار وكل نظرية تجزم بوجود الأصل السامي في منطقة من مناطق العالم القديم (المحصورة بين آسيا وإفريقيا) ، ومن بين هذه النظريات،النظرية الأولى كان من روادها "جون بترس" تقول أن أرض أرمينيا وهضاب آسيا الوسطى قرب جبال أرارات كانت هي المهد الأول للساميين، أما النظرية الثانية وتقول أن بلاد الرافدين هي أولى وجود الساميين لأنها أقدم أرض عمَرها نوح عليه السلام، وأما النظرية الثالثة فهي تذكر جزر البحر الأبيض المتوسط، والنظرية الرابعة ترتكز على أرض إفريقيا شمالا و شرقا ، أما النظرية الخامسة والأخيرة تقول أن جزيرة العرب هي التي مهدت للوجود الساميين الأوائل، ولقد دافع على هذه النظرية الأخيرة الألماني"سيرنجرو"،والإيطالي"كيتاني"[2]، وكل هذه النظريات ربما ارتكزت

سعد محمد، منطقة عسير في عصور ما قبل التاريخ، دراسة حضارية في ضوء المخلفات الأثارية، مجلة جامعة الملك آل سعود، العدد21، السياحة والأثار (2)، الرياض، السعودية، 2009، ص125.

(1)-الخطيب عفراء، المرجع السابق، ص376.

(2)- بروتوفيق، تاريخ العرب القديم، ط2، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1996، ص41-42.

على ملامح أثرية وأخبار الرَحالة والكتاب الكلاسيكيين ، لكن المتمعن لاتجاهات هذه المدارس يلاحظ أن تقريبا كل المناطق التي ذكرت، قد وجد فيها العنصر السامي.

أما بداية الوجود لهذا العنصر فالمرجح هي منطقة شبه الجزيرة العربية باعتبارها مهد ومهبط نوح عليه السلام وحتى آدم عليه السلام، وهذا ما اتفقت عليه كافة الدراسات التاريخية[*]من جهة ومن جهة أخرى إذا حللنا طبيعة وجود العنصر البشري وأين يوجد بكثرة نجد منطقة شبه الجزيرة العربية هي التي كانت آهلة بالسكان قبل غيرها من المناطق في العالم، باعتبارها خزان بشري هائل اتفق حوله العلماء أنه الموطن الأصلي للعناصر السامية والأمر الذي جعل من شبه الجزيرة العربية أحد أهم مراكز الهجرة العالمية وأقدمها في منطقة غرب آسيا[1]، كذلك الطبيعة الجغرافية للجزيرة دليل آخر على استقطاب الكبير للبشر، ومن المعروف أن الساميين كانوا كثيرون وبفروع متعددة .

وما أجمع عليه المؤرخون في أصل الساميين وعلاقاتهم بالعرب، كان له أثر قوي في الكتابات التاريخية الحديثة خلال القرن 20م و21م، أين يتم التوسيع من دائرة المعارف الأثرية والاجتماعية القديمة، وتعددت المعلومات في هذا الشأن خاصة على المستوى الأصول والفروع الشعوب القديمة رغم وجود الاختلافات العلمية.

وخروج الجماعات البشرية كان ذلك محل الاختلاف في تحديد الإطار الزماني لها لكن بشكل بسيط لا يؤثر على الكتابة والتدوين التاريخي من طرف المؤرخين، وأغلب الظن كانت الهجرة الخارجية في حوالي الألف الرابعة ق.م، وقد بين علماء الآثار أن الهجرات من شبه الجزيرة العربية لم تقتصر على سوريا وفلسطين والعراق، بل تعدتها إلى مصر حيث يعتقد أن جماعات المهاجرة عبر طريق السويس شمالا أو عن طريق جنوب الجزيرة، عبر مضيق باب المندب[2]، بما فيه المناطق المجاورة، وكانت أغلب الطرق الهجرة برية فهي سهلة وقد ربطت مصر بالمشرق العربي منذ أقدم العصور، ففي الشمال الشرقي من مصر وجد طريق بوادي

[*]ـمثل هذه الدراسات التاريخية نجد الدكتور جواد علي في كتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، والمكون من "عشرة" أجزاء وهي دراسة واسعة في المجال التاريخي، وأفرد الجزء (1) منه عن الساميين و أحوالهم و فروعهم وهجراتهم وأهم التغيرات التي طرأت عليهم .

[1]- الخطيب عفراء، المرجع السابق، ص374.

[2]- حافظ صلاح الدين، المرجع السابق، ص14.

الطحيلات الشهير، وطريق وادي الحمامات (طريق تجاري يربط نهر النيل بالبحر الأحمر)، ومن ثم المناطق الأخرى[1].

وحسب الدراسات الأثرية من بينها دراسة "بارتون" تؤكد أن الوجهة الأولى للساميين كانت بلاد مصر الذي اختلط فيها العنصر الحامي، فيكون بذلك الشعب المصري القديم أنه خليط لغوي بين الجنسين[2]،ويصف "فيليب حتي" الهجرات السامية تباعا الواحدة تلو أخرى، ففي سنة3500 ق.م كانت هجرة سامية إلى بلاد ما بين النهرين حملت العنصر الأكادي[*]، والبابلي [*] إليها[3]، هذه العناصر اعتبرها الأولى في زمن الهجرةوهنا نجد اختلاف مع الباحث "توفيق برو"الذي يرى أن أولى الهجرات السامية كانت محطتها هي منطقة وادي النيل وليس وادي الفرات[4].

وظهرت بعد الأكاديين، وبالتقريب في سنة 2500 ق.م،هجرة سامية أخرى حملت الأموريين[**]إلى سوريا الشمالية والكنعانيين[***]إلى السواحل اللبنانية والسورية(الساحل -

[1]- الغول علي فايز، المرجع السابق، ص26.
[2]- برو توفيق، المرجع السابق، ص46.
[*]ـ الأكاديون: شعوب سامية من منطقة الجزيرة العربية، ينسبون إلى أكَد وأكَاد من كلمة أكادو« AKADU » (أغادية) « Agadé »، وقد ورد اسم الأكاديين في النصوص السومرية بالألف الثالث ق.م في شروباك قارة وهي مواطن أرت نابشتم "في بلدة أور"، وأخيرا ذكرت في نصوص أبو صلابيخ المشابهة لنصوص "قارة " والمعاصرة لنصوص (إيبلا في سوريا، حيث أسس الأكاديون إمبراطورية واسعة كان أول حكامها شروكين"سرجون أكاد" حوالي 2334 ق.م-2279 ق.م .للمزيد ينظر: فرزات محمد حرب، مرعي عبد، دول وحضارات في الشرق العربي القديم، ط2، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1994، ص57-68.
[*]ـالبابليون: سموا بهذا الاسم إما بلبلة الألسنة، كما ورد في سفر التكوين من أن بني نوح عليه السلام لما ارتحلوا من المشرق وتركوا بالمنطقة، بنوا برج يبلغ السماء فبلبل الله تعالى ألسنتهم حتى صار بعضهم لا يفهم البعض الآخر ولذلك توقفوا عن البناء، وبابل كلمة عبرانية معناها البلبلة، وبعض الروايات تقول أن الأقدميين بنوا هيكلا ليجلسون فيه ولقضاء دعاويهم وفض خصوماتهم فسميت المدينة ببابل وأصلها على هذا باب إيل أي باب الإله، وقيل أصل اللفظة باب إبلو وهو إله القدماء الساميين للمزيد ينظر: نخلة المدَور جميل أفندي، تاريخ بابل وأشور، صححه (إبراهيم اليازجي)، طبع بيروت، 1879، ص8، وينظر: طه ياقر، بابل وبورسبا، ط1، مطبعة الحكومة العراقية، مديرية الأثار العامة، بغداد، العراق، 1959، ص2 وقد سميت بابل بـ Bâbhel-Bâbili-Babilu، وعند السومريين باسم كادينكيراكي: Kadingirraki، للمزيد ينظر:
Wallis (B. E.A) : Babylanian like and history, 2 ,Réimprimé, Kessinger, Rublishing,2003,p61.
[3]- سامي ريحانا ، شعوب الشرق الأدنى القديم ، نوبليس ، 2006،ص178
[4]- برو توفيق، المرجع السابق، ص46.
[**]- الأموريين: ويسميهم البعض بـ "العموريين" وأول شعب سامي عاش بسوريا ووفدوا إليها من شبه الجزيرة العربية حوالي منتصف الألف الثالثة ق.م (2500 ق.م)، وانتشروا بالشام والعراق وامتدوا حتى غرب الفرات واستقروا عند أواسط النهر، ومع بداية الألف الثانية ثق.م أسسوا دويلات صغيرة بسوريا وفلسطين وعلى حدود بلاد ما بين النهرين منها يمخاض وماري، للمزيد ينظر: عبده علي رمضان، تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضاراته منذ فجر التاريخ حتى مجيء حملة الإسكندر المقدوني، ج$_2$، (أناضول وبلاد الشام)، ط1، دار النهضة الشرق، القاهرة، 2002، ص69-70، وكذلك ينظر: بشور

الفينيقي)[1]،وكما نجد قبائل العموريين وهم نفسهم الأموريين الذي يرى فيهم "جون كلود" أنهم لعدة قرون قد سببوا القلق الدائم لمسؤولي المدن الذي كان يتوجب عليهم بشكل مستمر الصراع والمقاومة أو التحالف أو التفاوض مع العدو، وتبين بناءهم السياسي لا يقوم على الحوض الهيدروغرافي فقط، بل أيضا على أطراف الجبال، وكان عدد السكان القاطنين في الوديان والسهول الذين يكسبون رزقهم عن طريق استثمار أراضيهم وعن طريق التبادلات التجارية[2]، وهذا الوصف ينطبق على بعض المجتمعات التي كان همها الوحيد هو ضمان قوت عيشهم ويجرون وراء الكسب والأمن والاستقرار.

وظهرت بين سنة 1500 ق.م و1200 ق.م هجرة ثالثة حملت عناصر الآراميين[*]والعبرانيين[**] إلى سوريا المجوَفة(الكبرى) وفلسطين.[3](الخريطة رقم 01)

وكانت هذه الهجرات تارة تكون متعاقبة ومتتالية، وتارة أخرى متقطعة، لكن الجامع في ذلك أن الهجرة القديمة سواء أكانت سامية أو حامية لم تظهر دفعة واحدة، الأمر الذي يجزم على

أمل ميخائيل، المرجع السابق، ص78 وقد كان للأموريين دور كبير في سلالة أور الثالثة العراقية، وحسب المدونات السومارية، فإن لفظ العموريين كان يعرف بـ أموروم « Amurrum »، للمزيد ينظر:

Buccellati (G), The Amorites of The UR III period, istituto oriental di-Napoli, Naples,1966,PP 9-11.

[***]- الكنعانيين (Knaggi) فيما بين القرنين 18 و17 ق.م، وهي تعني في لغتهم الصباغة الأرجوانية، للمزيد ينظر: محمد صغير غانم، المرجع السابق، ص20 وتسمية كنعان وكنعانيين الواردة في التوراة، ليست مصطلحا توراتيا كما يتصور =البعض، بل هي تسمية قائمة قبل تحرير أسفار التوراة، والمصريون استعملوا هنا للفظ باسم "بي كنعان" « PeKanan » حوالي للألف الثاني في ق.م، للمزيد أنظر: فراس السواح ، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، دار علاء الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1993، ص250.

[1]- ريحانا السامي، المرجع السابق، ص179.

[2]- جون كلود مارغرون، المرجع السابق، ص93-94.

[*]ــ الأراميين: هم قبائل رحل عاشوا بشمال الجزيرة العربية، وهاجروا إلى سوريا في منتصف الألف الثانية ق.م ولقد ظهر اسم "أرام" في المصادر التاريخية منذ القرن 24 ق.م، كما ذكرته الوثائق الأشورية المبكرة بـ 1306 ق.م، حيث أسس الآراميون مدن ودويلات وسط بلاد ما بين النهرين وشمال سوريا وجنوبها منذ القرن 11 ق.م، للمزيد ينظر: عبده علي رمضان، المرجع السابق، ص135، وينظر: هنري عبودي، معجم الحضارات السامية، ط2، بروس برس، طرابلس، 1991، ص18.

[**]ــ العبرانيين: هم أحد فروع الساميين، نسب اسمهم إلى عابر أحد أجداد إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي اتى بهم إلى فلسطين، إذ سموا بـ "إبرام" العبراني بعد أن عبر الفرات إلى فلسطين، وفي القرنين 15 و14 ق.م ذكرت النقوش في بلاد ما بين النهرين وسوريا وفلسطين ومصر اسم"الخابرو" الذين كانوا نزلا وجنود وعبيد وظن بعضهم أن العبرانيين جزء من "خابرو"، وانتشر الاسم في أرجاء المنطقة، حيث نجد اسمهم مذكور في التوراة في سفر التكوين (13،4)، (17،39)، (15،20)، وسفر الخروج (15،1)، (16،1)، (19،1): ينظر الكتاب المقدس، العهد القديم، نسخة الكترونية ، واسم العبرانيين هو اسم بنو إسرائيل، شاء هذا الاسم في الفترة الممتدة بين النبي إبراهيم عليه السلام والنبي موسى عليه السلام، للمزيد ينظر: مهران محمد بيومي، مصر والشرق الأدنى القديم، "بلاد الشام"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1990، ص229.

[3]-ريحانا سامي ، المرجع السابق ، ص179

ذلك بغض النظر عن تعدد النظريات والمدارس، فالعوامل التاريخية هي التي تتحكم فيها أو حتى الظروف الداخلية المعيشية بين أقوام شبه الجزيرة العربية، وإنَ التفاعل الذي حدث بين

السكان الأصليين المحليين والمجتمعات الوافدة كان قوي ومتجذر في كافة المجالات منها الاقتصادية، والاجتماعية، والدينية، وحتى السياسية منها، هذا جعل مفهوم التأثير والتأثر يأخذ مجراه في منطقة الشرق الأدنى القديم.

-3-تأثيراتها الحضارية:

وعن مظاهر العلاقات بين الشعوب القديمة خاصة بين شبه الجزيرة العربية ومنطقة الشرق الأدنى القديم كانت قد أخذت نصيبا أكبر من عملية التأثير، حيث يصف المؤرخ "ل-كينغ" أن الساميين نزحوا من الجزيرة غربا إلى مصر منذ العهود القديمة جدا وأن العصر الحديدي بدأ في مصر بدخول هؤلاء الساميين إليها، أي أنَ المصريين قبل دخول الساميين لم يكونوا يعرفوا الآلات الحديدية، كما حملت هذه الشعوب معها الحدادة نقلا عن الحضارة السومرية[*]في وادي الفرات المجاورة لهم[1]، ولهذا يبدوا لي أنَ العلاقات كانت مبكرة أكثر ما هو متوقع زمنيا.

أدخلت العناصر السامية كذلك معها صناعات المعادن وخاصة النحاسية منها، وأتت بالديانات الوثنية[**] العربية وبفنونها ونظمها الاجتماعية، والسياسية، كما أن هؤلاء العرب

---

[*]- الحضارة السومرية: هي حضارة شرقية، تنسب إلى شعب السومري الذي هو ليس بسامي ولا هند و أوربي، بل من الشعوب التي ظهرت جنوب بابل مع بداية الألفية الرابعة والثالثة ق.م وهناك اختلافات كبرى حول أصل هذه الشعوب، وقد انتشر السومريين في الدجلة والفرات بشكل كبير، وكان تحولهم هو بداية للصراع في المنطقة، للمزيد ينظر:

Kramer (S .N), Sumerian Mythology (As study of spiritual and literary Achievement in the third millenuim) « B.C », forgotten Books, 2007, p 12.

وكذلك سموا بالسومريين نسبة إلى القسم الجنوبي الذي سمي بـ (شومر) أو (سومر)، وبعض الباحثين يذهب أن السومريين قوم أجانب نزحوا غلى العراق من موضع ما في شرق العراق أو شمال شرقه وذلك في منتصف الألف الرابعة ق.م، وسموا كذلك بالسومريين لأنهم هم الذين أدخلوا الكتابة والخواتم الاسطوانية وحتى النحت وفن العمارة، للمزيد ينظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج$_1$، "تاريخ العراق القديم"، ط$_2$، مطبعة "بغداد"، 1955، ص 89، 90.

[1]- حافظ صلاح الدين، المرجع السابق، ص 14.

[**]-كانت الديانة الوثنية في شبه الجزيرة العربية معظمها من الأصنام لها بيوت مقدسة و يطاف حولها ، و قد أورد المؤرخون أن عدد الأصنام بلغ حوالي مائة إلى ثلاثمائة و ستون صنما ، إضافة الى ذلك توجد ديانات اخري كاليهودية و المجوسية و الزنادقة والصائبة ، ومن أهماالآلهة نجد هبل ، مناة ، اللات ، العزى ، ود، ذو الشرى ، ذو الخلص .للمزيد ينظر: نعمة حسن ، موسوعة ميتولوجيا و أساطير الشعوب القديمة و معجم أهم المعبودات القديمة ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، 1994،صص85-88.

الساميين نشروا في مصر لغتهم، كما ظاهر في بعض النقوش المصرية القديمة[1]، حيث نجد المصريين يطلقون أسماء عامة على سكان المناطق الواقعة في الشرق من مصر، ومن شمالها

الشرقي مثل: عامر، شاسو، منيتو، أبونتيو، وغيرها، وأكثر شيوعها هي لفظة "عامو" لإقترابها من سكان الصحراء الشرقية وسيناء وسوريا وفلسطين،وشمال الجزيرة العربية، وكذلك عبارة (تـا- نثر) بمعنى أرض الإله وأيضا كلمة "بونت"[2]، وكل هذه الأسماء كانت تعبر عن دلالة قومية بوجود علاقات حضارية بارزة، وقد وجدت في النقوش المصرية ب(بني حسن)لوحة ملونة لأسرة سامية عربية يرجح أنها من فلسطين أومن شبه الجزيرة العربية خلال رحلة هجرتها إلى وادي النيل.[3]

ويذكر "رشيد الناضوري" في مجال التأثيرات الدينية انه لوحظ في منطقة الشرق الأدنى القديم تواجد بعض المظاهر الدينية الخاصة بالعالم الآخر كظاهرة الدفن الجماعي، إضافة إلى تواجد بعض الكتل الحجرية[*](Dolmen)والتي تمثل مظهرا أوَليا للأماكن المقدسة، ووجدت المقابر المسماة بالمقابر الخنجرية لاحتفاظ أصحابها بخناجرهم بجوار موتاهم، وكذلك المقابر الفخارية وبعضها جماعية، ووجود أجساد الموتى مفككة[4]، إضافة إلى تعدد الآلهـة ، حتى أنه ذهب بعض المؤرخين أمثالهم "كينغ" أن أقدم معبودات المصريين "فتاح" كان سامي الأصل[5]، هذا فضلا عن تأثيرات أخرى في مجالات متعددة مثل تقنيات الزراعة، والصناعة،والتجارة،وإدخال حيوانات جديدة كالحصان والجمل،وتأسيس المدن فقد ظهرت

---

(1)- حافظ صلاح الدين، المرجع السابق، ص 14.
(2)- رحماني بلقاسم (ج$_2$)، المرجع السابق، ص39-40.
(3)- حافظ صلاح الدين، المرجع السابق، ص 15.
(*)- الدولمن(Dolmen): وهي منضدة حجرية عبارة عن مقابر مكوَنة من غرفة تتراوح مسطحها ما بين أربعة أمتار وسبعين مترا مربع، وارتفاعها ما بين متر وثلاثة أمتار ونصف، وهي أشكال مختلفة، للمزيد ينظر: تولي محمد حسن، تاريخ العمارة (في عصور ما قبل التاريخ)، قسم العمارة وعلوم البناء، جامعة الملك سعود، ب ت، ص22 وينظر :محمد صغير غانم، معالم التواجد الفينيقي- البوني في الجزائر، دار الهدى، الجزائر، 2003، ص36.
(4)- الناضوري رشيد (1976)، المرجع السابق، ص128-133.
(5)- حافظ صلاح الدين، المرجع السابق، ص 14-15،- كما نجد هناك تأثير سامي بين العبادات المصرية وخاصة التماثيل منها الزخارف المعمارية والصناعية.للمزيد ينظر: رحماني بلقاسم، حرفوش مدني، الدور المصريفي جنوب شبه الجزيرة العربيةوالشرق الإفريقي، مراجعة: الناضوري سيد أحمد علي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1997، ص91.

الكتابات الأثرية في النصف الأول من الألف الثانية ق.م مدن يعتقد أنها كنعانية مثل عكو، وصور وجبيل وصيدا، وسيميرا.[1]

وخلافا على ما يعتقده الباحثون بأن التأثيرات كانت لها صبغة دينية أكثر ما هو اقتصادي أو اجتماعي، فقد ظهرت عناصر بشرية جديدة غلب عليها الطابع السامي، حتى نجد كلمة "الساميون" أصبحت تطغى في الكتابات التاريخية، بشكل كبير لاسيما وجدت مدارس ونظريات في هذا الشأن مثل المدرسة التي تزعمها "ولفنسون" في كتابه تاريخ اللغات السامية وهذا إنَ دَل على شيء وإنَما يدل على الدور الذي لعبته العناصر السامية وما حملته من أفكار وثقافات(دينية ،اجتماعية ،واقتصادية) كانت في غاية الأهمية لدى شعوب منطقة الشرق الأدنى القديم.

وفي المجال اللغوي لا ريب في ذلك كان هناك تأثير كبير لأقوام السامية خاصة على مستوى التصنيف الكلمات وعدد الحروف وما يقابلها من لهجات مختلفة، فقد ذكر "الكسندر موري" أنَه كان هناك وحده لغوية بين الشعوب السامية العربية وتزاوج قوي بين معاني هذه اللغة على مدى الأزمنة، ولم يكن هناك فرق كبير بين اللهجات المحلية واللهجة السامية وهي مقسمة إلى مجموعتين:

1- المجموعة الأولى تقع في الجهة الغربية وتضم جزيرة العرب وجنوبا بلاد أثيوبيا(الحبشة قديما) وكذلك الكنعانيين والعبريين والآراميين.
2- المجموعة الثانية وتقع في الجهة الشرقية وتضم الأكاديين والأشوريين بما في ذلك جزيرة الفرات([2]).

-II- الفينيقيون على سواحل شرق البحر الأبيض المتوسط:

وكما عرفنا سابقا أن الهجرات السامية قد توزعت بشكل كبير على منطقة الشرق الأدنى القديم ومنطقة الهلال الخصيب ، وكل عنصر أخذ موقعه حسب ما تحكمت فيه الظروف

---

(1)- الخطيب محمد، المرجع السابق، ص10-11.

(2)-Alexandre(M),Op .Cit, P272

الطبيعية،والاقتصادية،وحتى السياسية منها، ومن بين هذه العناصر نذكر كنعانيو الشرق أو الفينيقيون الذين تمركزوا على سواحل البحر الأبيض المتوسط شرقا حوالي الألف الثالثة ق.م وقبل أن نستشف أحوال هذا الشعب وأدواره السياسية والاجتماعية نتطرق للتعريف به وذكر أصوله وإشكالية التي دارت حول تسميته.

1- أصول الفينيقيين:

حسب ما ورد في الكتابات والأبحاث التاريخية في موضوع الفينيقيين تؤكد أَنهم قبائل سامية هاجرت من شبه الجزيرة العربية إلى شواطئ البحر المتوسط خلال الألف الثالثة ق.م[1]، ويشير المؤرخ اليوناني "هيرودوت" بأن الفينيقيين هم من شواطئ البحر الإريتري[2]، كما تشير الدراسات الحفرية أنَه تم العثور على مقابر بمنطقة "نجد" السعودية حاليا وهي تشبه مقابر فينيقية، وقد لمح الجغرافي "سترابون "أن معابد ومدن في الخليج العربي تشابه مثيلتها الموجودة على الساحل الفينيقي[3]، وقد أجرى "جيمس تيودورنت" سنة 1889م تنقيبا في آثار البحرين ودلت بعض أثار هذه التنقيبات في المتحف البريطاني على أنها من مقابر الفينيقيين قبل هجرتهم إلى السواحل السورية[4].

وكما أن "ويل ديورانت"أشار أن بعضا من علماء صور قالوا لهيرودوت أنّهم قدموا من شواطئ الخليج العربي الفارسي، وأنهم شيّدوا مدينتهم في القرن 28 ق.م، ويضيف لسنا نعرف منأين جاء الفينيقيين أو متى جاءوا[5]، والاختلاف والغموض هو راجع إلى تعدد الكتابات التاريخية ، والإثبات أمر صعب يتطلب أدّلة دامغة في صوب الجذور والنشأة، ويعتقد بعض

---

[1]- كاتب سيف الدين، المرجع السابق، ص68.

[2]- Hérodote ; Histoires,…….Livre (I), 01

- والقصد من البحر الاريتري هو البحر الأحمر بأطرافه الواسعة . للمزيد ينظر :

Anonyme, Le périple de la mer Erythrée,Tra:Wilford(H),Schaff(A.M), Green,London,1,1912

وكان المصريون القدامى يطلقون عليه إسم "يم مصرايم"،أما اليونان و الإغريق فأطلقوا عليه إسم "Sinus Arabicus".

للمزيد ينظر :الزوكة محمد خميس ، جغرافية حوض البحر الأحمر ، دار المعرفة الجامعية للطبع و النشر و التوزيع ، الإسكندرية ، 2003، صص09-10.

[3]- Strabon ; Géographie,… XIII,4.

[4]-مهران محمد بيومي، مصر والشرق الأدنى القديم "المغرب القديم"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص159.

[5]- ويل ديورانت، قصة الحضارة،ج2، (د،ت)، ص 310.

المؤرخين أنهم جاءوا من وطنهم في شبه الجزيرة العربية ومن بلاد اليمن وحضرموت بالتحديد، ويستدلون في ذلك بحمل الفينيقيين أسماء مركبة مثل عبد ملكارت (عبد الإله ملقرط)

وحنبعل، وأن جميع الأسماء التي من هذا النوع هي من أصل يمني[1]، والفينيقيون فرع من الكنعانيون سكنوا شطوط البحر والأودية وأرض كنعان وسهولها، ووطنهم الأصلي الخليج أو بلاد العجم، حيث سكنوا بقرب من بني كوش واتخذوا البحرين[*]مركز حكمهم[2].

ومن المعروف أن الكنعانيون هو لفظ مركب وعام يعكس طبيعة الشعب والحضارة، وأن الفينيقيون لفظ جزئي من الحضارة الكنعانية[3]، فأرض كنعان حسب التعبير التوراتي تضم كل فلسطين في غرب الأردن[4] كما تضم الأراضي المتاخمة لغرب شبه الجزيرة العربية، وبتعريف شامل تضم منطقة سوريا ومايجاورها من المناطق التي عرفت هجرات سامية متنوعة، وحاليا حسب المعرفة التاريخية يرمز للكنعانيين بأرض فلسطين.

وأصل تسمية كنعان هي واردة في التوراة، ليست مصطلحا توراتيا كما يتصور البعض، بل هي تسمية قائمة قبل تحرير أسفار التوراة[5]، وقبل التاريخ المفترض لدخول الإسرائيليين إلى كنعان، فقد استعملت النصوص المصرية تسمية "كنعان" منذ الألف الثاني ق.م، كما استعملتها المصادر المحلية في سورية، مثل نقش "أدريمي" ملك "ألالاخ" والذي يصف فيه هروبه إلى بلاد كنعان من وجه مغتصبي عرش أبيه ثم عودته المظفرة بعد ذلك[6].

---

(1) – الميار عبد الحفيظ، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية البونية في إقليم المدن الثلاث في ليبيا، منشورات جامعة الفاتح طرابلس، ليبيا ،2005، صص 17-18.

(*)– البحرين: كان عالم المسماريات (هـ.رولنسون) (H.Rawlinson) الأول من قال أن دلمون هي جزيرة البحرين، وعرّف دلمون بأنها البحرين كبلد وهذا ما اتفق حوله العلماء والباحثين منهم (س، أليدو) ودليل على ذلك ما ورد في حوليات الملك الآشوري (سرجون الثاني)، (721-705 ق.م)، ومن المعروف أن البحرين تقع حاليا بحواف الخليج العربي غربا، للمزيد ينظر: هيا علي جاسم آل ثاني، الخليج العربي في عصور ما قبل التاريخ، "صلات دلمون بأموروالأموريين (2050-1530 ق.م)، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، مصر، 1996، ص 23-27.

(2)- بورترهارفي ، موسوعة التاريخ القديم ، ط1، مكتبة مدبولي ،القاهرة ،1991، ص96

(3) - Moscati (S) ; Histoire et civilisation des peuples sémitique, Édition fon, Payot, Paris, 1955, pp 98-99.

(4)- بيومي محمد مهران، المغرب القديم .....، ص 158.

(5)- كتب سفر التوراة أو ما يعرف بأسفار الشريعة في عهد النبي موسى عليه السلام ، و ما عدا الإصحاح الأخير(سفر-التثنية) يعتقد انه كتب من قبل يشوع بن نون . للمزيد ينظر : ملاك محارب ، دليل العهد القديم ، مكتب النسر للطباعة ، أبناء الأنبا رويس ، الإسكندرية ، 1997، ص38

(6)- فراس السواح، المرجع السابق، ص 250.

وكما عرفنا سابقا أن لفظة كنعان إنما هي مشتقة من تسميات عديدة والغالب عليها أنها في لغة الحوريين(كناجي)"Kanaggi" تعني الصبغة الأرجوانية أوالقرمزية[1]، لكن الأمر الذي يدعو إلى التدقيق والتمحيص هو فهم نظرية التطابق بين تسمية كنعان وتسمية الفينيقيين، فالدراسات المتعلقة بنصوص أوغاريت، قد دعمت الآراء القائلة بمجيء الفينيقيين من الجنوب وهي منطقة شبه الجزيرة العربية إلى أن حطوا رحالهم في فينيقيا أي الساحل السوري[2]، وكذلك من المعروف تاريخيا أن الكنعانيين توطنوا الشواطئ اللبنانية السورية، الفلسطينية امتدادا من خليج اسكندرونة شمالا وصولا إلى غزة[*]، وعسقلان جنوبا مع بعض المستوطنات في الداخل مثل "مجدو" وأورشليم[**] وأريحا[3]، وهكذا لا يمكننا الفصل بين الكنعانيين والفينيقيين باعتبارهما شعب واحد .

2-تسمية الفينيقيين:

كان للشعب الفينيقي أهمية كبرى في تاريخ جيرانه لا سيما المجتمعات التي تقع شمالا انطلاقا من سوريا مرورا بهضبة الأناضول ونخص بذكر اليونانيون، فمصطلح "فينيقي" هو لفظ يوناني جاء في صيغة "phoinikes" وجمعه"phoinik"باللغة اليونانية ويمثل اللون الأحمر وشجرة النخيل، ويضيف " محمد حسين فنطر" على أن مصطلح فينيقي جاء في

---

[1]-غانم محمد صغير، المرجع السابق، ص 20.وينظر:حتي فيليب ،تاريخ سورية و لبنان و فلسطين ،تر:جورج حداد و عبد الكريم رافق ، مراجعة :نيكولا زياد ، ج01،دار الثقافة ، بيروت ،1958،ص58.

[2]- عبد الحفيظ فضيل الميار، المرجع السابق، ص 18.

[*]- غزة: بلدة كنعانية عربية، ذكرها ياقوت الحموي في كتابة "معجم البلدان" أن غزّ فلان بفن و اعتز به إذا اختصه ما بين أصحابه، والأرجح بمعنى (قوى) ومخازن، فسماها العرب بغزة أو غزة هاشم، وعند العبرانيون (عزه) و الكنعانيون (غزاني) وعند المصريون (غازاتو) و(غاداتو)، وعند الأشوريون (عزاتي)، واليونانيون (أيوني)، (مينودا)، (قسطنديا)، وقد بقيت هذه المدينة لمحافظة على اسمها العربي، وقد سكنها الاليفيموالعناقيون ذات القبائل الكنعانية، وكذلك المعينيين اليمنيين، للمزيد ينظر: هارون هاشم رشد، قصة مدينة غزة، منظمة اليونسكو، دائرة الثقافة، فلسطين، ب، ت، ص 12.15.

[**]- أورشليم: وهي أقدم مدن في العالم، كانت تعرف عند نبينا ابراهيم (عليه السلام)، بمدينة "ساليم" أي مدينة السلام وذكرت سنة 1913 ق.م و 1873 ق.م بجبل المريّا، وقد بنيت هذه المدينة على اربع جبال "صهيون، مريّا، وأكرا، بزيثا" ويحيط بها أودية، وكانت تحت الحكم الملك "ساليم"، وحسب الأقوال كانت مدينة لليبوسيين الكنعانيين وقد سكن المدينة بنو إسرائيل والنبي داود وسليمان (عليهما السلام)، للمزيد ينظر، سركيس خليل، تاريخ القدس المعروف بتاريخ أورشليم، ط$_1$، مكتبة الثقافة الدينية، الإسكندرية، 2001، ص 06،13.

[3]- ريحانا سامي، المرجع السابق، ص 179، 180.

النصوص المسينية[1] بصفة المؤنث « po-ni-ki-ja» ذات دلالة اللون الأحمر[2]،أما في اللغة اللاتينية فقد ذكر المصطلح باسم "poeni"[3] أما في اللغة المصرية القديمة ذكر المصطلح باسم "فنخو" "Fenkhu"(Fnhw)[4]،أو "فنكو" "Fenkou"(باللغة الديموطيقية) وكذلك باسم "خارو" "Kharou " وهي تعبير عن السوريون أو الفينيقيون[5]،وقد سمى المصريون القدماء البلاد التي يعيشون فيها الفنحو ب(نيجة) (Néga)و هي لبنان التي كانوا ينتسبون إليها ويأخذون منها أخشاب الأشجار ليبيعونه[6]،وكما تعني تسمية "phoinix" صباغة الأرجوان التي اشتهر فيها تجار الفينيقيون حوالي القرن 12 ق.م، ومنذ انطلاق التسمية اليونانية أصبح الساحل اللبناني يعرف بالفينيقيين "les phéniciens"[7].

حتى أن الجماعات الكنعانية نعتت بأصحاب البشرة ذات اللون البني نسبة إلى شجر النخيل، بالرغم من اتفاق العلماء على أن تسمية "فينيقيا" كانت يونانية، وفي النصوص الاكدية التي عثر عليها في منطقة نوزي (Nuzi) في العراق القديم تتضمن مصطلح (kinakakhi)وهي تعني اللون الأرجواني نسبة الى العنصر الكنعاني ، ويذكر "ماسبيرو" أن اسم "فونيقي" أو "فونيقين" أخذ من كلمة "أوبون" التي عبرت عنها أقدم الآثار المصرية عند بلاد العرب الشرقية وشاطئ خليج العجم من حيث جاء الكنعانيون[8].

---

(1)- النصوص المسينية : نسبة الى مدينة مسينا (ميسينا-Messina) مدينة ايطالية في جزيرة صقلية ، تقع على شاطئ مضيق معروف بمضيق مسينا ، و هي ثالث اكبر مدن صقلية ،ترتفع على مستوى بحوالي ثلاثة أمتار ، و تبلغ مساحتها حوالي 212كلم2،و تبعد عن كتانيا ب90كلم ، و عن باليرمو ب230كلم ، و لديها ميناء كبير طبيعي تجاري وعسكري. ينظر:البركي مفتاح محمد سعد ، الصراع القرطاجي الإغريقي من القرن السادس ق.م الى منتصف القرن الثالث ق.م و اثره على الحياة السياسية ،الاقتصادية، و الاجتماعية ،والدينية في قرطاجة ، مجلس الثقافة العام ، بنغازي،ليبيا،2008،صص137-148

(2)-. Fantar (M.h); les phéniciens et leur présence en Afrique du Nord, par de conférence, S.d, pp 01 ,02.

(3) -جيروم كركوبينو، المغرب العتيق، ترجمة: محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2008، ص 75.

(4)- lechant (j) ; Dictionnaire de L'Antiquité, P.U.F, Paris, 2005, p 1715.

(5)-Vandersleyen(G),l'étymologie de phoenix (phénicien),Phoenicia and the East Mediterranean in the first millennium B.C,Studia Phoenicia (Stu.Phoe), V, Proceedings of the conference held in Leuven from the 14th To the 16th of November,1985,PP19-20.

(6) -سلاطنية عبد المالك ، المستوطنات الفينيقية –البونية............المرجع السابق،ص81

(7)-غانم محمد صغير، المرجع السابق، ص 20.

(8)-ريحانا سامي، المرجع السابق، ص 182،183.

ونجد من الباحثين المعاصرين "عبد الحفيظ فضيل الميار" يؤكد أن كلمة "فونيكس" "phoenix" لا ترجع للإغريقية بل هي معرفة من كلمة سامية "فوني" التي هي صفة من كلمة "فوه" (اللون الأحمر)[1] والراجح ما اتفقت حوله الدراسات خاصة الحديثة منها أن أصل اسم "فينيقيا" ارتبط ما اشتهر بها شعوبها من الأرجوان الأحمر ووجود أشجار النخيل.

ومع دخول العصر البرونز في الساحل الفينيقي أصبح "اسم الفينيقيين" مرتبط بالمدن التي تشكلت وتأسست بفضل مجتمعاتها، فنجد من سكن مدينة صيدا يسمونهم بالصيدونيين، ومن سكن مدينة صور يسمونهم بالصوريين[2]، وهذا راجع بفضل التطور السياسي والاجتماعي الذي شهدته السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط، والتدرج في الأسماء والألفاظ ، كذلك ارتبط بالزمان، والمكان ، فضلا عن التأثير الأحداث السياسية ، خاصة وأن المجتمع الفينيقي عرف تحولات ، وتغيرات كبرى بما فيها الحروب والوقائع التاريخية التي حدثت في الشرق الأدنى القديم من قبل الشعوب المجاورة كالأشوريين مثلا .

ونستخلص من هذه المعلومات التاريخية أن معاني "فينيقيا" قد تعددت بتعدد اللغات القديمة، فيبقى الأمر ثابت حسب رأيي عند الأصول أما الاسم فقد تغيرمع مرور الزمن.

3-المدن الفينيقية:

بعد أن عرفنا أن الفينيقيين شعب سامي استطاع من خلال هجراته أن يكوّن مجتمعا له خصائصه، ومميزاته في منطقة الشرق الأدنى القديم على الساحل الفينيقي وبفضل التطورات في المنطقة خلال الألف الثانية ق.م يحق علينا أن نستشف أهم التطورات السياسية، والاجتماعية لهذا الشعب من خلال تأسيسه لمدن كانت معظمها ساحلية ما عدا القليل منها الذي كان داخليا، وكانت من العوامل التي ساعدت على ذلك نذكر ما هو طبيعي(الموقع الجغرافي والاستراتيجي)، وآخر اقتصادي(المادة الأولية)، ومن بين هذه المدن هي كالآتي:(الخريطة رقم 02)

---

(1)-ريحانا سامي ، المرجع السابق ، ص 183.

(2)- عبد الحفيظ فضيل الميار، المرجع السابق، ص 17.

-أ-جزيرة أرواد(Arwad)

وتدعى كذلك بـ (ARADUS)، تعتبر هذه الجزيرة في طليعة المواقع التاريخية الفينيقية الهامة التي تقابلنا إلى جنوب مدينة أوغاريت (رأس شمرا)، هذه المدينة قائمة على جزيرة صغيرة مجاورة للشاطئ[1]، وهي مركز حكمالأرواديين من بني كنعان، واشتهر سكانها بالقلاقل والثورات على من جاورهم وعلى حكام الأجانب من المصريين والآشوريين[*] والفرس[**]، وقد سيطرت ولايتهم على سكان السواحل والمناطق الداخلية للبلاد، كما خضعت لهم منطقة "حماه"، و"طرسوس" المسماةب"أنتيرواد"، و"عمريت" (أم العواميد)، وتسمى كذلك ب"ماراتوس" وفيها أطلال ناطقة بعظمتها وموقعها بشمالي أرواد[2]، وقد أشار "محمد بيومي مهران" على لسان الجغرافي "سترابون" أن سكان مدينة أروادهم من الصيدونيين الذين بنوها وشيدوها، وأن أرواد قامت في شمال فينيقيا على إحدى الجزر وتقابلها على الشاطئ "أرواد" الداخلية،واشتهر أهل أرواد بأنهم ملاحين مشهورين ،وكانت لهم فرق كثيرة في الأسطول البحري الفينيقي،ورسم على ظهر عملتهم الأولى "سفينة" رمز و شعار المدينة[3]،وكما كانت أرواد مدينة قوية و بلغت أوج تطورها من القرن الرابع عشر إلى القرن الثامن قبل الميلاد[4]، وقد تعرضت هذه المدينة لكثير من الأطماع الشعوب المجاورة[5]، وفي هذا المجال يشير "محمد صغير غانم" إلى التحالف الذي وقع بين "أرواد" و"صيدا" ثم "بيروت" ضد رّب

---

(1)-غانم محمد صغير، المرجع السابق، ص 22.

(*)– الآشوريين: فرع من الأقوام السامية هاجرت من الجزيرة العربية إلى بلاد العراق القديم رغم اختلافات حول موطنهم الأصلي، والآشوريين من كلمة آشور وهو كبير آلهتهم القديمة، وقد أطلقت الكلمة على أقدم مدنهم (قلعة الشرقاط حاليا)، وجاء اسم آشور في المصادر الآرامية والعربية على هيئة (آشور)، وفي المصادر المسمارية بـ (مات آشور)، وأشر تعني الرحمان، وقد حكم الآشوريين مدة زمنية طويلة، حيث نشأت مملكتهم حوالي (2000 ق.م-1600 ق.م)، ومن أهم حكامها نجد آشورأوباليط، وشلمنصر . للمزيد ينظر: طه باقر، المرجع السابق، ص 27، وكذلك ص 163، 174.

(**)- الفرس: ظهر الاسم قديما بلفظة (عيلام) "Elam" أو "Elymaîs" ، وعيلام ابن سام، وكذلك عرفت ببلد (باراس) (PARAS) واسم الفرس له علاقة بالآخمينيين، وفي الفترة الإسلامية نجد أطلقت عدة أسماء منها (الفرس) (FARS) والعجم (adjem)، وإيران (IRAN)، وقد تشكلت إمبراطورية الفرس كل من الميديونالليديون، وحسب سترابون أن الفرس أصبح ينسب إليهم الخليج الفارسي، بسبب ضمه أرجاء واسعة من هذا الخليج للمزيد ينظر:

-Dubeux (I), L’umiversou L’histoire et description de tous les peuples de leurs religions mœurs, coutumes….etc.), Firmin didot frères, libraires, paris, 18, p 01

-Strabon, XV, 3,1. وينظر:

(2)-سامي ريحانا، المرجع السابق، ص 184.

(3)– زايد عبد الحميد ، الشرق الخالد ،دار النهضة العربية ، القاهرة ،1966،ص247

(4)- Bunneus(G), Considérations géographiques sur la place occupé par la Phénicie dans l’expansion de l’empire assyrien, Stu.Pheo,I-II,S.d ,PP169-194.

(5)- مهران محمد بيومي، المدن الكبرى ...المرجع السابق، ص 278، 279.

(عدي) حاكم "جبيل" الذي كان مواليا لمصر[1]، حتى المرحلة التي كانت فيها أرواد قوية، وكثرت عليها الهجمات من كل صوب وحدب خاصة وأنها تمتلك ثروات اقتصادية مثلها كمثل بقية المدن الأخرى.

وقد احتلتها شعوب البحر[*] في غزواتهم في القرن 12 ق.م ثم وزاد تدميرها مرة أخرى على يد الآشوريين[2]، وقد كانت لمدينة "أرواد" أدوار أساسية أخرى منها الانضمام إلى الحثيين[**]، أثناء معركة قادش[***]حوالي سنة 1288 ق.م[3]، وقد خضعت للحكم القائد الآشوري (تيجلات بلاسر الأول) (1113 ق.م، 1074ق.م) منذ عام 1110 ق.م وبعد ذلك على يد القائد (آشورناصربال الثاني)(883 ق.م-859ق.م) وفي عهد(شلمنصر الثالث) (860ق.م- 825 ق.م) عام 850 ق.م[4]،وكانت الجزية هي الحاصل الوحيد لتلك الضربات الآشورية، مرة يدفعها الأرواديون ومرة يرفضون ذلك حسب الوضع السائد والظروف الممكنة.

---

(1)-غانم محمد صغير، المرجع السابق، ص 22.

(*)-شعوب البحر: وهي شعوب أجنبية عن منطقة الشرق الأدنى القديم جاءوا من مناطق جبلية جنوب غرب تركيا وبلاد الأناضول، وورد ذكرهم في بردية هاريس بأسماء عديدة نذكر منهم: تشاكارا(Tchakkara) بيليشيتا (péleshéta)، شاردانا (shardana)، كاشاشا (Quashasha)، شكلاشا (Shakalasha)، تورشا (Toursha)، لوكا (Louka)، للمزيد ينظر:
foucounau (j) ; les peuples de la mer et leur histoire, Ed : L'harmattan,Paris, 2003 pp08, 11.

(2)- حلمي محروس إسماعيل ، المرجع السابق، ص 156.

(**)- الحثيين: شعوب هندوأوروبية ظهروا خلال الألفية الثالثق.م بمنطقة هضبة الأناضول، واستقر بعضها حوالي 2300 ق.م 2000 ق.م أواسط هضبة شرقي نهرهاليس (قيزيل إرمقحاليا)، واسم الحيثيين كان يطلق أصلا علىالشعوب والقبائل المحلية المقيمة بالأناضول وكانوا يدعون بالحاثيين ببلاد الحاتي، أسسوا مملكة واسعة بالنصف الثاني من الآلف الثانية ق.م، وكانت لغتهم يدعونها بـ "تاشيلي" وقد تمركزوا خاصة بشمال سوريا وبلاد ما بين النهرين للمزيد ينظر:
Konstantin(N) ; Hittite fortification (1650-700 B.C) ; osprey publishing, U.S.A, 2008, p 04.
وينظر: فرزات محمد حرب، مرعي عيد، المرجع السابق، ص 173-174.

(***)- معركة قادش: تقع مدينة قادش بالحدود السورية اللبنانية وتدعى بـ (Kinse) (كينز)،ذكرت في الألواح المسمارية على شكل (قدشا) ، وعند الجغرافيين العرب ب(قدس) ، ويعرف الموقع اليوم ب(تل النبي مندو) ، وقعت فيها معركة بين الفرعون المصري (رمسيس الثاني) وملك الحثيين (مواتاليش أومواتالي) حوالي 1301، 1300 ق.م (حسب التوقيت الزمني عند المصريين القدامى) اليوم التاسع في الشهر الثالث من أواخر ماي في السنة الخامسة من حكم رمسيس الثاني، حيث انطلقت المعركة باليوم 18 بمنطقة (كاموحرمل) مرورا بنهر العاصي حتى تل المعيان، وكان الجيش المصري تحت قيادة آمون ودامت المعركة يوم واحد، وانتهت بمعاهدة السلام، للمزيد ينظر:
Healy (M), Qadach 1300D.C, clash of the worior Kings, édit : illustré ospreypublishing, U.S.A, 1993, pp 42-48.
و ينظر :الحلو عبد الله ، سوريا القديمة ، الكتاب الأول ،ط1،ألف باء الأديب، دمشق ، 2004،صص568-569.

(3)-غانم محمد صغير، المرجع السابق، ص 22.

(4)-أبو محاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 28.

-ب- مدينة جبيل:

مدينة فينيقية قديمة، ذكرت في النقوش المسمارية، بجبال GEBAL (GU-Ba-lu) وبالعربية تحت اسم "جبيل" (GEBEIL)، وباليونانية (بيبلوس) (Byblos)، وحتى في الفترة الرومانية بقيت تدعى باسمها اليوناني[1]، وعادة ما نجدها تحت اسم "جبلا"، وعند المصريين باسم (Kapna) "كبنا" وهو اسم غير سامي[2].

تقع هذه المدينة على الساحل الفينيقي بين "طرابلس" و"بيروت" وهي مقيمة على تل صغير يشرف على البحر حيث يوجد خليج صغير ، وإلى الشرق منها يشرف عليها جبال لبنان الغربية[3]، وحسب "فراس السواح" أن مدينة "جبيل" ظهرت مع مطالع العصر الحجري الحديث وبقيت مسكونة مع العصر البرونزي[4]، وما نلاحظه عن هذه المدينة أنها تمتلك أهمية واسعة من حيث مكانتها الجغرافية والسياسية، وحسب التنقيبات التي أجريت مابين 1920م-1925م، قد أسفرت على أن المدينة كانت مأهولة في عصور مختلفة منذ الألف الثالثة حتى الألف الثانية ق.م[5].

وقد كانت لمدينة جبيل علاقات وطيدة مع مصر الفرعونية حيث يشير "رشيد الناضوري" أن العلاقة كانت مبكرة وفق الآثار التي عثر عليها، كالمعبد الذي احتوى على العديد من الآثار المصرية وبصفة خاصة الأواني المرمرية، ومن ناحية أخرى عثر على تمثال الإله المصري إيزيس حاتحور[*] غربي مدينة "بيبلوس" كما عثر على خاتم أسطواني للملك "خفرع" سجل عليه "محبوب حاتحور"[6]، وقد ورد اسم المدينة في نصوص اللغة المصرية القديمة التي

[1] - Ernest renan (M) ; Mission de Phénicie, imprimerie impériale, Michel Lévy Frères éditeurs, Paris, 1864-1874, p 153.

[2] - غلاب محمد السيد، المرجع السابق، ص393

[3]- نفسه، ص 393.

[4] - فراس السواح، المرجع السابق، ص 248.

[5]- أبو محاسن عصفور، المرجع السابق، ص 29.ومن علماء الآثار في منطقة جبيل نجد العالم الأثري موريس دونان M. Dunandو الذي كشف عن معبد اثري و أدوات حديدية كسيف له غمد ذهبي و دروع وناووس أحيرام. ينظر :جان مازيل ، تاريخ الحضارة الكنعانية .... ، صص44-45.

[*]- تتحدث أسطورة أدونيس وأوزوريس عن جبيل وعلاقاتها مع جيرانها في العهد القديم، للمزيد أنظر:
Ernest Renan(M), Op.Cit, pp153-154.

[6]- الناضوري رشيد، المرجع السابق، ص 326.

وجدت بطيبة "بداية الأسرة "الحادية عشر" تحت اسم "أموكيني" بمعنى أهل جبيل، ولذلك نجد في بردية "أيبور" يذكر في كلامه "...توقفت اليوم الرحلات إلى جبيل..."[1]، وهذا دليل على أن العلاقات كانت قوية بقوة وكثرة الرحلات بين البلدين، وتتضح علاقة مصر بجبيل بشكل أكثر عن طريق قصة النبيل "سنوهي" الذي غادر مصر في عهد الملك "سنوسرت الاول"(1971ق.م-1928ق.م) إلى سوريا هاربا من بطشه ، وأقام بقرب من "جبيل" عدة سنوات ثم عاد إلى بلاد فيما بعد[2]، وبحسب نماذج العلاقات المذكورة يتضح أن عوامل عديدة أدت إلى إظهار هذه الصلة كان غالب عليها الحاجة الاقتصادية و القرب الجغرافي والامتداد الطبيعي بما فيه العامل السياسي الذي تميزت به المدن الفينيقية خاصة من خلال المرحلة التي دخلت فيها مصر مع الأسرة الحادية عشر و الثانية عشر و الثالثة عشر وما صاحبه من اضطرابات داخلية.

وعن الأدلة التي تشيرالى العلاقات بين مصر و"جبيل"،تم عثور على أختام أسطوانية من الأسرة "الثالثة" و"الرابعة" وأواني قرابين تحمل أسماء "خع سخموي" "الأسرة الثانية" و"خوفو"،ومنكورع "منقرع" "الأسرة الرابعة" ، وكما وجدت أخشاب الأرز اللبناني المستخدمة في المقابر والمعابد المصرية[3]، وقد وردت في الآثار أن جبيل كانت قد انحازت إلى مصر أثناء الصراع هذه الأخيرة مع الحيثيين ، بينما كانت معظم المدن الفينيقية الأخرى تناصر الحيثيين [4]،وأن "جبيل" خضعت للنفوذ المصري في أغلب عهودها[5]ولم تضعف علاقة جبيل بمصر إلا في أعقاب غزوات شعوب البحر المدّمرة التي اجتاحت الساحل السوري ودمرت الكثير من المدن الفينيقية، ودليل على ذلك عندما تلقت بعثة "آمون" من طرف الملك "حرحون" حوالي 1090 ق.م الإهانة من طرف الأسير "زاكربعل" حاكم جبيل[6]

[1]- أمهز محمود، المرجع السابق، ص 179.
[2]- غانم محمد صغير، المرجع السابق، ص 24.
[3]- أبو محاسن عصفور، المرجع السابق، ص 29، 30.
[4]- غانم محمد صغير، المرجع السابق، ص 24.
[5]- بيومي محمد مهران، المدن الكبرى .... المرجع السابق، ص 280.
[6]- غانم محمد صغير، المرجع السابق، ص 24، 25.

-ج- مدينة صيدا:

تقع مدينة صيدا على بعد 45 كلم إلى جنوب من بيروت، وعلى بعد 40 كلم شمالي صور، على سهل ساحلي شديد الخصوبة، ووافر المياه، ولكنه ضيق اتساعه إلى نحو ميلين، وينحصر بين السفوح الغربية لجبال لبنان الجنوبية بين البحر وقلعة صيدا الحالية التي تسمى بـ "قلعة البحر" التي ترجع إلى زمن الحروب الصليبية[1]، وقد اشتق اسم صيدا نسبة الى صيد السمك، التي كانت محملة صغيرة لصائدي الأسماك، وعرفت عند الآشوريين، اسم "صيدونا" وباللاتينية "صيدون" أو "صيدونيا"، وفي الآثار المصرية بـ "صيدونو"، وفي اللغة العبرية "صيدون"، هذا وتنسب التوراة لمدينة صيدا إلى "صيدون" وقيل إنه الإبن الأكبر لكنعان بن حام بن نوح[2]، وسماها الصليبيون بـ "ساجيتا" بمعنى السهم في اللغة اللاتينية[3]وفي الكلام التوراتي نلاحظ أن الكنعانيين الفينيقيين حاميون وليس ساميون، وهذا بالرغم من قطع الأدلة العلمية على الأصل السامي لهذه الشعوب، وربما الخلافات راجعة للاعتبارات سياسية ودينية.

وتعتبر صيدون "Sidon" من أقدم مدن الفينيقيين تدعى بأم مدائن وهي مقسمة إلى قسمين: "صيدون" الكبرى وهي على الشاطئ، و"صيدون" الصغرى وهي على مسافة قصيرة باتجاه الجبل[4]، وتعدد التوجهات الجغرافية لهذه المدينة هو الذي أعطى لها نوع من الاهتمام الكبير من طرف المؤرخين القدامى، وكذلك أجلب لها شعوب قديمة من أبناء عمومة مؤسسيها، فتركت آثار ما زالت باقية إلى يومنا، وقد اشتهرت المدينة بقوة تجارتها مع المدن المجاورة لها بحرا وبرا، وقد تزعمت "صيدا" المدن الفينيقية في الفترة الممتدة من القرن الرابع عشر ق.م حتى بداية القرن الثاني عشر ق.م فأصبحت من أشهر المراكز الفينيقية الهامة في شرقي البحر الأبيض المتوسط، استطاع بحارتها التجار أن يكونوا علاقات تجارية باكرة

[1]- حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 153، 154.
[2]- مهران محمد بيومي، المدن الكبرى ....المرجع السابق، ص 281، 282.
- ورد نسب صيدون الى كنعان ابن نوح في التوراة "...و كنعان ولد صيدون بكرة و حثا ...وبعد ذلك تفرقت عشائر الكنعانيين ...". للمزيد ينظر : سفر التكوين (15:10-19).
[3]- حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 154.
[4]- ريحانا سامي، المرجع السابق، ص 186.

مع منطقة الدلتا بمصر، وهناك أسسوا مراكز لهم في منف[*]، ووقفت صيدا في عهد ازدهارها في وجه الهجومات الآشورية وخاصة في عهد ملوكها نذكر منهم "لولي-إيتو- بعل"، و"عبدي-ملكوتي"، واستمرت في ازدهارها ذلك حتى مجيء غزوة شعوب البحر[1]منهم الفلستينيون الذين استقروا جنوب الساحل الفينيقي، وقد استعملت تسمية الصيدونيين للدلالة على الشعب الفينيقي، سواء من قبل الفينيقيين أنفسهم أم من قبل من احتك بهم تلك الفترة[2] التي تزامنت مع تطور المدينة وتفوقها البحري.

-د- مدينة صور:

تقع مدينة صور أي الصخرة على بعد 40كم جنوب مدينة صيدا، وتعتبر من أعظم المدن الفينيقية جميعا[3]، ومعنى اسمها الحقيقي صخرا أو حجرا، وقد قسمها "سامي ريحانا" اعتمادا على الجغرافيون الأقدمون إلى مدينتين:

- الأولى جزيرة صغيرة غير بعيدة عن الشاطئ وكانت محصنة.
- الثانية على اليابسة وموقعها في محلة رأس العين الحالية، ولم تكن في أول أمرها إلا أكواخا من القصب يتخذها الصيادون مقرا لهم[4].

ولقد ذكرت"صور" لأول مرة في التوراة بشكل مفصل ومن مقتطفاته يقول: ".... هاأنذا عليك يا صور فأصعد عليك أمما كثيرة، كما يصعد البحر أمواجه..."، ويضيف قائلا: ".... وكانت إلي كلمة الرّب قائلا، وأنت يا ابن إنسان ارفع رثاء الصور وقل لصور الساكنة عند مداخل

[*]– منف: هي إحدى مدن المصرية القديمة، وأحد عواصم الملك المصري "نعرمر" في الأسرة "الأولى" و"زوسر" بالأسرة "الثالثة" وتدعى بـ "إنبحج" وتأتي في الترتيب الثالث بعد "نخن" و"ثنى" ونعني بها الجدار الأبيض، حيث تقع غرب النيل على بعد "3" كم وعلى 20كم جنوب القاهرة، وقد عرفت أسماء عديدة نذكر منها "توت نحج" و" غنج ترنى" و"حتبتاح" للمزيد ينظر: بيومي محمد مهران، المدن الكبرى... المرجع السابق، ص 16-18.

[1]- غانم محمد صغير، المرجع السابق، ص 122.

[2]- فراس السواح، المرجع السابق، ص 251.

[3]- مهران محمد بيومي، المرجع السابق، ص 285.

[4]- ريحانا سامي، المرجع السابق، ص 186.

البحر...."[1]، ومن خلال هذا الوصف نجد أن مدينة صور كانت لها أهمية عظمى على الساحل الشرقي للبحر المتوسط.

وتبعد مدينة صور بنحو 95 كم جنوب بيروت، ولقد بنيت في الأصل على جزيرة تبعد عدة أميال من البّر، وعن تأسيسها يذكر "هيرودوت" قائلا: "...سافرت بحرا إلى مدينة صور في فينيقيا، وسمعت بوجود معبد كبير ومقدس لهيراقل...."[2]، وعندما سأل "هيرودوت" الكهنة عن تاريخ بناء المعبد، قيل له هذا المعبد قد بني في نفس الوقت الذي تأسست عام 450 ق.م، بـ 2300 سنة، ولهذا يروج تاريخ التأسيس المدينة حوالي 2750 ق.م[3]، وعلى هذا الذكر يمكننا أن نستخلص فكرة رئيسية بأن مدينة صور قد ضربت بجذورها نحو العمق في المجال النشأة ومراحل تشكلها، ولربما موقعها الجغرافي والاستراتيجي الهام هو الذي جعلها محل الاختلاف بين المؤرخين والباحثين بدليل كثرة أدوارها التاريخية.

وتشير الأساطير القديمة أن مدينة صور كانت قد سكنت في أول أمر من طرف الآلهة الذين سلموها فيما بعد للجبابرة[4]، وتذكر الأسطورة الفينيقية أن صور كان يرمز لها صفة المرأة[5].

وكان لمدينة صور أدوار سياسية واقتصادية كبرى أبرزها ربط العلاقات الحضارية بين المدن المجاورة لها، وتتجلى ذلك في فترة ملكها "حيرام"[*] الذي عاصر الملك سليمان عليه

---

[1]- الكتاب المقدس، سفر حزقيال، إصحاح(26-03)و(1:27-3)

[2]- Hérodote, II, 4

[3]هيرودوت ، يتحدث عن مصر ، تر: محمد صقر خفاجة ، شرح: أحمد بدوي ،القاهرة ، 1966،صص140-141
–يحدد بعض المؤرخين زيارة هيرودوت لصور بـ 460 ق.م، وتأسيس المدينة بـ 2760 ق.م للمزيد ينظر:
Du Sain(A), Histoire de la marine…………Op.Cit, p 82.

[4]- غانم محمد صغير، التوسع الفينيقي، المرجع السابق، ص 26.

[5]- Lechant (J), Op.Cit. p 1715.

[*]–حيرام: أو أحيرام(Hiram)، ملك صور والفينيقيين عامة، اسمه قد صاغ على نحو التالي "حورام أبي" (HuramAbi) أو (HouranAbi) أو (Hiram Abi)، كما ذكر إسمه في التوراة مع تاريخه المفصل، ولد حوالي 1003 ق.م، توفي أبوه وسنه 7 سنوات، بدأ حياته السياسية وسنه 17 أو 18 سنة، وتوفي عام 958 ق.م، ومن المعروف تاريخيا قد بنى للملك سليمان معبدا كبيرا من الخزف المزيّن: للمزيد ينظر:
Amme- Maire (M) ; Hiram ou la parole perdue, Ed: public Book, Paris 2001, pp 13.22.

السلام، وهذا الأخير الذي استعان بالملك عند تشييده للهيكل ومعبد أورشليم[1] وازدهرت المدينة في عهد حكامها ما بين عام 1000 و 500 ق.م أشهرهم "أبي بعل"وبعده(935 ق.م-919 ق.م) وعبد عشتارت (918 ق.م، 910 ق.م) وإيتو بعل[2]،الذين استطاعوا أن يؤسسوا لصور مكانة مرموقة بين جيرانها في العهد القديم.

وعن طبيعة النظام السياسي الذي كان سائدا بهذه المدينة نظام دويلات المدن[*]، حيث كان لكل مدينة مكوناتها الخاضعة بها، وعلى رأسها حاكم بالوراثة، قد ينتقل الحكم منه إلى أسرة أخرى، وتنزع الإمارة وتسلب بشكل كبير، ولم يكن سلطان الأمير أو الحاكم أو الملك استبداديا مطلقا وهكذا انتظم الفينيقيون في جماعات صغيرة يرأس كل منها ملك يستقرون حول المدن المحصنة تحيط بها مناطق زراعية تابعة لها[3]، فكانت تنتقل الزعامة السياسية من مدينة إلى أخرى مثلا مدينة "أوغاريت" في القرن السادس عشر ق.م، و "جبيل" بالقرن الرابع عشر ق.م، و"صيدا" بين القرنين الثاني عشر والحادية عشر ق.م، ومدينة صور بعد القرن الحادية عشر ق.م،ومن بين الظروف التي استطاعت أن توفر الفرص انتقال الزعامات ذلك الفراغ السياسي الذي حدث أثناء خروج شعوب جديدة بمنطقة الشرق الأدنى القديم فرضت نفسها على المناطق المتاخمة بسوريا وبلاد ما بين النهرين.

-ه- مدن فينيقية أخرى:

بالإضافة إلى المدن التي ذكرناها سابقا توجد مدن أخرى هي كذلك فينيقية ولعبت دور كبير في الحضارة الفينيقية من خلال مواردها وموقعها الجغرافي والاستراتيجي، ومن أهم هذه المدن:

---

[1]- Anquetil ; Précis de L'histoire universelle ou tableau historique, T 01, imprimerie de lesguilliez, frères, Paris, S.d, p 111.

[2] -أبو محاسن عصفور، المرجع السابق، ص 39، 40.

[*]– دويلات المدن: ونسميه بنظام دويلة المدينة أو المدينة المستقلة، التي كانت تمثل كيانا سياسيا قائما بذاته، وظهر هذا النظام عند اليونان بشكل واسع وطبق كذلك بالمدن الشرق الأدنى، فكل مدينة لها سيادتها وحريتها، للمزيد ينظر: لطفي عبد الوهاب يحيى، مقدمة في نظم الحكم عند اليونان والرومان "دراسة في حوض البحر المتوسط"، ط2، مطبعة دار النشر للثقافة، الإسكندرية، 1958، ص 11-12.

[3]-بيومي محمدمهران، المدن الكبرى... المرجع السابق، ص 272.

- سيميرا: وتقع جنوب "عمريت" وقريبة من مصب النهر الكبير، منهم "لانرمان" أنها لم وتدعى كذلك بـ(سيميريا)،كما جاء ذكرها عدة مرات في الآثار المادية التي تذكر أن الملك "ربعدي" "أمير جبيل إلى الفرعون المصري" "إخناتون"[*] (1367-1350 ق.م) نراه قد وجد نفسه في مشكلة بسبب هجوم بعض الشعوب لمدينة سيميريا، وبما أن مدينة جبيل كانت على مقربة من سيميريا فإنه قد أصبح في خطر، و كانت مدينة سيميريا قد استولى عليها أمير أمورو "عزيرو" والفرعون "اخناتون" كان يحاول استعادة هذه المدينة[1].

عرقـا: وهي معروفة حتى اليوم بهذا الاسم، وكانت من مدن فينيقيا الكبيرة.

طرابلس(الشرق): لا يعرف كيف كان اسمها قبل أن يسميها اليونان بـتريبوليس« Trepolis » أي المدن الثلاث، ومن المعروف أن الأروادييناوالصيداويين بنوا هناك ثلاثة أحياء فسميت طرابلس[2] .

قلموس: ويرجع أنها القلمون حاليا.

جيفارتوس: يحتمل أن يكون موقعها في قرية "أنـفة" الحالية.

ترياريس: وموقعها بين طرابلس وجبيل.

ثاوبروسيون: أي وجه الله حسب التسمية اليونانية، وهي اليوم وجه الحجر.

البترون: روي يوسيفوس[**] أن "إيتوبعل" ملك صور هو الذي بناها وهي من أهم المدن

---

[*]- اخناتون: أو أمنحوتب الرابع، وهو ابن أمنحوتب الثاني بن تحوت مرسي، تولى العرش الحكم في الشهر الخامس من التقويم الزمني في السنة الثامنة والثلاثين من حكم والده أي يناير سنة 1377 ق.م، رغم منافسة أخواته في الحكم، فقد مكث اخناتون في منف ثم طيبة بالسنة التاسعة وعشرون من حكم والده، ثم عاش بهليوبوليس، وكوَن إمبراطورية واسعة خلال الدولة الحديثة في الأسرة "الثامنة عشر"، وتميز حكمه بصراعه مع كهنة آمون، وإعلانه لدين جديد، للمزيد ينظر: دونالدريدفور، إخناتون ذلك الفرعون المارق، ترجمة: بيومي قنديل، دار الوفاء الدين للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1999-2000، ص68-75

[1]- بيومي محمد مهران، المدن الكبرى (ج$_2$)....، ص287.

[2]- فيليب حتي ، المرجع السابق ، ج1، ص89.

[**]- يوسيفوس: إسمه الكامل "تيتوسفلافيوسجوزيفوس"Titus Flavius josephus" (37 ق.م، 100 ق.م) وبالعربية يوسف وهو ابن ماتاتياهو، كهنوتي أروستقراطي، مؤرخ يهودي من مقاطعة يهودا الرومانية، وكما يدعى بفلافيوس ابن كريون اليهودي، حيث نجده عاصر الحرب الرومانية (66ق.م-74 ق.م)، وشارك فيها إلى جانب "جاليلوس" بحلول ربيع 67 ق.م، له كتاب بعنوان "تاريخ اليهود"، للمزيد ينظر:

الفينيقية القديمة، تقع جنوب طرابلس ، سماها الاغريق "بوتريس"(Botrys).[1]

بيروت: يقول المؤرخ "لانرمان"(Lenormant) أن الجبيليين هم الذين أسسوها، وكانت مدينة مقدسة عبر العصور ، حيث كانت تتفاخر كجبيل بأن الإلـه "إيل" هو الذي بناها[2] فقد ذكرها "غانم محمد صغير" باسم "بيروتا" وقال أن معلوماتنا عنها في العصور القديمة هي قليلة، ولا نعرف إلا أنها كانت ما بين المراكز الفينيقية التي يعود تأسيسها إلى حوالي القرن 15 ق.م، وكانت في غالب الأحيان تتدهور في فلك مصر خاصة في عهد قوتها، وقد دمرت عدة مرات ثم أعيد بناؤها[3]، ولهذا نجد مدينة "بيروت" لها مكانة سياسية منذ الفترات القديمة رغم المشاكل التي واجهتها مثلها مثل المدن الأخرى.

خلدو: وكانت محل خلدة الحالية.

يوزفيريون: موقعها محل الحية الحالية، وتسميتها تعود للفترة اليونانية.

سربتا: وهي الصرفند الحالية، وكانت ذات غنى وأهمية كبرى، ومنذ القرن الثاني عشر ق.م خضعت لصور، وكان بين صرفند وصور عدة مدن صغيرة منها "تازانا" التي سميت بعد ذلك بـ "قيصرية" و"إفانا" حيث تدعى حاليا بـ "أخوية عدلون".

سوعة: وتقع جنوبي صور، لا يعرف موقعها اليوم.

أوسى: وسماها اليونان "اسكندرونة"، وذكرت في الآثار المصرية بـ "أوسى"

كيكتا: وهي الآن أم العواميد.

أكوبيا: المعروفة بالزبيب اليوم.

Flavius josephus, life of josephus, Tra ; Steve (M), Library of congress, Brill, U.S.A, 2001, IX.=

و ينظر: يوسيفوس اليهودي، تاريخ اليهود، تقديم الراهب أنطونيوس الانطوني، ط$_1$، دار الطباعة المصرية، 2006، ص 07.

[1]- غانم محمد صغير، المرجع السابق، ص23.وينظر: سامي ريحانا، المرجع السابق، ص184

[2]- سامي ريحانا ، نفسه ، صص184-185

[3]-غانم محمد صغير، التوسع الفينيقي،.. ص 25.

عكا: وسماها اليونان "بتولماليس" قبل أن تعود إلى اسمها القديم "أكو" أو "عكو"[1]، وتعتبر من أقصى المراكز الاستقرار الفينيقي جنوبا، وتعرضت مثل معظم المدن الأخرى لغزوات متعددة أهمها تلك التي استولى عليها الملك "سنحريب" بحملة ثالثة، وتلك التي أخضعها فيها الملك "أشوربانيبال" بقسوة بعد ثورتها ضده[2]، ولقد كان لمدينة "عكا" دور بارز في الحضارة الكنعانية الفينيقية أثناء ازدهارها، الشيء الذي يتطلب العناية بدراسة هذه المدينة وما حملته من ثقافات متعددة.

- بعلبك: وهي من المدن الفينيقية الساحلية ، تقع شمال سهل البقاع ، عرفت في العهد الإغريقي باسم "هليوبولس"(Héliopolis)وتعني مدينة الشمس[3].

4- المدن الفينيقية في ظل الصراعات السياسية الإقليمية:

لقد عرفت بلاد الشرق الأدنى القديم تحول سريع وتغيير واضح في المجال السياسي والحضاري، وهذا من خلال الصراعات والنزاعات بين القبائل والدول والمدن التي كانت آنذاك سائدة، أي في حوالي الألف الثانية والأولى ق.م، ولعّل أحد الأسباب والعوامل التي انجر إليها المتصارعون وهو التنافس الشديد حول السيادة الإقليمية ، واكتساب المواقع الإستراتيجية ومدى الحصول على توسع داخلي على المناطق المجاورة، وكانت المدن الفينيقية هي الوجهة الأولى ضمن الشعوب القديمة، خاصة وأنها تقع على سواحل البحر الأبيض المتوسط، وعندما نرى ذلك الهجوم الذي سيطر بفعل تحركاته قد مس الشريط الساحلي لسوريا كلها وزاد توغله داخليا تماشيا مع الخطط الحربية، ومن أبرز تلك الشعوب التي تحركت عسكريا نجد الحيثيين والأشوريين وحتى المصريين القدامى ، ففي مصر نجد بعض الفراعنة الذي استطاعوا بفضل حنكتهم وقوتهم أن يقضوا على عدة تحالفات سورية وفينيقية.

[1]- سامي ريحانا ، المرجع السابق ، صص 185-186
[2] - أبو محاسن عصفور، المرجع السابق، ص52
[3]-Dummar(J.P), Lebanon, Encyclopedia, Universel Lebanon company, 2004, P71-72

فلعل اخطر تلك التحالفات، ذلك الحلف المشهور الذي قضى عليه الفرعون العظيم "تحوتمس الثالث"(*) (1490-1436 ق.م) في مدينة مجدو بدمشق(أرام)حوالي 1468 ق.م والذي كان يتزعم هذا الحلف هو أمير قادش(1)،وقام "تحوتمس الثالث" بحملات عديدة في بلاد الشام و في حملته الثامنة من حكمه الثالث و الثلاثون هاجم دولة الميتانيين ، وأمر بصنع السفن في جبيل من أخشاب الأرز(2)، وكذلك يبدو واضحا من الآثار المادية في عصر ملك الفرعون أمنحوتب الثالث (1405-1367 ق.م)، وأمنحوتب الرابع "اخناتون" (1367-1350 ق.م) أن الملوك الفينيقيون جميعا حاولوا الحصول على فوائد من الفرعون المصري بعضهم على حساب البعض فكان معظمهم هؤلاء الملوك يوجهون رسائلهم بصفة شخصية، وأدى بهم الأمر إلى طغيان المدن على جارتها حتى البعض منهم أعلن الانضمام إلى أعداء ضد الأخرى مثلما حدث حين ثارت صيدا في وجه صور(**) وأعلنتا خضوعهما لأشور(3)،وهذا راجع لعدم وجود توحيد سياسي في نظام واحد يستطيع أن يجمع بين المدن الفينيقية وكذلك كثرة المصالح الإمبراطوريات الكبرى داخل منطقة الهلال الخصيب.

وقد تحدث أحد ملوك مدينة "ماري"(***)يدعى "يهدون سليم" في نهاية القرن 19 ق.م بعبارات دونها على تسع قطع فخارية خبأها في أسفل بناء معبد "شاماش" « Shamash »

(*)–تحوتمس الثالث: هو أحد فراعنة مصر في الدولة الحديثة، حيث اختلف العلماء حول مولده، فالبعض يقول أنه ابن تحوتمس الاول فيكون أخ الملكة (حتشبسوت)، والبعض الآخر يعتقد أن أباه هو "تحوتمس الثاني"، فيكون ابن الأخ "حتشبسوت"، وقد زعم "تحوتمس الثالث"، أن "تحوتمس الثاني" قد أوصى له بأن يأخذ العرش من بعده، لكن قد نافسته الملكة "حتشبسوت" في الحكم، ومن أجل هذه الأخيرة أن توقف ذلك الصراع فقد زوجته ابنتها وبالتالي يصبح تابع لها، حيث تولى الحكم من 1490-1436 ق.م، كانت له عدة إنجازات سياسية وحربية، منها الحملة التي وجهها ضد مدينة "مجدو" في 22 عام من حكمه، وكذلك على منطقة النوبة...الخ.

للمزيد ينظر: مجموعة من المؤلفين، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور" مصر القديمة"، لجنة التاريخ والآثار، الهيئة المصرية العامة، 1997، ص197-310.

(1)-بيومي محمد مهران، المدن الكبرى، ...المرجع السابق، ص274.

(2)-صالح عبد العزيز ، الشرق الأدنى القديم ، "مصر و العراق"، ج1، ط6، مكتبة الانجلو- المصرية ، القاهرة ، 1997،ص586

(**)- في عهد الفرعون سيتي الأول أعلن ملك صيدا "زيمردا" الثورة ضد مصر متحالفا مع الحيثيين بينما كانت صور تابعة لمصر، و في عهد رمسيس الثاني (1290ق.م-1224ق.م)، و عندما دخل الساحل الفينيقي واستقبلته صور لأجل تخليصها من سيطرة صيدا، فلما سمع ملك صيدا و بعد أن عرف عدم استطاعته للمواجهة أعلن الخضوع و دفع الجزية . للمزيد ينظر : الخوري منير ، صيدا عبر الحقب التاريخ ، المكتب التجاري ، بيروت ، 1966،ص49-51

(3)- بيومي محمد مهران، المدن الكبرى ...المرجع السابق ، ص 274-257.

(***)- ماري: هي تل الحريري حاليا ذات موقع جغرافي هام في حوض الفرات الأوسط، حيث كانت أهم مركز للتجمع السامي الغربي في وادي الفرات، وكان لها امتداد منذ عصور الأسرات السومرية المبكرة حوالي 2800-2370 ق.م، وكما =تعرضت للنفوذ الأكادي وسلالة أور الثالثة (2113 ق.م-2006 ق.م) وقد قامت مملكة ماري حوالي 1820-1782 ق.م أي

عن حركته العسكرية التي قام بها في سوريا، وعلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط، وحسب رأيه هو الوحيد الذي وصل إلى البحر بفضل حنكته ومهارته وقوة بأسه[1]، ولاشك في ذلك أن المدن الفينيقية قد عانت من هجمات هذا الملك وما خلفه من دمار هائل.

وخلال أعوام (1244 ق.م و1208 ق.م) فقد قاد "توكولتا- نينورتا الأول" الملك الأشوري حملة جديدة نحو مناطق "زاغاروس" الشرقية ولهذا نجده يتباهى في حولياته عن هذه الحملة أكثر من 28 ألف جندي حثي عند اصطدامه بالحيثيين بديار بكر(أميدو)، وبهذه الحركات استطاعت الإمبراطورية الأشورية تأمين التجارة وطرق المواصلات الدولية حتى الهضبة الإيرانية، وهذا الملك لم يسيطر فقط على المدن السورية وسواحل البحر المتوسط بل حتى المدن الفراتية[2]، وكل ما كان يحدث خلال هذه الفترة خاصة أرتبط بالتنافس حول التوسعات الجغرافية على حساب الجيران وما ينحدر عنه من زعزعة الاستقرار تلك التشكيلات السياسية الحديثة.

ونجد الملك "تجلات فلاسر الأول" (1116 ق.م-1077 ق.م) قد دشن عصرا جديدا اتجاه المناطق التي شكلت قوس الدائرة الجبلي من الفرات الأعلى حتى زاغاروس، حيث وجد في حولياته نمطا متشابها لحوليات جده "توكولتي نينورتا"، فشدد على إبراز الانتصارات العسكرية، ونجح بحملاته العسكرية ضد الأموريين عند هضبة تدمر[*]، ثم تابع تقدمه نحو الشاطئ السوري وفرض الجزية على ممالك "بيبلوس" و"صيدون" و"أرواد"[1]وهذا ما جاء

الربع الأخير من القرن 19 ق.م، ولم تدم أكثر من 60 عاما، وقد حكم هذه المدينة عدة ملوك نذكر منهم "حمورابي- زيصيري ليم-باجيد ليم-ياسماخ أدد ابن شمش أدد...ألخ وكما عرفت هذه المدينة بسجلاتها الأثرية التاريخية (ذكرت فيها الحياة الاقتصادية والسياسية للمملكة. للمزيد ينظر: محمد عبد اللطيف محمد علي، سجلات ماري وما تلقيه من أضواء التاريخ السياسي للمملكة (حوالي 1820-1760 ق.م)، ب ط، جامعة الإسكندرية، 1985، ص6-23.

[1]- جان كلود ، المرجع السابق ، ص72.

[2]- بشور أمل ميخائيل ، المرجع السابق، ص138-135.

[*]–تدمر: هي من أقدم المدن في الصحراء السورية، فأول إشارة لهذه المدينة ظهرت على لوحة من كولتيه وهي تذكر شخصا اسمه "بوزور عشتار" التدمري (PUZUR ISHTAR) في عهد سرجون الأول خلال الألف الثاني ق.م، كما ذكر التدمريون في نصوص ماري بالقرن 18 ق.م، وكذلك بالقرن 14 و13 ق.م، وفي حوليات الملك الأشوري "تغلات فلاسر الأول" بالقرن 11 ق.م، وقد ربط العلماء تدمر بشجرة النخيل (PALMYRA)، وقد بقيت تدمر قرية بسيطة من منتصف القرن 1 ق.م، وكانت تنافس جيرانها في الشمال البتراء والجنوب تيماء، والجوف (دومة الجندل) عند الطرف الجنوبي لوادي السرحان (السر). للمزيد ينظر: مادون محمد علي، تفاعلات حضارية على الطريق الحرير "تدمر"، ب ط، دمشق، 1995، ص8-9، وكذلك: عدنان البني، خالد الأسعد، تدمر أثريا، تاريخيا، سياحيا، ط$_2$، مطبعة سوريا، ب ت، ص15.

[1]- بشور أمل ميخائيل، المرجع السابق، ص145-146.

في النص الأتي للملك تجلات فلاسرالأول :"...صعدت من جبل لبنان و قطعت هناك أخشاب الأرز من اجل معبد اله أدد و أنو...ووصلت الى أمورو و فتحتها بكاملها ، ثم تلقيت الجزية من جبيل و صيدا و أرواد ، ومن أرواد أبحرت على سفينة فينيقية الى منطقة سيميرا بمسافات متقطعة ، و في وسط البحر قتلت حيوان ضخم يدعى (نهيرو)..."[1]، وكل ما تقدم إليه هذا الملك يعتبر نصرا عظيما للدولة الأشورية وتراجع كبير للحيثيين والذي حمل في طياته تغير سياسي في المنطقة الواقعة شرق البحر المتوسط تعدد بين ما هو سلبي وآخر ايجابي.

ومع دخول عصر جديد للدولة الأشورية مع الملك "حدد نيراري الثاني" (912 ق.م-891 ق.م) ظهرت فتوحات أخرى مستهدفة منطقة أورارتو في الغرب، وكذلك البلاد الواقعة وراء الخابور تحت سيطرة الآراميين[3]، وفي عهد الملك "تيكولتي نينورتا الثاني"(891ق.م-884ق.م)،أخضع مدينة "بيث زماني"[*]الآرامية و زاد توسعه نحو سواحل البحر الأبيض المتوسط[4].

وفي العصر الملك "أشور ناصربال الثاني" (884 ق.م-859 ق.م) انتشرت الجيوش الأشورية في البلاد السورية وتجاوزتها حتى حدود لبنان ، فقد زحف بنفسه على حملة عسكرية ضد الممالك الآرامية بين الفرات الدجلة ، حيث عاملهم بكل قسوة لمنع حدوث أي تمرد ضد الأشوريين[5]،وبعد ذلك توجه من أرض "حاتي" إلى الساحل الفينيقي مستهدفا مدن فينيقية وهذا ما يذكره في نصه الآتي :"...وسرت على جانب جبل لبنان ودخلت البحر الأعظم وهناك غسلت أسلحتي وقدمت القرابين للآلهة ، وأخذت الجزية من ملوك صور ، وصيدا ،وجبيل ، ومحلاتا ، ومايزا و كايزا ، وأمورو وأرواد ، من فضة و ذهب ونحاس والأصواف والكتان والحيوانات والأخشاب والعاج وحصان البحر ، ثم توجهت بعد ذلك الى جبال امانوس

---

[1]-Luckenbill(D.D),Acient Records of Assyria and Babylon,v01,The University of Chicago Press,Chicago,1926,p98(302-306)

[3] ـ صالح عبد العزيز، المرجع السابق، ص586.

[*]ـ بيث زماني: هي مدينة أرامية قديمة واقعة قرب منابع الدجلة بالعراق القديم. للمزيد ينظر:ألبير أبونا، الآراميون في التاريخ، ط1، دار المشرق الثقافية،دهوك،العراق، 2010، ص27.

[4] ـ ألبير أبونا، المرجع نفسه، ص27-28

[5]-مورتيكات أنطوان، تاريخ الشرق الادنى القديم، تعريب: توفيق سليمان وعلي أبو عساف وقاسم طوير، د.ت، ص288

و قطعت أشجار السرو والأرز و قدمت قرابين للآلهة ..."[1]، وكان هدف هذه الحملة اقتصادي بدرجة الأولى ، ومرتبط أساسا بالتجارة في منطقة الشرق الأدنى القديم والسيطرة على مسالكها[2].

أما بالنسبة "شلمنصر الثالث" (859-824 ق.م) فقد اتبع خطة أباه في السيطرة على الساحل الفينيقي و زاد من توسعات الإمبراطورية الأشورية متجها نحو الغرب و الجنوب الإمبراطورية[3]، وفي سنة 858 ق.م تقدم الملك نحو المتوسط وفرض الجزية على المدن-الممالك، وقطع الأخشاب، وعاد معه أربعة ألاف و ستمائة أسير[4]، ووجه حملات عسكرية اتجاه الغرب ووقعت عدة معارك أهمها معركة "القرقر" عام 853ق.م[5]وفيها واجه واصطدم بتحالف ضخم ضم إثني عشر ملكا تزعمه الملك دويلة دمشق "هدد عزر" ومللك حماه "أرهولينا" بمشاركة أربع مدن فينيقية بين عامي (849-848 ق.م)[6]، وتتضح المشاركة الفينيقية فيما يلي :"عشرة ألاف جندي وعشر عربات من مدينة "إرقانا" ، مائتين جندي من ملك أرواد "متنوبعل" ، ثلاثون عربة من ملك مدينة شيانو "أدن بعل" ، ومائتين جندي من مدينة "أوسناتو"،أما ملك دمشق فقواته تتكون من ألف ومائتين عربة وألف ومائتين حصان وعشرون ألف جندي، وأما ملك حماه فقواته تتكون من سبعمائة عربة وسبعمائة حصان وعشرة ألاف إلى عشرون ألف جندي[7]،وفي سنة 842ق.م وعام الثامن من حكمه توجه شلمنصر الثالث للمرة السادسة نحو الفرات و حاصر الملك دمشق و أخذ الجزية من ملوك صيدا وصور ونفس العملية قام بها في السنة الحادية و العشرون من حكمه عام 829ق.م".[8]

أما الملك الأشوري "أدد نيراري الثالث" (811ق.م- 783ق.م)، فقد وجه حملات عسكرية نحو الغرب مستهدفا الحيثيين وأمورو وصيدا و صور وأخذ منهم الجزية وهذا النص يقول فيه

---

[1] - Luckenbill(D.D), Op.Cit.T01,(497),P166-167

[2] - الحلو عبد الله، المرجع السابق، ص680.و ينظر:برنهردتكارلهاينز ، المرجع السابق ، صص81-82

[3]-مورتكات أنطوان، المرجع السابق، صص289-290.

[4]- بشور أمل ميخائيل، المرجع السابق، ص 158

[5] - يقع تل القرقر على نهر العاصي شمالي غرب حماه السورية للمزيد ينظر: الحلو عبد الله، المرجع السابق، 711.

[6]-ًبشور أمل ميخائيل، المرجع السابق،ص159.وينظر:حتي فيليب، المرجع السابق، صص174-176.

[7] - Luckenbill(D.D), Op.cit.T1,(611) ,P223.

[8] - Ibid,(672),P243.

:"...من منطقة الفرات، سيطرت على بلاد حاتي ، وبلاد أمورو، وصيدا ،وصور وإسرائيل ، وأدوم ،وبلستو(فلسطين)...، وأخذت منهم الجزية ..."[1]

وهكذا واصل الأشوريين هجومهم على المدن الفينيقية حتى أخر ملوكهم الأقوياء"أشور-بانيبال" (629ق.م –627ق.م)، هذا الأخير فرض سيطرته على "بعل" ملك صور و"يكن-لو" ملك أرواد[2]،وكل هذه المحاولات كانت قد أعادت لمدن الفينيقية اعتبارا كبيرا من حيث الاهتمام والأهمية البحرية والبرية لها.

[1] - Luckenbill(D.D), Op.cit.T1,(739),P232.
[2] - Ibid,T2 ,(779-780) ,P296.

الفصل الثاني

البحرية الفينيقية

تمهيد

I- نشأة البحرية الفينيقية

I- 1- عوامل النشأة

I- 2- ظروف النشأة

II- مراحل انجاز السفينة الفينيقية و مكوناتها الرئيسية

II- 1- مراحل الانجاز

- مخطط السفينة
- مواد الصنع و التركيب
- مرحلة التهيئة و تقديم الطقوس الدينية

II- 2- مكونات و أجزاء السفينة

- مقدمة و مؤخرة السفينة
- صالب القاعدة
- المجداف
- الصاري
- الدوقل
- الدفة(السكان)
- الأشرعة
- الحبال
- السلالم
- البحار أو الملاح

III- ظروف تطور البحرية الفينيقية و نماذجها المختلفة

أ- ظروف تطور البحرية

ب- نماذج المختلفة لبعض السفن الفينيقية

تمهيد:

إن الحديث عن البحرية الفينيقية يتطلب تسليط الضوء حول التطورات التي عرفتها منطقة الشرق الأدنى القديم في عملية التبادل التجاري ما بين الدول والشعوب و المتمثلة في تلك البضائع و السلع التي تتادولت من مواد غذائية وأخرى مصنعة ، وأهم التأثيرات الخارجية للشعوب القديمة خاصة المصريين والإغريق وأخص بالذكر عامل البحر وما يحتويه من كنوز طبيعية ومظاهر جغرافية أعطت للإنسان دور بارز في بناء الحضارة، فالمفهوم البحرية الفينيقية مرتبط أساسا بماهية المجتمع الفينيقي، الذي يعتبر بنفسه شعب ماهر في تقنيات البحر، خاصة وأن المنطقة التي عاش فيها الفينيقيون كانت مطلة على البحر الأبيض المتوسط، ناهيك عن الميزة الجغرافية للساحل والظروف المناخية الملائمة للعيش، والاختلافات البارزة في المفهوم والأصول هي راجعة إلى الشكل الرئيسي والبنية المادية ، فهناك مصطلح المركب والسفينة والبحرية[1]، وهذه المعاني المختلفة نجدها منحصرة في عالم البحر، فوظيفة أي شكل من أشكال التي من صنع الإنسان وتسير فوق الماء تحمل نفس الدلالة والهدف إذ أن صفة البحار أو الملاح تنطبق على المجازفة واكتساب المهارة البحريةوحتى الملاحة النهرية، وبالرغم من الاختلافات التي طغت حول مفهوم المصطلحات البحرية فذلك لا يدع على أن الجهد العضلي أو البدني للإنسان القديم هو محصور في نشاطه بل يتعدى ذلك على المستوى الحضاري وهذا ما ينطبق على المجتمع الفينيقي.

I-نشأة البحرية الفينيقية:

لقد كانت لنشأة البحرية الفينيقية دوافع وأسباب متعددة وذلك حسب المحيط الجغرافي والبيئة السائدة في البحر الأبيض المتوسط.

([1])- بالنسبة للمركب فهو كل ما يركب عليه في البر والبحرسواء كان صغيرا أو كبيرا، وجرت العادة على أن المركب في تصوره وشكله العام هو بسيط في صنعه وحمله، أما السفينة جاءت من كلمة السفين والسفن وجمعها أسافن وهي الوتد الذي يفلق به في المحيط أوالبحركما لها معنى آخر وهي الفلك ويقال للإبل سفائنالبر ،وهنا نجد معنى السفينة على أنها حاملة الأفراد والأشخاص في البحر بغض النظر عن بينتها وشكلها، وأما البحرية وهيعدة الدولة في البحر من السفن، وهناك البحري وهو الملاح وكل منسوب إلى البحر.للمزيد ينظر: مصطفى إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط "مجمع اللغة العربية"، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 2004، ص132،وينظر:رينهارتدوزي، تكملة المعاجم العربية، المحقق: محمد سليم النعيمي، ط1، دار الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، 2000، صص88-89

I-1-عوامل النشأة:

إن تطور الشعوب ومعرفتها للاستغلال الطبيعة وما فيها من ثروات، جعلها تمتهن حرفة الإبحار بجانب البحاروالمحيطات والأنهار، ذلك لأن مصدر الفكرة كان أبعد مما نتصوره زمنيا، خاصة وأن ركوب البحر عرف انتشار واسع عند مجتمعات الشرق الأدنى القديم كالعراقيين و المصريين القدامى، وقبل التطرق إلى معرفة نشأة البحرية الفينيقية، يجب إعطاء لمحة عن بدايات ظهور المركب أو السفينة رغم قلة الآثار والشواهد الدالة على ذلك، لأن الخشب الذي يعتبر المادة الرئيسية في الصنع، كان قابل للتحلل والانتشار، فإذا كان البعض يرى أن الزورق هو أقدم مركب عرفه الإنسان والذي يعود إلى عصر النيوليتي صنع من جذع الشجرة، وكان يجوب الأنهار والبحار معا، فإن البعض الآخر يرى أن أقدم منه هو السفينة الشراعية التي نقشت على قبر سومري وتعود إلى حوالي سنة 4000 ق.م. [1]،كما وصلت أقدم نموذج من الفخار لقارب شراعي من قرية زراعية جنوبي العراق "أريدو" ويرجع كذلك إلى الألف الرابعة ق.م[2]، لكن الغالب في ذلك والحصر حول المنطقة التي كانت أوفر حظا بوجود القوارب هي العراق القديم بسبب توفر نهري الدجلة والفرات، وهذا لا ينفي وجوده بمناطق أخرى مثل البحر الأحمر، والبحر الأبيض المتوسط، وعن أولى ملامح هذه القوارب في الصنع يذكر هيرودوت بقوله **"جزء من جذع الشجر أو من عدة جذوع مرتبطة ببعضها البعض تشكل طوف..."** [3] كما نجد هناك مراكب صنعت من نبات القصب عند المصريين القدامى الذين أبحروا إلى ليبيا[*] وفينيقيا وبلاد الرافدين وخليج فارس لغرض تجاري، ويعود تطور ركوب الأنهار لاسيما إلى الألف الثالثةق.م خلال عهد الأسرة الخامسة(2480-2340ق.م)[4]، وكان هذا التطور هو لصالح الشعوب التي سكنت على

---

[1]- Vercoutter (J), Dictionnaire archéologique, paris, 1958,p139.

[2]- الهاشمي رضا جواد، الملاحة النهرية في بلاد وادي النهرين، مجلة سومر، ج5، كلية الآداب مديرية الآثار العامة، العراق، ص38.

[3]- Hérodote, II, XCVI .

[*]- ليبيا، يعود هذا المصطلح إلى الجذور ليبو(L.B.W) وقد ورد في النصوص الهيروغليفية للتدليل على الشعوب التي تقطن غرب نهر النيل، للمزيد أنظر: عيسى علي، الليبيون من خلال المصادر الأثرية والتاريخية القديمة ،قسم التاريخ، جامعة الفاتح، طرابلس، ب.ت، ص2-3.

[4]- Boreux (ch) ; Etude de nautique Egyptienne l'art de la navigation en Egypte Jusqu' a la fin de l'ancien empire, le Caire, 1929, P461-462.

حواف الأنهار والبحار، خاصة الفينيقيين منهم،وعليه يمكننا أن نقول أن المجتمع الفينيقي قد عرف هو كذلك مهنة الإبحار، وكانت عوامل نشأة بحريتهم أو سفنهم هي كالآتي:

أ-وفرة مادة الخشب:

تعتبر مادة الخشب[*] من أهم العوامل الرئيسية في نشأة البحرية الفينيقية، بما فيه من أدوار بارزة في تكون الهيكل وشكل القارب البحري، وحسب الأساطير القديمة تروي بأن أصل الملاحة البحرية عند الشعوب القديمة، كانت مع الفينيقيين وهذا نص الأسطورة **"..والصواعق النار قد أشعلت فجأة أشجار غابات صور، وأخذت النيران تشتعل، وانتشرت ساحبات الدخان في أرجاء الغابات، وفي ظل هذا الاضطراب، أخذ أوسوس« Osous » جذع شجرة واتجه به نحو البحر.."**[1]، فدلالة هذه الأسطورة تحمل معاني عديدة ، فمن الناحية تدل على أن مدينة صور كانت هائلة بوجود مادة الخشب عن طريق كثرة غاباتها ومن ناحية أخرى تدل بأن عامل الحريق كان أحد الدوافع الرئيسية وراءتفكير الفينيقيين في الإنقاذ البحري والابتعاد عن الأضرار المادية أو البشرية قد تنجم عن هذا الحريق، وإذا كانت الأسطورة في مفهومها التاريخي تحمل بين الحقيقة والخيال فهذا لا يطرح نوع من الغموض، لأن القصص الدينية هي كذلك أكدت على وفرة مادة الخشب في مدينة صور، وحتى في المدن الفينيقية الأخرى، لهذا نجد وصف كامل في سفر حزقيال يقول "يا صور انك قلت أنا كاملة الجمال ، حدودك في قلب البحار ، وبانؤك أكملوا جمالك بسرو من سنير ، بنوا لك كل ألواحك و اخذوا أرز من لبنان ليصنعوا مجاذيفك من بلوط باسان ، و متنك من عاج مرصع في الشربين من جزر كتيم الكتان الناعم الموشى من مصر كان شراعك ليكون راية لك ، و البرفير البنفسجي والأرجوان من جزر اليسا كان غطاءك ، سكان صيدون وأرواد كانوا جذافين لك ، وحكماءك يا صور الذين هم بحارتك ، شيوخ جبيل وحكماؤك كنوا فيك جلافظة لصدوعك ، وجميع سفن البحر

---

[*]- توجد هناك أنواع عديدة و متنوعة من الأخشاب على سواحل البحر الأبيض المتوسط ، نذكر منها خشب الزان ، و البلوط و الماهوجني ، الجوز، و خشب الصنوبر ، و الأرز ، و السرو ، و الجميز ، و الأثل ، و الصفصاف ، و التنوب ،واللاريس، و الشوكران ، و السنط و البرساء،و اللوز ، و نخيل البلح ، و نخيل الدوم ، و الخرنوب .للمزيد ينظر : منتصر عبيد عبادي ، أنواع الاخشاب ، مجلة الحضارة المصرية (مجلة صفحة مانيتونالسمنودي) ، العدد السابع ، مصر ، د.ب ، صص64-68

[1]- Trogneux (G) ; Histoire des navires, Edition l'ancre de marine, imprimé en France, Bertrand De quénetain, Paris, 2001,p5.

وملاحوها كانوا فيك لترويج بضائعك..." [(1)]، من خلال هذا الوصف نستشف أن لبنان القديم أي الساحل الفينيقي كان غنيا بالثروة الحشبية وأقصد هنا أشجار الصنوبر والسرو والأرز، وكما نستطيع معرفة غنى إقليم فينيقيا بأنواع مختلفة من الأشجار وهذا أثناء قراءتنا للرسالة التي وجهها ملك اليهود "سليمان" إلى ملك صيدا حيرام فيقول فيها: "..الآن فمر بأن يقطع لي أرز من لبنان ، وخدامي يكونون مع خدامك و اجر خدامك اؤديه إليك بحسب كل ما ترسم لأنك تعلم ان ليس فينا من يعرف بقطع الشجر مثل الصيدونيين "،فلما سمع حيرام كلام سليمان فرح فرحا عظيما وقال "...قد سمعت ما أرسلت به إلي وأنأحقق كل رغبتك في أمر خشب الأرز و خشب السرو ، وخدامي ينزلون ذلك من لبنان إلى البحر ، فاجعله أطوافا في البحر إلى المكان الذي تسميه لي وأفكه هناك فتأخذه" [(2)]، وهكذا واصل الفينيقيون دربهم في تهيئة وتقوية العلاقات التي كانت تربطهم بجيرانهم خاصة المصريين[(*)]، الذين هم كذلك استغلوا الثروة الخشبية في إقامة بحريتهم ولهذانجد في سنة 2900 ق.م قد أرسل الفرعون المصري "سنفرو" آخر ملوك الأسرة الثالثة، حملة بحرية لجلب خشب الأرز من لبنان[(3)].

وقد كانت لأخشاب الأرز لون أصفر فاتح تجازيع وتعاريق، ويطلق عليها في اللّغة المصرية باسم "AS" وليس فقط نوع الأرز كان سائدا آنذاك نجد كذلك أنواع أخرى من الأشجار مثل السنط (أكاسيا) الذي صنعت منه صواري المراكب الصغيرة وألواح الأرضيات[(4)]، كما نجد أخشاب البلوط والصنوبر بأنواعه، إضافة إلى غابات ايترويا (Étrurie)-في ايطاليا حاليا- التي لعبت دور رئيسي في التجارة وصنع السفن[(5)].

ولهذا يمكننا القول بأن المجتمع الفينيقي كان أوفر حظا في مجال توفر المادة الرئيسية لصناعة سفنه وهي الخشب بما فيه من خصوصيات مختلفة من حيث الجودة والوفرة، وكانت

[(1)]- الكتاب المقدس، ترجمة : بولس باسم ، ط3، دار المشرق ، بيروت ، لبنان، 1994، سفر حزقيال،27(3-9)

[(2)]- الكتاب المقدس، سفر الملوك الاول،5(20-23).و كذلك محمد السيد غلاب، الساحل الفينيقي وظهيره، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1997، ص38-161.

[(*)]- كان الفينيقيون عندما يتاجرون ويتبادلون مع مصر، يستعملون اللغة المصرية القديمة وهي الهيروغليفية بين 3200ق.م-2200 ق.م ، لكن بعد هذا التاريخ بدأوا يفرضون الأبجدية محل المصرية للمزيد أنظر:

Boulous (j) ; Les peuples et les civilisations du proche orient, Tome 01, Mouton et Gravenhage, paris,1961,pp221-222.

[(3)]-جان مازيل، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ترجمة ربا الخش، تقديم ومراجعة: عبد الله الحلو، ط1، سوريا 1998، ص23.

[(4)]- درويش مهاب، الأثاث في مصر القديمة "صفحة مصريات"، مكتبة الإسكندرية، ب ت، ص7-8.

[(5)]– Fantar (M.H) ; Carthage approche d'une civilisation, édition Alif, Tunis, 1993, p121.

الحاجة إلى مادة الأخشاب من بين الدوافع التي جعلت شعوب دول العالم القديم مثل المصريين وسكان منطقة ما بين النهرين يحاولون الوصول عن طريق الحرب إلى مصادر الأخشاب في سوريا، حتى يسهل لهم الحصول عليها بغية استعمالها في مختلف حاجاتهم المعمارية وبناء الأساطيل[1]، مما يبرز قوة الوجود الفينيقي في منطقة الشرق الأدنى القديم، وتتجلى حاجة بلاد ما بين النهرين إلى الأخشاب الفينيقية في الرسوم المنقوشة على جدران قصر "خرسباد" الأشوري الذي بنى سقفه ومرافق الأخرى بأخشاب أرز فينيقيا[*] التي كانت تفرض على الفينيقيين ضمن الجزيةالتي كانت تدفعها مدنهم للأشوريين، وكان أول عمل قام به الملك "تجلات فلا سر الأول" حينما غزا شمال فينيقيا سنة 1094 ق.م[2].

وكان نقل الأخشاب من أماكنها في أعالي الجبال يتم بطريقتين:

- نجمع الأخشاب في مجرى السيول والوديان الفصلية التي غالبا ما تفيض في الشتاء فتجرفها إلى الأماكن المعدة لها على السواحل.
- تقطع الأخشاب وتحمل من طرف العمال مباشرة، وهذا كما أشير إلى ذلك في اتفاقية "حيرام" و"سليمان".

بعد نقل الأخشاب إلى أسفل تجمع في شكل أزمات تم تصدر خارج فينيقيا أو توضع في أحواض خاصة ويشرع في صناعة القوارب ثم السفن التي تكون البحرية الفينيقية[3]وفق متطلبات البحر والمناطق التي تحتاج إلى الإبحار.(ينظر اللوحة رقم 03)

(1)– غانم محمد الصغير، المرجع السابق، ص55.
(*)- يذكر كذلك الملك الأشوري "سنحريب"(704ق.م-681ق.م) في حولياته :"... بنيت قصرا كبيرا ، و استخدمت خشب الأرز و الصندل و السرو التي أتيت بها من جبال سيرارا في لبنان ...". للمزيد ينظر :lukenbill(D.D),(390)P168
(2)- درويش مهاب، المرجع السابق، ص7-8.
(3)- غانم محمد الصغير، المرجع السابق، ص55-56.

ب- الموقع الجغرافي الممتاز للبحر:

إذا ما توجهنا نحو الساحل الفينيقي، نجد هناك سمات وصفات يتميز بها فهو يطل على البحر الأبيض المتوسطويحتوي على خلجان و أحواض مائية،فهذا الأخير أكسب للمجتمعات القديمة وخاصة الفينيقيين دورا بارزا من حيث التجارة والاقتصاد، فهو يتخذ على الخارطة شكل شريط مائي ضيق وطويل، ويحتل موقعا استراتيجيا لكونه محور اتصال بين الجبهتين المحيط الأطلسي والمحيط الهندي[1]، وهو بحر شبه مقفل يكاد يكون بحيرة داخلية[2].

ويمتاز البحر الأبيض المتوسط من وجهة نظر الملاحة وحرية التنقل بخصائص محددة ينفرد بها من بينها وجود مضائق المختلفة، كما يتميز بانعدام الحواجز فيه وندرة التيارات البحرية القوية وتناوب الهواء البحري والبري، مما يسمح بتقدم السفن التي تبحر فيه قرب السواحل دون اللجوء إلى الابتعاد عنه[3]، كما أن المد لا يرتفع فيه أكثر من قدم واحد، إلا عند أطراف الخلجان الطويلة، فهو بذلك خال من تيارات المد القوية والتي كانت مصدر خوف للبحارة، كما أن مياهه آمنة وظروفه المناخية ملائمة تماما للملاحة[4]، ونتيجة لأهمية البحر الأبيض المتوسط، فقد أطلقت عليه عدة تسميات نذكر منها البحر الأعظم (mare-magnum)، البحر الداخلي (mare internum)[5]، والبحر الإفريقي (mare-africanum)، ويدعى أيضا بالبحر السرديني نسبة إلى جزيرة سردينيا، ويسمى كذلك بالبحر الكبير (mare magnom)، ثم نسبه الرومان إليهم (mare nostrum) وهذا بالسبب أنه الوحيد الذي تم احتلاله من طرفهم[6].

وتزخر منطقة البحر المتوسط، بثرواتها السطحية والباطنية كالحديد بجزر البحر الإيجي وجزر الكيكلاندوفي إيطاليا، ونجد معدن النحاس في منطقة قبرص وسردينيا وإسبانيا[7]،

(1)- س.باك، القدرة البحرية في البحر الأبيض المتوسط، ترجمة: بسام العسلي، دار الشورى، بيروت، لبنان، 1981، ص13.
(2)- محمد السيد غلاب، المرجع السابق، ص38.
(3)– M. cary/E.Warrington ;les Explorateurs de l'antiquité, Editions,Payot, Paris, 1932,pp20-21.
(4)– محمد السيد غلاب، المرجع السابق، ص38.
(5)-غطيس مصطفى، ساحل المغرب المتوسط ....المرجع السابق، ص92.
(6)– نفسه ، ص92
(7)–Strabon, I, 01.

إضافة إلى ذلك يتميز البحر الأبيض المتوسط بوقوعه ضمن المنطقة المعتدلة الشمالية[1] التي توفر للمجتمع الفينيقي الإصرار على ركوب البحر، وبما أن طبيعة الساحل الفينيقي ممتدة على شكل شريط واسع فإن المظاهر الطبيعية دوما نجدها خضراء ذات سلاسل جبلية مرتفعة، مغطاة بغابات كثيفة وبها مختلف أنواع الأشجار الصالحة لصناعة السفن[2]، واختلافا لما يمكن أن نستنتجه باعتبار الموقع الذي أكسبه الفينيقيون من البحر، كانت الظروف مهيأة لقيام الملاحة البحرية.

ولا ننسى أمام هذا الحوض الكبير، وامتداده الواسع من الشرق إلى الغرب، تفتحت الحضارات المصرية، والفينيقية، والإغريقية، والرومانية، والعربية [3]، وصار ملتقى الشعوب الشعوب ومنبع لتحرك المجتمعات الواقعة عن جنوبه وشماله، شرقه وغربه، وبدا لسكان الساحل الفينيقي الاستغلال ما يمتلكه من كنوز وإمكانيات لقيام الحضارة.

ج-الثروة السمكية ومهنة الصيد:

البحر الأبيض المتوسط مثله كمثل البحار والمحيطات في العالم، يكتسب ثروة سمكية هائلة بمختلف أنواعها فهو ذات منحدر قاري ومنطقة عالم الأسماك بحوالي 540 صنفا [4]، زد على تلك الأنواع المتعددة التي استخدمها الفينيقيون في خدمة حاجاتهم اليومية، خاصة بعد أن تيقن هذا المجتمع بأن الجبال لا توفر لهم منتوجات زراعية، وأن البحر يوفر لهم الأسماك وهي ذات قيمة غذائية كبيرة[5]، وكان صيد الأسماك بما فيها الأصداف[*] التي يستخرجون منها نوعا من الأصباغ التي عرفت باسم "الأرجوان"[6]مشهورة جدا عند الفينيقيين، خاصة

---

[1]– محمد السيد غلاب، المرجع السابق، ص34.
[2]- نفسه، ص36.
[3]- هشام الصفدي، شواهد من حضارات عالم البحر المتوسط ....المرجع السابق، ص31.
[4]– نفسه، ص 34.
[5]– محمد السيد غلاب، المرجع السابق، ص39.
[*]- لقد أنشأ الفينيقيون مستوطنة "دور" بفلسطين وهي مدينة صغيرة يقطنها الصوريون وأنشأت خصيصا لصيد أصداف الأرجوان، للمزيد أنظر: معن عرب، صور حاضرة فينيقيا، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1970.ص118
[6]– حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص 156.

بعد استخدامها لصبغ منتجاتهم، وازداد الإقبال على هذه الثروة، مما سمح لإقليم فينيقيا يتصل بمناطق أخرى ليتاجر معها وهي مناطق التي أصبحت فيما بعد مراكز ومحطات تجارية[1].

اهتم الفينيقيون أولا بصيد الأسماك الأكثر انتشارا في البحر الأبيض المتوسط، ونذكر على سبيل المثال المرجان وعقرب البحر (roscasses) وقاروس البحر (loup de la mer)، وكلب البحر، وهي الثروة التي يستعملونا حتى من البحر الأحمر، وتعلم الفينيقيون صيد خفاش البحر (esturgeon) الذي يتجمع بالخصوص في ضواحي جزيرة رودس، وسمك التونة (thon) المتوفر بكثرة في ضواحي مضيق الدردنيل، واخترعوا من أجل ذلك وسائل خاصة للصيد[2]، ونظرا لأهمية حرفة الصيد لدى الفينيقيين أطلقت عليهم تسمية رجال الحمر نسبة إلى الأرجوان، وهي قواقع معروفة باسم الموريكس (murex) الذي كان مشهورا في التجارة الفينيقية[3] وكانت عملية الصيد عند الفينيقيين الوجبة الرئيسية في حياتهم اليومية، لهذا نجد أنهم اهتموا بعملية الصيد بصفة متواصلة وصنعوا القوارب من أجل الحصول على قوت يومهم. مثلهم مثل المصريين القدامى أنهم جعلوا من الصيد هو الغذاء الرئيسي، ودليل على ذلك كانوا بارعين في تقنيات الصيد حيث صنعوا أدوات عرفت باسم "السنارة" من أجل الاقتناء أجود أنواع السمك[4]،وكانت كذلك الشعوب الأخرى تمتهن هذه الحرفة مثل الإغريق الذين كونوا زوارق خاصة، ومع تطورها أصبحت سوقا هاما لأنواع عديدة من الأسماك كتونة وخفاش البحر[5]، كما يمكن أن نستنتج أنّ العلاقات التي عرفتها المنطقة للبحر المتوسط، كانت كانت بمثابة تبادل المعارف والاهتمامالقوي بثروة البحر التي تحتاجإلى توفير الوسائل الملازمة.

I-2- ظروف النشأة:

بالإضافة إلى العوامل والأسباب الرئيسية التي ذكرناها، توجد هناك ظروف طبيعية وسياسية ساعدت على نشأة البحرية الفينيقية وهي كالأتي:

(1)– أبو محاسن عصفور، المرجع السابق، ص 53.

(2)–آيت عمارة ويزة، دور السفينة في التجارة والتوسع الإستيطاني في البحر الأبيض المتوسط القديم، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1995، ص44.

(3) -Meirat(J) : Marine antique………Op.Cit, 48.49.

(4)–Beucher(P), Histoire des engins et techniques de pêche, Edition quaeBrest, Paris,s.d, P09.

(5)- آيت عمارة ويزة، المرجع السابق، ص 44.

1-يعتبر الشعب الفينيقي من أمهر الشعوب القديمة التي ارتادت البحر الأبيض التوسط، وجعلته بحيرة داخلية يتحكم في مخاطره وطرقه وجهات الاتصال فخبرتهم في الملاحة البحرية هي قديمة جدا ولهذا نجد المؤرخ اليوناني "سترابون" يصرح بأن ".... خبرة الفينيقيين البحرية هي معترف بها قديما...."[1]، ولهذا نجد عامل التجربة والخبرة، أصبح له دور في قيام البحرية الفينيقية، خاصة وأن الفينيقيين قد خاضوا مسيرة طويلة في الإبحار والتجول في الأنهاركنهر النيل والمحيطات كالمحيط الأطلسي.

2- واقع التجارة البّرية في منطقة الشرق الأدنى القديم، ومن المعروف تاريخيا أن الأقوام التي كانت تعيش في الصحراء (الجزيرة العربية، وبلاد الشام)، أخذت منطق السيطرة على مسالك التجارة بمختلف أصنافها، وكان على الفينيقيين لضمان سعة العيش فاتجهوا إلى التجارة البحرية دون التجارة البرية التي كان من الصعب عليهم ممارستها لوجود من سبقهم في هذا الميدان (الأراميون) [2]مثلا ، ناهيك عن التحرشات القوافل التجارية التي كانت دوما تترصد البضائع في الصحراء و المناطق المجاورة لها خاصة تلك التي عرفت مناخا جافا ، لكن هذا لايدل على الفينيقيين لم يمارسوا التجارة برا بل ساهموا في تنميتها عن طريق تنويعها بالبضائع المستوردة في الجهة الغربية للبحر الأبيض المتوسط و المحيط الأطلسي .

3- الظروف المناخية السائدة في البحر الأبيض المتوسط، التي ساعدت على ظهور الملاحة البحرية وتتزامن مع فصلي الربيع والصيف، حيث تخضع للعوامل الطبيعية والتأثيرات المناخية المستقرة عموما في هذه الفترة الزمنية من أيام السنة، أين تكون أكثر اعتدالا وتنقص فيه الاضطرابات المناخية والبحرية، وتكون الرياح في هذه الفترة عبارة عن نسيم بالرغم من وجود رياح الميسترال(Mistral) ورياح السيروكو(Sirocco)[*]، حيث تتناوب هذه الرياح على طول الاتجاه الشمالي الغربي والجنوب الشرقي، وتسمح بالتواصل بين شواطئ البحر

---

(1) - Strabon, 1, 3.

(2) –جربي فيصل علي سعد، الفينيقيون في ليبيا من "1100 ق.م حتى القرن 2 ميلادي"، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1996، ص11.–اتخذ الآراميون دمشق عاصمة لهم كمركز تجاري شبيه بصور الفينيقية: ينظر: غانم محمد صغير (1979)، المرجع السابق، ص47..

(*)- الميسترال هي من أنواع الرياح المحلية الباردة تهب في وسط فرنسا، أما السيروكو هي نوع من أنواع الرياح الحارة تهب بشمال إفريقيا، ينظر: حسن محمد إبراهيم ، دراسات في جغرافية أوروبا و حوض البخر المتوسط،مركز إسكندرية للكتاب ، جامعة الإسكندرية ،1999،ص167

الأبيض المتوسط الشمالية و الجنوبية،لكن تتغير الأحوال الجوية في فصلي الخريف والشتاء مما يجعل البحر أكثر اضطرابا ويعيق الملاحة[1].

4- عدم التوحد السياسي، فطبيعة المنطقة التي عاش فيها الفينيقيون لم تمكنهم من تأسيس دولة قوية موّحدة، بل انتظموا في جماعات يحكم كلا منهما ملك(نظام دويلة المدينة)، ويتمركزون حول مدن محصنة تحميها أسوار وأبراج قوية تلجأ إليها تلك الجماعات عند مهاجمتها[2]، ولم يكتب لهذا الإتحاد أن يكون قوة فعالة في تاريخ المدن الفينيقية وذلك لأن الحس السياسي لم يكن ناميا فيها، فالفينيقيون تجار تتقدم عندهم المصلحة التجارية على كل اعتبار آخر، ومن هنا تمت عندهم فكرة استقلال المدينة الواحدة عن غيرها من أخواتها حتى تتأمن مصلحتها التجارية التي قد تتضارب مع مصالح جارتها في الوطن الواحد[3]، وبعبارة أخرى أن الفينيقيين فشلوا في المجال السياسي خلافا لما عرفه جيرانهم من أنظمة سياسية تحكم الشعب الواحد مثل المصريين والعراقيين القدامى، لكنهم نجحوا تجاريا واقتصاديا فيما يعرف بأمة بحرية في التاريخ، فالمكانة التي اكتسبها هذا الشعب كانت قوية بقوة الإبداع الحضاري، وهذا لا يعني أن الفينيقيين كانوا ضعفاء في الحجم السياسي، بل ربما أفضل من جيرانهم ما لم تعيقهم المظاهر التضاريسية والجغرافية، خاصة وأنهم أمام هذا الفراغ في النظام الحكم الموّحد، فضلوا أن يكونوا مغامرين الأوائل ويستغلون البحر من أجل التطور والازدهار الحضاري.

II- مراحل إنجاز السفينة الفينيقية ومكوناتها الرئيسية :

II-1- مراحل الانجاز :

السفينة الفينيقية مثلها مثل السفن الشعوب القديمة مرت بمراحل مختلفة من بداية وفرة مادة خشب أرز لبنان إلى تكوين الهيكل الحقيقي الذي يمكن أن يطفوا فوق البحر ويحمل

---

[1]- Moscati(S), Les Phéniciens, éd:Belbord, Paris, 1989, p74-75

[2]- أبو محاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر، دار النهضة العربية، بيروت، 1984، ص 279.

[3]– حاطوم نور الدين وآخرون، موجز تاريخ الحضارات، "حضارات العصور القديمة"، ج 1، مطبعة الكمال، 1965، ص 242.

الأشخاص وبضائعهم، ويمكن حصر مراحل انجاز السفينة أو المركب البحري الفينيقي فيما يلي:

-1- مخطط السفينة:

يكون مخطط السفينة الفينيقية على شكل دراسة هندسية وفق حسابات متعددة وهذا حسب شكلها ووظيفتها، ويتم وضع هذا المخطط أو التصور مجموعة من المهندسين الذين يساهمون بمعارفهم العلمية، وكان للبنائين الأكثر شهرة الحق في تسجيل أسمائهم على السفن فضلا عن الصناع المحترفين في الصباغة المنتشرين في الموانئ الكبرى وعمال الحديد والنحاس وصناع الجبال والشمع والجلود والأشرعة[1]، والدليل على أن الفينيقيين كانوا ذوي خبرة هندسية في وضع مخطط صنع السفينة هو عندما استعان الملك سليمان بمجموعة من المهندسين الفينيقيين والفنيين لبناء معبد أورشليم (بيت المقدس)، وكذلك إنشاء أسطول بحري[2].

ومن طبيعة هذا المخطط نعرف حجم البضاعة وعدد البحارة، ونوعية المهمة سواء كانت في النهر أو البحر.

-2- مواد الصنع والتركيب:

وتعتبر بمثابة المرحلة الثانية وهي المواد الرئيسية التي تشكل منها السفينة وهيكلها العام، أساسها مادة الخشب وبالأخص أرز لبنان بالإضافة إلى أشجار البلوط والسرو والصفصاف وحتى الزيتون، ولا ننسى أشجار النخيل الكثيفة التي كانت تمتد على طول الساحل الرملي[3]، وكانت تقطع هذه الأخشاب بواسطة الفؤوس المعدنية المصنوعة من البرونز أو الحديد[4]، خاصة وأن الفينيقيين كانت لهم شهرة في مجال التعدين في عصر البرونزي المتوسط والأخير (2100 ق.م-1200 ق.م)، فمزجوا الحديد بالمعادن الأخرى لصنع الفولاذ، والقصدير

---

(1)- آيت عمارة ويزة، المرجع لاسابق، ص73.

(2)- أحمد صفر، مدينة المغرب العربي في التاريخ، ج1، الدار التونسية للنشر والتوزيع بوسلامة، تونس، 1959، ص 83.

(3)–إدنا مجوير، المرجع السابق، ص 99-100

(4)- أشلاف فطومة، الصناعات الحرفية الفينيقية، (1200 ق.م-332 ق.م)، مذكرة ماجيستر في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 2009، ص 136.137.

بالنحاس لصنع البرونز[1]، وبالتالي قولبتها في شكل فؤوس وسكاكين واستغلالها في قطع الخشب، ومن الأشياء الأخرى التي يمكن استخراجها من صهر المعادن نجد المسامير لتثبيت أضلع السفينة، وكذلك المهماز أو المدك من أجل تقوية قاع السفينة بالإضافة إلى ذلك، يتم استخدام مادة الكتان في صناعة الأشرعة، وسد الشقوق، كما يتم تحضير مواد أخرى كالقار (القطران)، والراتنج، والعنب، والشمع، والزيوت المستخدمة في طلاء السفينة من داخلها وخارجها[2].

وأمام حضور هذه المواد تتم عملية التركيب بين أجزاء السفينة عبر طريقتين، الأولى تتمثل في تشكيل جسم السفينة عن طريق ترصيع الألواح المشكلة، حيث تثبت الواحدة فوق الأخرى، وهي مزودة بثقوب يتم إدخال الحبال فيها لربط الألواح وشدها إلى بعضها البعض أما الطريقة الثانية فهي تقنية البناء على الهيكل المحضر مسبقا أو البناء على قفص السفينة، بحيث يتم إنجاز هيكل السفينة المكّون من أضلع تشكل ما يشبه القفص بحيث تثبت هذه الأضلع استنادا إلى الصالب عموديا وتكون متناظرة من الجانبين وهي تحدد شكل وحجم السفينة النهائي، ويتم تغطية الأضلع بالألواح بطريقة تسقيف وليستخدم لعملية تثبيتها، المسامير المعدنية[3]، كما توجد هناك فرضيات أخرى في صناعة السفن وخاصة في تركيبها، وحتى في مادتها، فإذا اعتدنا على أن مادة الخشب كانت المادة الرئيسية في عملية الصنع، فهذا لا ينفي بعدم وجود مواد أخرى وعلى سبيل المثال مادة القصب والتي كانت مشهورة عند الفينيقيين وبالأخص عند المصريين، ومن مميزات القصب انه حفيف و يقطع بسهولة أثناء التركيب، فطريقة الصنع تتم باختيار الحجم الكبير ويقسم إلى أجزاء متساوية، وتوصل الرقوق مع القضبان لتشكل زورقا[4].

وفيما يخص ترتيب الأدوات تم أولا تحضير مادة القنب (بعد الخشب)، وكذلك بعده يتم تحضير مادة الكتان ثم يقر لحاء الخشب ويوضع بشكل مغروس، وينسج نوع من القضبان

---

[1]– سامي ريحانا، المرجع السابق، ص 218.

[2] -Barkaoui(A), La Marine carthaginoise approche des activités militaires des carthaginoise sur Mer de puis les origines jusqu’en 146 av J-C,éd: l’or du temps, Tunisie, 2003, P195.

[3],–Gsell (S), Histoire Ancienne de l’Afrique du Nord,T5…………Op.Cit,p82

[4]–Léon (R), L’art naval, 3[eme] Edition, Librairie hachette, Paris, 1875, P 05.

(ويكون من مادة النبات الأسل)، ثم يضفر لعدة مرات حتى يكتمل مع الحبل ويشكل مراكب شراعية[1]، وهذه الطريقة تدخل في إ طار التركيب البسيط للسفينة أو المركب البحري.

-3- مرحلة إتمام الصنع وتقديم الطقوس الدينية:

تعتبر هذه المرحلة من آخر المراحل انجاز وتهيئة السفينة الفينيقية، فيتم فيها عملية الجلفظة والتزييت، وتتم عملية الجلفظة باستخدام مادتي القار والشمع[2]، وهذا عن طريق حشو الشقوق والثقوب بقطع من القماش وطلائها بالقار (القطران) ليتم سد الثقوب بإحكام[3]، كما يتم استخدام الزفت والصموغ لطلاء السفن[4]، وذلك من أجل إكسابها نوع الصلابة والمتانة لمادة الخشب المعرضة لتآكل عبر الزمن، كما يتم تقوية هيكل السفينة وزيادة تماسك أجزائها ومنع تسرب ماء البحر إلى جوف السفينة[5].

وفي آخر مرحلة وبعد وضع المخطط ونيابة التركيب والتهيئة العامة للسفينة أو البحرية الفينيقية، تقام نوع من الطقوس الدينية ويتم وضع تبريكات للآلهة التي كانت سائدة آنذاك مثل آلهة تانيت و عشترت و بعل،و ذلك عن طريق تقديم النذور والقرابين والذبائح البشرية التي تقدم للآلهة عند إبحار السفن التجارية لضمان سلامتها من أخطار البحرية والقرصنة[6]، خاصة وأن المركب كان يزيّن بوضع ذيل أو منقار في أخره[7]بحسب المعتقد الديني السائد .

وما يمكن أن نستخرجه من هذه المعلوماتأن الفينيقيين جعلوا من الدين دورا بارز في عملية الملاحة البحرية، و ذلك من اجل تقديس التجارة و اكتساب الربح .

---

(1)–Xavier(A), Du commerce maritime, Tome 01, Baudouin, Imprimeur I.N.S.A, Paris, s.d,P04-05.

(2)– محمد السيد غلاب، المرجع السابق، ص 428.

(3)-Piero (B), Carthage et contrôle des mers ……………Op.cit., pp53-55.

(4)- سامي ريحانا، المرجع السابق، ص 222.

(5)- أشلاف فطومة، المرجع السابق، ص 143.

(6)– فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج1، ترجمة، جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1958، ص 164.

(7)–Xavier (A), op.cit, p 05.

II-2- مكونات وأجزاء السفينة:

هناك اختلافات واضحة في هيكل وشكل السفينة، وذلك حسب نوعها ووظيفتها، فهناك السفينة التجارية، والحربية والنهرية، وباختلاف النوع تختلف الأجزاء والمكونات الرئيسية، حيث نجد الفينيقيين من الشعوب القديمة التي استعانت بالركائز المشكلة للمظهر الخارجي في صنع سفنهم، ويمكن حصر هذه الأجزاء فيما يلي:

-1- مقدمة ومؤخرة السفينة:

من خلال المشاهد الأثرية القديمة استطاع الباحثون تمييز مقدمة السفينة عن مؤخرتها، والسفن الفينيقية الأولى كانت ذات مقدمة ومؤخرة مرتفعتان وفي نفس المستوى، وهناك نوع آخر تظهر مقدمتها ممتدة أفقيا، ومزودة بالمهماز، بينما مؤخرة السفينة مرتفعة و محدوبة نحو الداخل[1]، كما نجد أنواع أخرى تظهر بمقدمة ومؤخرة مرتفعة ومزخرفة برؤوس حيوانية على شكل رأس حصان، كما تظهر المؤخرة على شكل رقية طائر البجعة[2]، محدب وفي نهايته شكل لصورة كبش[3]، وتحمل المقدمة فتحة للمرساة التي تغير موقعها وشكلها وتغطى في كثير من الأحيان بمعدن الحديد لمنع احتكاكها بالحبل، بينما تمثل المؤخرة الجزء الخلفي من السفينة الذي ينتهي بشكل رمزي، ويبدو حادا لتسهيل حركة السفينة، وتعتبر المؤخرة أقل قوة وثقلا من المقدمة[4].

-2- صالب القاعدة:

وهو أحد الأجزاء الرئيسية في السفينة، تتشكل غالبا من خشب البلوط بالنسبة للسفن الحربية لأنه أكثر صلابة و مقاومة و يواجه الأخطار، ومن خشب الصنوبر بالنسبة للسفن التجارية [5]، وكان الفينيقيين من الأوائل الذين استخدموا صالب القاعدة بصفة قوية، خاصة

---

(1)–جورج كونتينو، الحضارة الفينيقية، ترجمة عبد الهادي شعيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1997، ص 355.

(2)– نفسه، ص 354.

(3)-Moscati(S), the world of the Phoenicians, L'university de California, praeger, 1968, p86.

(4)–آيت عمارة ويزة، المرجع السابق، ص 79.

(5)–Barkaoui(A),Op .Cit,P192-193

وأن العنصر المادي وهو الخشب كان متوفر بشكل كبير وبكل أنواعه (الخفيف والثقيل) على الساحل والداخل المنطقة.

-3-المرساة:

كانت المرساة لها دور رئيسي في تثبيت السفينة الفينيقية في البحر، بعدما كان الفينيقيين يجرون قواربهم وسفنهم إلى اليابسة، وكما استعمل الفينيقيين في البداية أحجارا ثقيلة وكتل حديدية ترمى في المياه، وتربط بالحبال وكانت المرساة الخشبية تغطى بمعدن الفضة، وهذا لمنع تآكل الخشب من المياه، عكس الإغريق الذين كانوا يغطونها بمعدن الرصاص[1]، وقد كانت المرساة تسمى كذلك بالغاطس[2]، ويختلف حجم ووزن المرساة حسب نوع السفينة، حيث في السفن الكبيرة، يمكن أن يصل وزنها إلى أكثر من 600 كلغ وطولها أكثر من 2 م[3]، أما السفن الصغيرة أو القوارب فهي لا تحتاج إلى مرساة كبيرة وهذا الأصغر حجمها وخفة وزنها.(ينظر اللوحة رقم 04)

-4-المجداف:

وهو كذلك يعتبر من المكونات الرئيسية من شروطه أن يكون قوي وصلب، وهو عبارة عن قطعة خشبية رأسها لوح عريض تدفع بها السفن، ويدعى كذلك بالمقذف أو المقذاف أو المردي أو القيقلان[4]، كما نجد تسمية أخرى وهي المقود الذي له دور كبير في منع غرق السفينة[5]، وكان المجذاف في البداية عبارة عن عصا طويلة تستعين به القوارب النهرية، ثم تطور وأصبح وسيلة في السفينة، ويتكون المجداف من أربعة أقسام، وهو المقبض واليد والسارية والمحرفة، وتغطى هذه الأخيرة بالجلد، وتخرج المجاديف من فتحات موضوعة عند أطراف السفينة، أما بالنسبة للجدافين ، فكان يتم تنظيمهم اثنين في كل مقعد بشكل واحد على

---

(1)–آيت عمارة ويزة، المرجع السابق، ص 81.

(2)– أبو محاسن عصفور، المرجع السابق، ص 53.

(3)-Barkaoui(A).Op.Cit.P185

(4)- جواد علي، المفصل في تاريخ قبل الإسلام، ج3، (الفصل 99)، ط4، دار الساقي، 2001، ص253-254.

(5)- Xavier(A),op,cit,p5.

اليمين والآخر على اليسار، وواحد وراء الآخر[1]، ويقوم المجدفين بعملية تحريك المجاديف إما واقفين، أو جالسين وكلما تضاعف عدد المجدفين زادت سرعة السفينة.[2]

للمجداف أهمية عظمى عند السفن النهرية، حيث تصف لنا الرسومات المصرية الحركات الثلاث التي يقوم بها الجداف، فيكون واقفا في الحركة الأولى، وجالسا في الحركة الثانية، أما في الحركة الثالثة فيكون الجداف جالسا وجسده يميل إلى الخلف.[3] (ينظر اللوحة رقم 05)

-5-الصاري:

هو عبارة عن عمود خشبي يصنع من الأخشاب القوية والمستقيمة خاصة أخشاب لأشجار الأرز والبلوط، ويثبت الصاري في وسط السفينة عبر ثقب يخترق سطح السفينة ويمر عبره الصاري ليصل إلى قالب القاعدة ويوضع الجزء الرئيسي منه على سطح السفينة ويثبت بدعائم على جانبيه[4].

ويكون الصاري منعزل في نهايته، والهدف منه هو تثبيت الدوقل عليه من أجل ربط الشراع باستخدام الحبال، ويكون الصاري حجمه بحجم المركب، فكلما كان الصاري كبيرا، كثرت وتعددت الحبال التي تثبته، وعادة ما تكون الحبال مثبتة في مؤخرة السفينة لحماية الصاري من الرياح الخلفية، وهناك بعض السفن مزودة بصاري رئيسي وبجانبيه صاريين صغيرين يحملان شراع صغير، وكان الصاري ضروري سواء في السفن الحربية أو السفن التجارية[5].

ويعود الفضل في اختيار أحسن مكان لصاري السفينة التجارية إلى الفينيقيين، فكيفوا بحريتهم بنظام الرياح السائد في البحر الأبيض المتوسط.[6]

-6- الدوقل:

---

[1]- آيت عمارة ويزة، المرجع السابق، ص88.

[2] -Waclaw(S), l’Empire Carthaginoise ,Société nouvelle d’imprimerie d’édition, Paris,1939,P20

[3]- آيت عمارة ويزة، المرجع السابق، ص88.

[4]-Maitland (E), Les Premiers Marchandes……………Op.Cit, P42-44.

[5]-Maitland (E),Op.cit. ,PP42-43

[6]-Ibid,P44

ويعرف كذلك باسم "الدقل" بحذف الواو، وهو سهم السفينة، عبارة عن خشبة طويلة في وسط السفينة يمر عليها الشراع[1]، وحسب معجم لسان العرب للابن منظور أن الدوقل أصله هو ضرب من النخيل[2]، وربما هذه التسمية راجعة على أن الدوقل بدأ بشجرة النخيل وذلك لاستقامتها، ويتوفر هذا النوع على الساحل الفينيقي، وكان الدوقل يتميز بالطول والسمك والالتواء والرقة عند الأطراف، فتتخذ هذه القطعة موضوع أفقي في السفينة تحمل الشراع وتوضع على الصاري، كما يبدو الصاري متقطع على شكل حرف « T »[3] ، وكانت بعض السفن تستخدم دولقا واحدا أو دوقلين متساويين يثبت بهما طرف الشراع ويربط الدوقلات بالحبال، تارة يفتح وتارة أخرى يطوى وهذا حسب ظروف المناخ والطقس. [4]

-7- الدفة(السكان):

ويدعى كذلك بالكوثل، وهو الذي يعدل اتجاه السفن ويغير اتجاهها[5]، خاصة لدى القوارب الصغيرة، فهو على شكل مقبض يوضع في مؤخرة السفينة، وكان صغير الحجم في السفن النهرية ، فكان يوضع سكان واحد في السفن الصغيرة، وسكاكين في السفن الكبيرة، فيوضع الأول على يمينها والثاني على يسارها[6]، وكانت الدفة على شكل مجذاف عريض[7]، عريض[7]، لكنه قصير مقارنة بالمجذاف الكبير الذي يستعمل في تقوية رباط السفينة وتحديد اتجاهها.(ينظر اللوحة رقم 06)

-8-الأشرعة:

وتسمى كذلك بالقلاع[8]،وكانت الأشرعة تصنع من مادة الكتان،ويعود استعمال الشراع إلى فترات زمنية بعيدة، فتبدوا منذ الألف الرابعة قبل الميلاد إذ زودبدوقلين طويلين أحدهما

---

[1]-جواد علي، المرجع السابق، ص252.
[2]- ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر، ب ت، ص246.
[3]- آيت عمارة ويزة، المرجع السابق، ص85.
[4] - Maitland (E),op,cit,p45.
[5]- جواد علي، المرجع السابق، ص252.
[6]–Barkaoui, Op.cit., P178
[7]- جورج كونتينو، المرجع السابق، ص354.
[8]- نفسه، ص355.

في الأعلى والآخر في الأسفل[1]، وكان الهدف من الأشرعة هو الاستفادة من الرياح[2]، وعادة وعادة ما نجد عند الشعوب القديمة تستعمل شراعين، أحدهما كبير يوضع في مركز السفينة ومهمته تدعيم عملية الدفع خاصة عندما تكون الرياح ضعيفة وشراع آخر صغير الحجم يوضع في مؤخرة السفينة، وتدعم في بعض الأحيان بشراع ثالث أمامي أصغر حجما من الشراع الأوسط وشراع المؤخرة، ولقد أطلق الإغريق على الشراع المركزي اسم (Siparum)، وعلى الشراع الصغير اسم (Epidromus)، وعلى الشراع الأمامي اسم (Dolon)[3]، ونجد أن المصريين بفضل نهر النيل كانوا سباقون في صناعة الأشرعة، كذلك كذلك الفينيقيين طوروا عملية صناعة الشراع لصالح بحريتهم، خاصة بعد رحلاتهم الطويلة عبر البحار والمحيطات وكذلك الاستفادة من توفر المواد الأولية التي كانت متوفرة في المنطقة الساحلية للبحر الأبيض المتوسط.(ينظر اللوحة رقم 07)

-9-الحبال:

كانت الحبال هي المادة الرئيسية في شد وربط أجزاء السفينة، فبدونها لا يتكون الهيكل والشكل العام للقارب البحري أو النهري، فالحبال يتم ربط بين الأجزاء كالأشرعة والصواري والدواقل[4]، ولكن تختلف الطرق استعمالها، فكان في البداية يستعمل حبلين فقط لتثبيت الصاري ثم حدث تغيير، فكلما كان الصاري كبيرا وقويا كلما تعددت الحبال لتشديده، وكان الغرض من الحبال الأمامية حماية الصاري من الرياح وهي الظاهرة التي لا تختلف عن الفينيقيين[5]، وعادة ما تصنع الحبال من مادة الحلفاء[6]، لشدة صلاحيتها ومقاومتها للرياح . (ينظر اللوحة رقم 08 و09)

-10-السلالم:

(1)- آيت عمارة ويزة، المرجع السابق، ص90.

(2)- Maitland (E),op,cit,PP41-42.

(3)- ايت عمارة ويزة ، المرجع نفسه ، ص90

(4)- أشلاف فطومة، المرجع السابق، ص153.

(5) – Maitland(E),Op.Cit, P43

(6)- Gsell(S),Op.Cit, t2, P327

وتعتبر السلالم من الأجهزة الثانوية المشكلة للشكل العام للبحرية خاصة عند الفينيقيين، وعادة كانت السلالم متكونة من ثلاث، الأولى توضع في مقدمة السفينة والثانية في وسطها والثالث في مؤخرتها، وكانت أهمية السلالم تتمثل في تسهيل عملية نزول وصعود المسافرين والبضائع[1]، ولا شك في ذلك تكون السلالم كمثيلتها من الأجزاء الأخرى الصلبة ومتينة تقاوم كل المظاهر التي تحاك بها سوى كانت بشرية أو طبيعية .

3-11-البحار أو الملاح:

وهو الذي يشتغل في السفينة ويعمل على توجيهها، ويدعى الملاح بالصاري كذلك ويقال له السفان[2]، ولقد كان الفينيقيون من أهم الشعوب البحرية التي استعانت بالبحارة والملاحين خاصة بعد تقوية وتطور بحريتهم، فقد كان الملاح الفينيقي ملم بعلوم البحار وبناء السفن، ودليل على ذلك ما استعان به الملك "سليمان" بالبحارة الفينيقيين في بناء معبد" أورشليم"[3]

4-ظروف تطور البحرية الفينيقية ونماذجها المختلفة:

إذا كان الفينيقيين أول أمة بحرية في التاريخ عرفتها الشعوب القديمة، فالدرجة التي اكتسبتها هذه الأمة من الناحية الحضارية لا يستهان بها، صحيح أن التطور الذي شهده الفينيقيين في مجال البحري أصبح بمثابة مدرسة تستعين بها دول الجوار كالمصريين والعراقيين القدامى وحتى الإغريق من أجل تطوير سفنهم وإكسابها حجم كبير ومتسع للمواد الأولية، وقد عرفت البحرية الفينيقية مراحل متطورة فمن المركب أو القارب الصغير إلى السفن البحرية ذات حجم كبير، وتغير في هذا الحجم والشكل هو راجع إلى ظروف متعددة.

III-1- ظروف تطور البحرية الفينيقية:ويمكننا حصرها فيما يلي:

1- إن معرفة تاريخ صناعة السفن يعود إلى سفينة نوح عليه السلام[*] التي ذكرت في القرآن الكريم[**] فحجم السفينة قد يكون غامضا، باعتبار وجود اختلافات بين المؤرخين حول شكلها

---

[1]- Casson(L), Les marins de l’antiquité, Edition hachette, Paris, 1961, P115

[2]- جواد علي، المرجع السابق، ص254-255.

[3]- الكتاب المقدس، سفر الملوكالأول،5(20-23)

[*]- سفينة نوح عليه السلام: هناك دراسة حديثة أجراها الباحث "بيل كراوس" المتخصص في موضوع مرسى سفينة نوح عليه السلام، مفادها وبناءا على شهود العيان في منتصف القرن 20م، أنه تم رؤية بقايا سفينة النبي نوح عليه السلام على

وهيكلها العام، ولا شك في ذلك يمكن أن نطرح فرضيات حول تطور السفينة والبحرية الفينيقية عبر التاريخ، وخاصة أن الفينيقيين شعب سامي ينتمي إلى شجرة وذرية نوح عليه السلام، ويمكننا أن نطلق على هذه الفرضية بـ "فرضية الأصل"، ونستنتج من ذلك إن خبرة الفينيقيين في صناعة البحرية هي قديمة بقدم التراث السامي[*] في منطقة الشرق الأدنى القديم، وهذا يتجلى في الظروف التاريخية وجذور البحرية السامية.

2- تعدد أجزاء وهياكل السفينة هو الآخر زاد من تطور البحرية الفينيقية، فقد كانت المرحلة الأولى التي تبدأ حوالي القرن 16 ق.م باستعمال المجذاف والشراع، بينما المرحلة الثانية تميزت باستعمال الشراع كوسيلة أساسية في عملية دفع السفينة[1]، وكان الإبحار يتم بالمجاديف أو العقافات لعدم وجود دفة المركب أي المقود وحاملة الشخص حينذاك لقيادته، أما الموَجه المنشأ في الخلف فلا يمكنه تأمين الاتجاه إلا عن طريق العقفة عندما تكون أعماق المياه أقل، ولا يوجد أية مرساة ، لهذا كان يربط القارب بكل سهولة على وتد بقرب الشاطئ أو بحره على حافة المياه لربطه بعيدا عن الصخر، إذا وجد لسهولة الإبحار[2]، ولهذا كانت السفن الفينيقية بسيطة في أول الأمر وتشبه الزوارق المكشوفة قليلة الارتفاع، ولا تستطيع أن تتوغل وسط البحر بسبب الأمواج الهادرة، ثم أخذ الفينيقيون يطورون في صناعة السفن فكر حجمها وسمكها، واتخذوا الشراع والمجداف في تسيير سفنهم، وأخيرا توصلوا إلى بناء السفن الضخمة التي تقوى على التوغل في البحار والمحيطات[3]، إضافة إلى ذلك توفرت المواد اللازمة في تركيب السفينة كالمسامير، والشمع، والصموغ.

3- ازدهار التجارة وتنوع أشكالها في منطقة الشرق الأدنى القديم (بخصوص العراق ومصر و شبه الجزيرة العربية) كان وراء تطور البحرية الفينيقية من حيث تجارتها فقد سارت

جبل أرارات شرق تركيا، وكذلك في مزاعم أخوى لأنه في منطقة كودي داغ على بعد 200 ميل من جبال أرارات، ومنطقة جبل الجودي أو في جبال كورديانيين تركيا، للمزيد ينظر: بيل كراوس، سفينة نوح ومرساها الأخير، ترجمة: حسين ناصر، مجلة تراث النجف، العدد 01، ربيع الأول 1430هـ/2008م، ص124-133.

[**]- لقوله تعالى: "فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ۙ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ" الآية27، سورة المؤمنون.

[*]- كانت السفينة الشرعية موجودة منذ سيدنا نوح عليه السلام للمزيد ينظر:

Huet(M).,Histoire du commerce et de la navigations des anciens, libraire imprimer , Paris , 1716,pp18-23.

[1]- آيت عمارة ويزة، المرجع السابق، ص93.

[2]- جون كلود مارغرون، المرجع السابق، ص198.

[3]- حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص157.

تجارة الفينيقيين برا في ثلاث فروع في الجنوب حتى حضرموت في الشرق حتى بابل، وفي الشمال حتى أرمينيا[1]، واتساع هذه المسافة إن دل على شيء إنما يدل على تطور التجارة البرية في منطقة الشرق الأدنى القديم خاصة مع بلاد ما بين النهرين مصر وهناك اقتراحات أخرى على وجود طرق تجارية ثابتة أسسها الفينيقيون مع جيرانهم، فأحدها نحو الجنوب، مرورا بكل المدن الفينيقية وساحل فلسطين حتى سيناء ومن هنا ينقسم الطريق إلى شعبتين، أولهما نحو خليج العقبة وشبه الجزيرة العربية، حيث اشتهرت على الخليج الفارسي مدن تسمت باسم المدن الفينيقية، والثانية تذهب نحو مصر والسودان والحبشة، أما الطريق الساحلي نحو الشمال فيعبر فينيقيا نحو كليكية، وطرق داخلية أولهما تتفرع عن الطريق الساحلي الشمالي، فيذهب من أوغاريت نحو حماة وحلب والرها وكركميش، فيتصل بوادي الفرات حتى ما بين النهرين أو يذهب من حران إلى نينوى والطريق الثاني يعبر جبال لبنان إلى الزبداني فدمشق فتدمر فبلاد ما بين النهرين. [2]

4-دور نهر النيل والفرات والبحر الأحمر في تطوير السفينة الفينيقية، حيث كان نهر الفرات في بلاد ما بين النهرين له دور رئيسي في بلورة ورفع من مكانة البحرية الفينيقية على حساب البحرية دول الجوار كالإغريق مثلا، خاصة في تسهيل المتاجرة وتنمية البضائع وتسويقها بين العراقيين والفينيقيين، حيث شكل نهر الفرات بسبب طول مجراه وصلاحية الكبيرة للنقل النهري طريقا طبيعية رابطة بلاد الرافدين بالأقاليم المجاورة، فهو يمتد شمالا وشمال غرب حتى يقترب من مناطق الجبال اللبنانية، حيث وجد العراقيون عندها ضالتهم من المواد الأولية كالأخشاب والأحجار والمعادن، كما أن انعطافة النهر في أقسامه العلوية نحو الغرب تقلل المسافة الأرضية بينه وبين البحر المتوسط، لذلك يشكل في امتداداه هذا حلقة وصل جيدة للنشاط التجاري في البحر الأبيض المتوسط[3]، أما بالنسبة لنهر النيل الواقع في مصر هو كذلك أخذ دوره في تطوير البحرية الفينيقية شكلا ومضمونا، خاصة بعد توطيد العلاقة بين المصريين والفينيقيين في مجال التجاري والاقتصادي، وهذا ما ذكره هيرودوت بقوله أن أخذ

---

[1]- سامي ريحانا، المرجع السابق، ص223.
[2]- لبيب عبد الساتر، الحضارات، ط$_{11}$، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1986، ص103-104.
[3]- رضا جواد الهاشمي، المرجع السابق، ص38.

أحياء منف كان يسمى بساحة صور[1]، وباعتبار المصريين كانوا نشطاء في التجارة البحرية قد أثروا في زيادة التواجد الفينيقي على ضفاف نهر النيل، وفيما يخص البحر الأحمر، فقد ظهر الفينيقيون على المسرح الملاحة في البحر بدءا من القرن 10 ق.م وكانت رحلاتهم تحت إشراف فراعنة مصر، فقد انطلق هؤلاء نحو المجهول ووصل الخليج الفارسي والساحل الشرقي لإفريقيا وطافوا حولا شبه الجزيرة العربية[2] قبل وبعد استوطناهم على الساحل اللبناني حاليا.

5- تأثير البحرية الإيجية والكريتية والإغريقية على مسار البحرية الفينيقية في مجال البنية والهيكل الداخلي والخارجي وكذلك على مستوى الشهرة وانتزاع الريادة البحرية في البحر الأبيض المتوسط، وهذا لا يعني أن الفينيقيين هم الأوائل الذين اهتموا بالملاحة البحرية، نظرا لوجود شعوب أخرى سبقتهم إلى ذلك كالشعوب الإيجية. [3][*]

والاختلافات في حجم السفينة هو راجع إلى تبادل التقنيات الصنع بين الشعوب المجاورة فمثلا السفن المصرية كانت معطوفة بين طرفيها، والسفن الإيجية الأولى كانت على طراز السفن المصرية، لكن السفن الفينيقية تغيرت من ناحية الشكل الأصلي، بحيث أصبح لمقدمة السفينة منقارا ناتئا تحت الماء[4]، وتدل أنواع السفن التي رسمت على النقوش الإيجية على الصلة الموجودة بين السفن الفينيقية الأولى والسفن القبرصية، ويبدوا أن هذا التأثير كان نتيجة لحركة شعوب البحر خلال النصف الأول من الألف الثانية ق.م، فانبعث الشعوب الإيجية من جزيرتي كريت وقبرص نحو الساحل الفينيقي وحملت معها أسس الحضارة البحرية، وبالتالي كانت السفن الفينيقية تشبه السفن الإيجية[5]، هذا من جهة ومن جهة أخرى يعتقد المؤرخين أن الشعب الكريتي كان له دور في تطوير الملاحة البحرية وأثر على البحرية الفينيقية كون أن

---

[1]- أبو محاسن عصفور، المرجع السابق، ص55.

[2]- العقون العربي، الملاحة والتجارة بين الشرق والغرب في القديم أهمية البحر الأحمر، "العدد 2648، الحوار المتمدن، دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات، ص1-2: www.oheubr.org

[3]- Gaudio(A), Les empires de la mer, Edition rêne Julliard, Paris, 1962, P22-23

[*]- هناك الرأي القائل بأن الكريتيين تعلموا الملاحة البحرية عن طريق الفينيقيين وأن الملك مينوس يمكن أن يكون فينيقي الأصل، وكان ينشط في المياه الإيجية، أنظر: آيت عمارة ويزة المرجع السابق، ص41، وهناك رأي يعاكس ذلك ويسبق الإيجيين عن الفينيقيين للمزيد ينظر: حاطوم وآخرون، المرجع السابق، ص243.

[4]- جيمس هنري برايستد، المرجع السابق، ص306.

[5]- محمد السيد غلاب، المرجع السابق، ص420-422.

الفينيقيين توارثوا فن الملاحة عن الكريتيين حتى أصبحوا أسياد البحر، لكن فريق آخر منهم يخالف هذا الطرح ويعتبر الفينيقيين هم المساهمين الأساسيين في تطوير السفن النهرية(**)

والبحرية حتى لقبوا بأسياد البحر. (1)

وقد ساهم الفينيقيون في تطوير البحرية كما تؤكد لنا نقوش تابوت اكتشف في صيدا، يتمثل في سفينة فينيقية تعود إلى حوالي الألف الأولى ق.م تحمل هيكلا عريضا يتضايق كلما اتجهنا نحو المقدمة، وتحمل صاريا يميل إلى الأمام، ودوقلا مستقيما عليه شراع، كما نلاحظ عدم وجود فورق واضحة بين البحرية المصرية والفينيقية على مستوى حجم السفينة، خاصة وأن المصريين عرفوا بالملاحة النهرية، والفينيقيين لم يكونوا بعيدين عن هذه الملاحة بعدما وصلوا إلى مصر على مراحل لازموا فيها الشاطئ حتى وصلوا إلى الدلتا(2)، ودليل في ذلك التأثيرات التي تركها الفينيقيين في أسواق مصر وأهم حملوه من بضائع وسلع تجارية، ومع ذلك كان المصريين قدطوروا سفنهموجعلوها من الحجمالكبير(*) فينهر النيل والبحر الأبيضالمتوسط، بعد أن كانت صغيرة وعبارة عن زوارق خشبية بسيطة(**).

6- تطور العلوم الفيزيائية والفلكية كان له تأثير قوي في تطور البحرية الفينيقية من حيث الشكل والبعد الاقتصادي والتجاري، وحسب "سترابون" أن الفينيقيين الصيدونيين الأوائل الذين استطاعوا الملاحة بعرض البحار تحت أضواء نجوم السماء، وكان نجم الدب القطبي هو الوسيلة الوحيدة لترشيدهم في الطريق البحري، وعندما بدأت الدراسات الفلكية تأخذ حيزها في الوجود بما يعرف بـ "فاراشاد" « Farashad » أي توجه السفن نحو الشمال، كانت

(**) - عن السفن النهرية وصنعها يقول هيرودوت "....يستعمل خشب السنط في بناء سفن النقل بحيث يقطع إلى أجزاء خشبية طولها حوالي ذراعين، ثم تربط ببعضها البعض وتشكل لنا هيكل السفينة، كما يضاف إلى هذه السفينة الصاري والسكان من نفس الخشب (السنط)، وكذلك الأشرعة من نبات البردي، كما توضع مرساة من الخشب وصخرة في مؤخرتها...حيث تجعل السفينة تكون متوازنة على مستوى البحر..." ينظر : Hérodote, II96.

(1)- أيت عمارة ويزة، المرجع السابق، ص58-59.

(2)- لبيب عبد الساتر، المرجع السابق، ص100.

(*)- تميزت العلاقة المصريين الباكرة بالبحر المتوسط بصنع السفن الكبيرة المسماة بـ "سفن أعالي البحار" وذلك منذ عصر الملكية القديمة، وهي سفن قوية قامت بتأمين المبادلات التجارية بين مصر وجيرانها خاصة سكان الساحل السوري، وقد عهد الملك سفزو "ثم بناء 60 مركبا في سنة واحدة واستيراد 40 مركبا آخر، للمزيد أنظر، هشام الصفدي، المرجع السابق، ص32.

(**)- السفن الأولى التي كانت صغيرة الحجم وبسيطة الشكل ظهرت حوالي 3500 ق.م في نهر النيل فكانت لا تزيد طولها إلا بنحو 15 أو 20م على طول النهر، للمزيد أنظر:

Sébastien(R), Histoire des bateaux et des marins, éditionsJean-Paul,Gesseret,Paris,2000,p10.

المحاولات الأولى لنجمة "الدب الأصغر" مصحوبة ببعض الأخطاء لكن سرعان ما تم تفاديها وبداية معرفة الفينيقيين طرقهم البحرية في البحر الأبيض المتوسط[1]، زد على ذلك كان علم الفلك مألوفا بالنسبة إليهم الأمر الذي جعل نجمة الدب القطبي تدعى بالنجمة الفينيقية[2].

وحسب المعلومات التاريخية تشير على أن الفينيقيين كانوا أول من أجرى القياسات في البحر قبل حوالي ثلاثة آلاف سنة فقد كانوا يقيسون أعماق مداخل مرافئهم، واتبعوا في ذلك أسلوبا هندسيا فريدا في بناء الأرصفة البحرية. [3]

وبما أن الفينيقيين كانوا ذوو مهارة عالية في التجارة البحرية، فلا شك في ذلك حضرت عندهم مختلف العلوم والتقنيات من علم الهندسة وعلم الفلك وعلم الحساب، والصانع اليدوي، والفنانين الممتازين، والنحاتين، والرسامين، والمعماريين، والطرازين والبنائين، والتجار، والحدادين[4]، وغيرها من شتى المعارف التي لعبت دور هام في تطوير البحرية الفينيقية.

وكل هذه الظروف المتعددة جعلت من البحرية الفينيقية تأخذ حيزا جغرافيا في البحر الأبيض المتوسط، وازداد حجم السفن وأصبحت كبيرة وعملاقة في أقصر وقت ممكن، فشكلها يحمل نحو خمسة و عشرون إلى ثلاثون مجداف على جانبين، وكل مجداف يحمله خمس رجال[5] وهذا ما جعل البحرية الفينيقية تصل إلى أماكن بعيدة تصل حتى المحيط الأطلسي.

III-2- نماذج المختلفة لبعض السفن الفينيقية:

لقد أثرت مظاهر تطور البحرية الفينيقية تأثيرا واضحا في تحديد نماذج مختلفة وذلك حسب مهامها، فمنها ما هو صالح للتجارة وآخر للحرب ويمكن تحديد هذه النماذج فيما يلي:

- سفينة جولوا (Gaulois):

---

(1)- Du sein(A), op.cit, p79.

(2)- جان مازيل، المرجع السابق، ص69.

(3)- هشام الصفدي، المرجع السابق، ص32.

(4)- Anquetil (C) ,Op.Cit,p110.

(5)- Gerhard(H),The Phoenicians ;" The purple Empireof the ancient word", 2d :Illus tree, Harper Collins publishers, university du michigan,1995,p241.

وهي من السفن التجارية الضخمة، تدعى باليونانية "غولوس" « Gaulos » ومهمتها نقل البضائع[1]، ويتراوح طولها ما بين عشرين إلى ثلاثون مترا وعرضها سبعة أمتار، وعمقها متر ونصف، مؤخرتها على شكل ذيل سمكة أو على شكل حلزوني، أما مقدمتها على شكل رأس حصان، وهي مزودة بصاري وشراع مستطيل الصورة،وبالنسبة لعدد طاقم هذه السفينة فهو لا يتجاوز عشرين فردا. [2](ينظر اللوحة رقم 10)

- سفينة تارشيش(Tarshish):

وهي ذات شكل مستدير، ومزودة بصالب قاعدة مستدير أيضا.وتبدوا مقدمة ومؤخرة السفينة مرتفعة بشكل عمودي ويوجد في وسطها صاري واحد ويمتد فوقه دولقين بشكل أفقي ومتوازيين دورهما حمل الشراع، كما توجد بهذه السفينة دفتين في المؤخرة مثبتين في الجهة اليمنى واليسرى، وتظهر على جوانب السفينة فتحات مستطيلة الصورة يبلغ عددها حوالي خمسة عشر، تمر من خلالها المجاذيف والتي تستخدم في حالة غياب الرياح، كما يبدو جوف السفينة مرتفعا وهذا بسبب وجود قطع خشبية مثبتة عموما بواسطة حبال تمر بين هذه القطع،ويتراوح طول سفينة تارشيش بين ثمانية أمتار إلى أربعين متر، وعرضها بين أربعة وستة أمتار[3]، كما وجدت أشكال أخرى لنوع من هذه السفينة مثلا مؤخرتها تنتهي برمز السمكة ويغطى سطحها بالرمال وأطرافها مرتفعة لتتفادى تسرب المياه إلى داخلها. [4] (ينظر اللوحة رقم 11)

- سفن جبيل:

كانت هذه السفن تتشكل من تجار مسلحين مستعدين للمغامرة التجارية تحت شعار "الحرب والسلم"، وتميزت بالاتساع ومهامها نقل البضائع، وتتميز أيضا بالصلابة وتمثل أقدم

---

[1]- A du sein, Op.Cit, p79.

[2]- Hédi(D), Carthage et le monde punique, Edition les belle lettres, Paris, 2006, P74-75

[3]- أشلاف فطومة، المرجع السابق، ص161-162.

[4]- آيت عمارة ويزة، المرجع السابق، ص101.

سفن فينيقية، ومع إدخال تطورات في الفن البناء البحري أصبحت هذه السفن تحتوي على سطوح، وبالتالي اتسع المكان للجذافين وللتجار المسلحين. [1]

- السفينة الثلاثيـة:[*]

وهي ذات اختراع فينيقي، سميت بالثلاثية لاحتوائها على ثلاثة صفوف من المجذفين، وتتميز بارتفاعها ووزنها وسرعتها، ويبلغ طولها 35 م وعرضها 6م[2]، ولقد تطورت هذه السفينة وأصبحت لها دور حربي وعسكري في البحر الأبيض المتوسط.(ينظر اللوحة رقم 12و13)

إضافة إلى هذه السفن، توجد أنواع أخرى من السفن والتي كانت متعددة الأهداف والوظائف منها هو تجاري وآخر بحري مثل سفينة بونتو اللاتناظرية، والغيلوطة، وبنتيكونتور[**]،وكذلك بريومبولون (proembolon)، و ديار(diére)، و أبوستيس (Apostis)، و ترياكونتور(Triakontore)، و بونتاريس (pontérers)[3](ينظر اللوحة رقم 14).

(1)- أبو محاسن عصفور (1981)، المرجع السابق، ص114.
(*)- وتدعى كذلك بـ Trirème وكانت شائعة خاصة عند اليونان وتتكون من ثلاث صفوف من المجذفين للمزيد ينظر:
Léon(R),Op.cit. ,P06
(2)-Moscati(S),Op.Cit, P128
(**)– تتميز سفينة بنتيكونتور(Pentécontore) بأنها تحتوي على خمسون مجذافا. للمزيد ينظر:
- Eugène(S), Histoire de la marine militaire de tous les peuples "Depuis l’Antiquité jusqu'à nos jours, H.L. Delloye Editeur, Paris, 1839, P15.
(3)-Barkaoui(A), A propos d’un navire en terre cuite exposé aux musée de Sousse (Tunisie), Reppal XIII, Institut National de patrimoine, Tunis, 2004, P38-40

<u>الفصل الثالث</u>

البحرية الفينيقية في البحر الأبيض المتوسط

1- أسباب و دوافع خروج الفينيقيين إلى شرقي و غربي البحر المتوسط

- أ- الأسباب الأسطورية

-ب- الأسباب الدينية

-ج- الأسباب الطبيعية

-د- الأسباب الاقتصادية

-ه- الأسباب الاجتماعية و البشرية

2- التوسع الفينيقي في البحر الأبيض المتوسط

- ممفيس
- قبرص
- رودس
- تاسوس
- مالطا
- صقلية
- سردينيا
- شبه جزيرة ايبيريا

محطات المغرب القديم

- مستوطنة اوتيكا
- مستوطنة ليكسوس
- مستوطنة قرطاجة

3- التجارة البحرية عند الفينيقيين

أ- الطرق التجارية الفينيقية

ب- أهم السلع التي تاجر بها الفينيقيون

تمهيد:

بعد أن عرف الفينيقيون طرقا برية ونهرية في منطقة الشرق الأدنى القديم خاصة في نهر النيل ونهر الدجلة والفرات والبحر الأحمر، إضافة إلى توسعاتهم في منطقة الساحل السوري وتأسيسهم لمدن مختلفة"صيدا" و "صور" و "جبيل" ، عرفوا كذلك طرق بحرية كبرى ميزتها التجارة والمسالمة البحرية واضعين أساليب جديدة مبتكرة في تسيير سفنهم مثل نجم القطبي، والاعتماد على الطيور الجارحة في معرفة اليابسة[1]، زد على تلك الخطوات البحرية الأولى التي كانت دوما تحمل الخطأ في الاتجاه.

وقد كانت هناك شعوب سبقت الفينيقيين في الملاحة البحرية، على رأسهم الإيجيون[*] التي ساعدتهم عدة عوامل في شهرتهم في مجال الملاحة، ومن بينها طبيعة الموقع الجغرافي لحضارتهم حيث يحيط بهم البحر من كل جانب وهذا راجع لكون أراضيهم عبارة عن جزر عديدة ومتقاربة فيما بينها[2]، ولم يبقى نشاط الإيجيين منحصرا في بحر "إيجه" فقط بل شمل أيضا الحوض الشرقي والغربي للبحر الأبيض المتوسط، وبذلك كانت لهم السيادة الكاملة في هذا البحر إلى غاية مطلع الألفية الأولى ق.م، ففي الفترة الممتدة بين (1200 ق.م-1000 ق.م) فقد الإيجيون مكانتهم البحرية بسبب تزايد خطر الدوريين[**] وسيطرتهم على الجزر الإغريقية وجزر بحر إيجه، وقد استغل الفينيقيون هذا الوضع للانفتاح على البحر الأبيض المتوسطودخول إلى عالم البحر واستغلاله أحسن استغلال ولقد شبه "جورج سارتون" الفينيقيين أنهم يقفون على شرفة عالية يدققون منها النظر على حياة البحر الأبيض المتوسط، وقد كان مجال البحرية ضيقا أمام الفينيقيين بسبب السيطرة بحرية الإيجيين إلى غاية سقوط

---

(1)-Bartoloni(P) ; Carthage et le contrôle des mer, " des phéniciens en Algérie, les vois du commerce entre la méditerranée et l’Afrique noire, "ministre de culture, Algérie, 2011, P54.

(*)–الإيجيون: شعب كان يقطن جزيرة كريت ،و سكن سواحل بحر إيجه و أسسوا حضارة عريقة عرفت بالحضارة الايجية وكانت تعرف كذلك بالحضارة المينوية(Minoen) إبتداءا من 2600 ق.م إلى 1050ق.م للمزيد أنظر:

Nicolas(P),La Civilisation égéenne "Du néolithique au bronze récent ,"édition AlbinMichel,Paris ,1981,P70-71.

(2)- محمد سيد غلاب، المرجع السابق، ص175.

(**)– الدوريين (Doriens): آخر موجه من الشعوب هند وأوروبية التي وصلت بلاد الإغريق وجزر بحر إيجه ما بين (1200-1100 ق.م)، توغلوا في بلاد الإغريق واحتلوا كورنثة،وفي فترة تواجدهم ظهرت الحضارة المينوية و المسينية ينظر:

www.herodote.net

هؤلاء، وبذلك كان الفينيقيون على أهمية الاستعداد لأن يخلفوهم[1]، ويضيف "محمود أمهز" أن المدن الفينيقية وعلى رأسها صور، استطاعت أن تبسط نفوذها التجاري في البحر الأبيض المتوسط في القرون الأولى من الألف ق.م، وعندما تقلصت قوى الدول الكبرى اطمأنت آنذاك هذه المدن فانصرفت إلى تحقيق أهدافها[2] التجارية والاقتصادية وأمام هذه الظروف الداخلية والخارجية، جمعت عدة أسباب نحو خروج الفينيقيين إلى عالم البحر الأبيض المتوسط.

I- أسباب ودوافع خروج الفينيقيين إلى شرقي وغربي البحر المتوسط:

هناك العديد من الأسباب التي دفعت الفينيقيين إلى الاتجاه نحو البحر، منها ما هو أسطوري ومنها ما هو سياسي، وآخر اقتصادي، وتجاري، ومنها ما هو اجتماعي:

-1- الأسباب الأسطورية:

تكمن الدوافع الأسطورية في أن أبناء الملك "أجينور"[*] ملك مدينة صور اضطروا إلى البقاء في أوروبا بعد فشلهم في إنقاذ أختهم "أوربا" التي خطفها الإلـه الإغريقي زيوس[3]، وتعود حيثيات هذه الأسطورة عندما أعجب كبير الآلـهة الإغريقية بأوربا ابنة "أجينور" ملك صور، واختطفها، فأرسل "أجينور" أبناءه للبحث عن شقيقتهم فسار كل منهم في جهة، فذهب فونقس[**]إلى الغرب وعبر ليبيا، وذهب "كيلكي" إلى الأرض التي سميت باسمه، أما "تاموس" فقد ذهب إلى اليونان، وأبحر "قدموس"[***] إلى جزيرة رودس[4]، وهكذا حسب الأسطورة انتشر الفينيقيون في سواحل البحر الأبيض المتوسط.

---

[1]– جورج سارتون، تاريخ العلم، ترجمة: محمد خلق الله ومحمد عبد الهادي أبو ريدة، ج$_1$، دار المعارف مصر، 1980، ص240.

[2]– محمود أمهز، المرجع السابق، ص277.

[*]– أجينور: ابن الآلـه بوصيدون والآلهة ليبيا، ملك سورية وحاكم صور وصيدا، للمزيد أنظر هنري عبودي، المرجع السابق، ص13.

[3]–جان مازيل، المرجع السابق، ص77-78، و عصفور أبو المحاسن (1981)، المرجع السابق، ص134-135.

[**]– يذهب معن عرب أن اسم فينيقيا جاء من لفظة فونقس أحد أبناء أجينور للمزيد أنظر: معن عرب، المرجع السابق، ص129.

[***]- قدموس فينيقي الأصل ، أخ "أوربا" التي تزوجت من "زيوس"، و أحد مؤسسي مدينة "طيبة". للمزيد ينظر :
Fernand(H), Dictionnaire de la civilisation grecque, Edition Hirmer de Munich, Paris, 1966, P88.

[4]–معن عرب،المرجع السابق، ص129-130.

2-الأسباب الدينية:

ما يمكن أن نشرحه في هذا العنوان أن الدين أو العبادة التي كانت سائدة عند الفينيقيين لعبت دور رئيسي في إخراجهم إلى عالم البحر الأبيض المتوسط، أو بعبارة أخرى شجعت المعتقدات الدينية تطوير الملاحة البحرية والتفكير في إرضاء الآلهة خاصة وأن هناك عدة آلهة سميت نسبة إلى البحر، فنجد الإلهة "عشيرة" إلهة مدينة أوغاريت والساحل السوري-اللبناني، قد وردت بالأحرف الأوغاريتية الساكنة بصيغة"أثرت"، لكن الباحثين الغربيين المحدثين قد حركوه بناءا على اللفظ التوراتي لنفس الاسم فقالوا "أثيرة"، وكما ورد في التوراة بـ "عشيرة"، ويرى غالبية هؤلاء الباحثين أن الاسم "أثرت" مستمد من الجذر "أ ث ر" الذي يفيد المشي أو الخطو، واستنتجوا أن اللقب الرئيسي لعشيرة "أ ث ر ت ي م" يعني التي تخطو على البحر، أو سيدة البحر، كما نجد عشيرة هي نفسها الإلهة الرئيسية في مدن الساحل الفينيقي لاسيما حاضرتيه صور وصيدون[(1)]، وهذا تعبير عن البنية الدينية التي كانت دوما تعطي نوعا من الحماس والمنافسة على ركوب البحر، خاصة أن الدين في حد ذاته يحتل مكانة هامة عند الشعوب القديمة، كما يقدسون الأشكال التي تحتويه ويحترمون التعاليم المنصوص عليها.

3-الأسباب الطبيعية:

لقد شكل العامل الطبيعي هو كذلك دور بارز في إخراج الفينيقيين إلى البحر الأبيض المتوسط واتخاذ السفينة أو البحرية كوسيلة أساسية ورئيسية في تنفيذ أهدافهم المرجوة، فمن ناحية طبوغرافية الساحل الفينيقي فهو ضيق حيث قدر بـ 322 كلم^2 مما جعل مساحات السهول الزراعية كذلك ضيقة، فنتج عن ذلك عدم توفر الغذاء للسكان بالإضافة إلى أن المنطقة تفتقر إلى المواد الأولية الخام، زد على تلك الجبال المسيطرة على الجهة الشرقية للبحر[(2)] فنجد تعرجات كبرى وقلة المناطق المسطحة التي تعيق التنقل بين المحطات التي يمكن أن توفر لهم نوع من العيش المشترك، وحيث يصل ارتفاع الجبال إلى 3028 مترا عند قمة "القرنة

[(1)]- فراس السواح، مدخل إلى نصوص الشرق القديم، ط$_1$، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، سوريا، 2006، ص77-87.
[(2)]- كارلهاينز برنهردت ، المرجع السابق ، صص11-20

السوداء" في جبال "الكرمل"، تنحدر تلك السلسلة من الجبال باتجاه الشرق نحو سهل البقاع الواسع الذي يفصل السلسلة الجبلية الشرقية عن الغربية في حين يتميز سهل البقاع باتساعه في الجنوب وضيقه في الوسط.

وعلى حد قول"محمد بيومي مهران" أن البلاد الفينيقية هي أصغر دويلات العالم القديم، وهي تشغل منالناحية الجغرافية شريطا ساحليا ضيقا، كان يمتد من الأقرع (كاسيوس) شمالا إلى جبال الكرمل جنوبا، ومن أرواد إلى عكا، ولا يزيد طوله عن مائتي ميل[*]، كما لا يزد عرضه عن خمسة و ثلاثون ميلا، وهو غني بالخلجان، وبه عدد من الثغور وترفع إلى جانبه من ناحية الشرق جبال شامخة تغطيها غابات من أشجار الأرز والسرو، وتظهر بالقرب من الشاطئ بعض الجزر الذي كان لها شأن، ذلك لأنها كانت عامرة بالقرى والمدائن شأنها في ذلك شأن الساحل.[1]

كما يصف "جورج كونتنو" البلاد الفينيقية بأن الفينيقيين محصورين في شريط أرضي ضيق، ذلك أن جبال لا تبعد عن البحر بأكثر من خمسين ميلا[2]، ولهذا نجد الجهة البحرية للبحر الأبيض المتوسط تقترب وتتلاصق مباشرة مع أرض لبنان، وهنا يبرز بشكل مفصل "جان مازيل" قائلا أن لبنان الحالي يتكون من ذلك السهل الساحلي الضيق والسلسلة الجبلية ومنخفض البقاع الممتد فيما وراءها.[3]

وأمام هذا الوصف الطبيعي والجغرافي للإقليم فينيقيا يتضح جليا بأن الأسباب هي كذلك طبيعية جعلت الفينيقيين يفضلون البحر وليس البرّ، خاصة وأن المناطق التي تأتي محصورة بين الجبال تكون صعبة ومعيقة وغير قابلة للعيش وهذا ما كان واقع في حدود الألف الثانية ق.م.

[*]-الميل: هو وحدة قياس رومانية يبلغ طوله 50، 1478م

[1]– محمد بيومي مهران، المغرب القديم، الإسكندرية، مصر،د.ت ، صص161-162.

[2]– جورج كونتنو، المرجع السابق، صص28-29.

[3]– جان مازيل، المرجع السابق، ص39.

-4-الأسباب السياسية:

تعود الأسباب والدوافع السياسية للخروج الفينيقيين نحو البحر الأبيض المتوسط إلى الأوضاع العسكرية التي كانت سائدة في منطقة الشرق الأدنى القديم وما نجم عنها من صراع مرير تعددت أسبابه وظروفه بين ما هو سياسي وآخر اقتصادي وهذا ما يشير إليه "غانممحمد صغير " عندما تكلم عن الدولة المصرية في وادي النيل، والإمبراطورية الحيثية في آسيا الصغرى، ثم الدولة الأشورية في منطقة وادي الوافدين بالإضافة إلى وجود الآراميين في سوريا الداخلية والعبرانيين في فلسطين.[1]

وأن الفينيقيين قد تعرضوا لأقصى ضربات من طرف هذه الإمبراطوريات، أما غزوة شعوب البحر هي الأعنف، حيث دمرت عدة مدن منها مدينة أوغاريت.[2]

وعن مصر، وحسب الآثار المادية الشاهدة على ذلك توجد علاقات تجارية باكرة بين مصر ومدينة جبيل خاصة على المستوى التجاري والاقتصادي خلال الأسرتين "الثالثة"(2686ق.م-2613ق.م) و"الرابعة"(2613ق.م-2498ق.م) عندما تم العثور على أختام أسطوانية بـ "جبيل" تحمل معاني وأسماء مصرية[3]، لكن هذه العلاقة لم تدم طويلا بل توترت عند طرد المصريين للهكسوس[*] في أواخر القرن السادس عشر ق.م.

إذ تحولت من علاقة تجارية إلى احتلال عسكري رافقه نفوذ سياسي، وبذلك أصبحت فينيقيا تمثل حدودا أمامية للدفاع عن مصر ضد هجمات الأجانب الذين كانوا يسلكون الطريق الدولي عبر الساحل الفينيقي للدخول إلى مصر، وتهديد أمنها وسلامتها[4]، وهكذا نجد أن الفينيقيين أصبحوا عرضة للتهديد والتصعيد وتماستغلالهم في الحروب من طرف الشعوب المجاورة كملاحين و ما يمتلكونه من ثروات متعددة كالخشب لصناعة السفن.

---

[1]– غانم محمد صغير، التوسع الفينيقي...، ص42.
[2]– حارش محمد هادي، التاريخ المغاربي القديم السياسي والاقتصادي (منذ أقدم التاريخ حتى فتح الإسلامي)، الجزائر، 1992، ص37-38.
[3]– أبو محاسن عصفور، "المدن الفينيقية...، ص29-30.
[*]– الهكسوس: كلمة مركبة من قسمين، هيك: ملك، سوس: راعي، وبالتالي تعني بملك الرعاة، كما جاءت من اصطلاح المصري "حقا خاسوت" بمعنى حكام البلاد الأجنبية، والهكسوس خليط من عدة شعوب وقبائل مهاجرة منها العنصر السامي والحوري وهندو-أوروبي جاءوا من آسيا، وسكنوا مصر خلال الأسرتان الخامسة عشر والسادسة عشر (1674 ق.م-1567 ق.م) للمزيد أنظر: أديب سمير، تاريخ وحضارة مصر القديمة، مكتبة الإسكندرية، 1997، ص140-143.
[4]– غانم محمد صغير، التوسع الفينيقي...، ص43.

أما الحيثيون هم كذلك ضايقوا الفينيقيين في عقر دارهم، عندما بسطوا نفوذهم السياسي على شمال سوريا خاصة في عهد الملك الحيثي "شوبيو لوليوما" الذي حكم حوالي (1380-1355 ق،م) وفي عهده توسعت إمبراطورية على المدن الكنعانية الشمالية ابتداءا من مدينة "أوغاريت"(رأس الشمرا) شمالا حتى "جبيل" جنوبا[1]، وأصبح الفينيقيين كذلك معرضون للصراع والتهديد وحتى الخضوع بشكل كامل تحت إمارة أجنبية.

وأما بالنسبة لغزوة شعوب البحر كذلك أصبحت مستهدفة للساحل الفينيقي وفي آن واحد للمدن الفينيقية لكي تستعيد أنفاسها وتزدهر بسرعة فائقة خاصة مدينة "صور"، و"صيدا"و"جبيل"، وإضافة إلى ذلك نجد الفينيقيين قد عانوا كذلك من الهجمات الأشوريين والآراميين وحتى العبرانيين،والفلسطينيين خلال نهاية الألف الأولى ق.م.[2]

كل هذه الاضطرابات السياسية التي مست الساحل الفينيقي كانت بمثابة نقطة فصل في حياتهم ومستقبلهم الحضاري، إذ أنّ محاولاتهم السياسية كانت فاشلة بالرغم من نظام دويلة المدينة الذي كان سائدا في مدنهم وحكمهم طيلة سنوات عديدة، وإذا ما نظرنا بشكل تاريخي حول البنية السياسية للمجتمع الفينيقي نجد أسس نظام الحكم الموّحد كان مفقودا مقارنة عند جيرانهم المصريين والعراقيين القدامى، حتى أنهم افتقدوا ممارسة الحرب نتيجة اهتمامهم الكبير بـ التجارة، وهنا يوضح "لانورمون" بقوله أن "...الصيدونيين لم يكونوا حربيين، بل تحول نشاطهم إلى البحر وأنشئوا من أجله..."[3]، أي ارتبط اسمهم بالبحر الأبيض المتوسط والخليج الفارسي والمحيط الأطلسي.

-5-الأسباب الاقتصادية:

لا يمكن دراسة أسباب الهجرة والانتشار الفينيقي بمعزل عن الدوافع الاقتصادية التي حركت كثيرا من الشعوب عبر تاريخ الهجرة والاستيطان، خاصة وأن الفينيقيين كانوا مشهورين في المجال الزراعي والصناعي والتجاري، كما كان سعيهم وراء التجارة هدف أساسي بما فيه البحث عن مناجم جديدة للمعادن ومناطق أخرى لم تستغل تجاريا من أجل فتح

---

(1)–غانم محمد صغير،التوسع الفينيقي ...، ص44.
(2)–نفسه، ص45-46.
(3)- Lenormant (F) ; Histoire des peuples orientaux, A. Lévy, libraire. Editeur, paris, 1884, P130.

أسواق جديدة لتصريف المنتوجات الصناعية[1]،وقد ذكر "ديدور الصقلي" (Diodore de Sicile) أن الفينيقيين قاموا برحلات بحرية متكررة هدفها التجارة[2]، ومنأسباب التي أدت بالفينيقيين للاحتراف التجارة نذكر منها: المواقع مدنهم القائمة على رؤوس متوغلة داخل البحر، وعلى جزر متقطعة بالقرب من الساحل، إضافة إلى توفر الأخشاب لصناعة السفن، وكذلك تحكم الساحل الفينيقي في الطريق الدولي الذي يصعد من وادي النيل عبر سيناء ويربط مناطق ازدهار الحضارات القديمة في شمال سوريا وآسيا الصغرى وبلاد الرافدين.

وازدهار التجارة الفينيقية في البحر الأبيض المتوسط يعود إلى قوة العلاقات التجارية التي كانت قائمة مع سكان وادي النيل وكذلك الأشوريين، بالرغم من تعرضهم على الطريق التجاري للفينيقيين، واحتكارهم للسلع ،والبضائع الأسيوية، فمثلا البضائع التجارية التي تصدر من فينيقيا إلى مصر نجد الأخشاب والثياب الأرجوانية والخمور والزيوت، كما كان الفينيقيون يستوردون من مصر مقابل ذلك الذهب، والمصنوعات المعدنية، ومادة الكتابة (أوراق البردي)[*]كما أصبحت لهم شهرة صناعية خاصة في الثياب ذات اللون الأرجواني التي انفردوا بصناعتها، وصناعة الحلي والزجاج الشفاف، ومعظم هذه الصناعات المحلية ازدهرت في فينيقيا ازدهارا كلية في فترة الاستقلال الممتدة من أواخر القرن الثاني عشر ق.م حتى القرن الثامن ق.م.[3]

وكما كانت للفينيقيين علاقات تجارية مع دول أخرى تصدر وتستورد معها في مختلف وأنواع المنتوجات، فهذا جعل من المنطقة الساحلية لفينيقيا قطب اقتصادي هام جدّا وأفرد به المجتمع الفينيقي بكل طاقاته ليستغل المواد الأولية ويتاجر بها خارج النطاق الساحلي نحو عالم آخر ربما هو بالحاجة لهذه المواد ليستفيد منها ويطورها في إطارها الحضاري.

---

[1]ـمحمد السيد غلاب، الساحل الفينيقي...، ص481.

[2]- Diodore de Sicile ; Bibliothèque historique(B.H) , Traduire par A, F.Milo, édit : imprimerie royale, 1834/1837,V, 20,1.

[*]ـالبردي:وهو نبات طبيعي يصنع منه الورق، وكلمة « papyrus » اشتق منها اسم الإفرنجي (papier)، وأقدم ورقة بردي عثر عليها من الأسرة (1)، وكانت تصنع أوراق البردي بقطع سيقان نبات البردي ونزع الغلاف الخارجي وتقطيع الجسم الرخو الداخلي إلى شرائح ويتم وضع الشرائح على طبقتين وتدق بمطارق من الخشب وتعصر ثم تجف لتصبح صالحة للكتابة، للمزيد ينظر: حسن سعد الله، من أسرار الفراعنة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2007، ص123.

[3]ـ غانم محمد صغير، التوسع الفينيقي...، ص48.

-6-الأسباب الاجتماعية والبشرية:

الحديث عن الأسباب الاجتماعية يؤدي بنا إلى تحديد الوضعية الاجتماعية للمجتمع الفينيقي خلال الألف الثانية والأولى ق.م، فقد كان الهرم الاجتماعي الفينيقي مكونا من ثلاث طبقات يأتي في أول الهرم الملك أو ما يعرف بحاكم المدينة، وتليها طبقة الحكام أو طبقة الكهنة وعلى رأسهم كاهن معبد الإله ملقارت(*)في مدينة صور، ثم مجلس الأثرياء الأرستقراطيين، ثم مجلس عامة الشعب الذي كان يلتجأ عند نشوب الخلافات السياسية التي تدب بين الطبقات وذلك بغية تنفيذ مآربها باكتساب أعضاء هذا المجلس إلى جانبها.[1]

أما عن تحولات الاجتماعية فقد غلب عليها الطابع الصراعالعسكري، فالفينيقيون لم يستقروا أمام الأوضاع السياسية في منطقة الشرق الأدنى القديم، فغالبا ما كانوا يدورون في فلك الحيثيين ثم الآشوريين في القسم الجنوبي والشمالي خاصة مع مصر وهذا ما تؤكده رسائل تل العمارنة(**) التي بعث بها "رب عدي" حاكم جبيل إلى الملك امنحوتب الرابع (إخناتون) خلال القرن 10 ق،م[2] كل هذه الاضطرابات أترث على المجتمع الفينيقي وجعلته يفكر في الخلاص والانعتاق من عبودية التبعية، كذلك ظهور ما يسمى بالتوتر الاجتماعي، والديمغرافي في فينيقيا خاصة في صور الذي نجم عنه تزايد عدد الكنعانيين وحصرهم في شريط ضيق من الأرض بين الجبال والبحر[3]، وهنا يشير يوستينوس(justin) عن ارتفاع عدد السكان في مدينة صور والمشاكل التي وقع فيها الشباب المدينة التي قد تلحق الضرر بمصالح الطبقة الأرستقراطية الحاكمة[4]وكان على الفينيقيين التخفيف من هذا الضغط الحاصل بالمنطقة وهو

(*)ــإله ملقارت، اله مدينة صور، معناه ملك المدينة، نشره الصوريون في مستوطناتهم، أخذه عنهم اليونانيون فأسموه (هيرا-قليس) والدته هي الكمين زوجة أمفيترون: للمزيد ينظر: مجموعة من المؤلفين، دور سوريا في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ القديم، تر: سعد صائب، ط$_1$، طلاس للدراسات والترجمة والنشر دمشق، سوريا، 1994، ص139.

(1)ــغانم محمد صغير، التوسع الفينيقي...، ص51.

(**)ــ رسائل تل العمارنة: وهي عبارة عن لوحات من الطين اكتشفت في تل العمارنة وانكب العلماء على دراستها، واستطاع الانجليزي (سايس) قراءة أسماء ملوك بابليين، ومن ثم تابع دراستها الألماني (أدولف هرمان) ومن قبل جهود أربعة علماء آخرين لترجمتها ونشرها، وتحتوي هذه الرسائل على المراسلات الديبلوماسية بين فراعنة الأسرة الثامنة وبين ملوك بابل الكاشية والحثيين والآشوريين وحكام سورية، للمزيد ينظر:بشور أمل ميخائيل، المرجع السابق، ص 132.

(2)- غانم محمد صغير، التوسع الفينيقي، ص 51.

(3)- عبد الحفيظ فضيل الميار، المرجع السابق، ص 18-19.

(4)- Justin ; Histoire Universelle (H .U) ,trad. : pierrot et E. Biotard, Panckoucke, paris, 1853. XVIII, 3, 4,6.

نفس الشيء ذهب إليه سالوستيوس(salluste) عندما أشار إلى محاولة بعض من الفينيقيين لإفراغ بلادهم من مشكل الاكتظاظ السكاني[1].

وكان هذا الارتفاع الكبير لا يتناسب مع طاقة استيعاب المدن الفينيقية من حيث التوطين وتوفير المادة الغذائية، لذا كان الحل المناسب لهذا المشكل هو البحث عن مناطق أكثر استقرار وواسعة الأرجاء وتتوفر فيها المادة الأولية.

وإلى جانب ذلك توجد عوامل أخرى سمحت بالفينيقيين الخروج نحو البحر الأبيض المتوسط شرقه وغربه وبداية معرفة مواطن جديدة، وهي سهولة الانتقال وسط البحر أو على سواحله إضافة إلى تطورات التي عرفتها البحرية التجارية و زيادة في معرفة طرق جديدة ، وقرب المناطق الاستقرار خاصة على سواحل بحر إيجه وجنوب أوروبا(قبرص و صقلية)، كما لا ننسى تأثير الفيضانات والزلازل التي ضربت الأرض وهدمت منشآت المنطقة، بإضافة إلى ذلك حب الفينيقيين للشهرة والربح السريع[2].

II- التوسع الفينيقي في البحر الأبيض المتوسط:

بعد أن عرفنا أن التوسع الفينيقي في البحر الأبيض المتوسط كانت له عوامل متعددة جعلت الفينيقيين يعرفون مناطق بحرية وبريّة جديدة، يمكننا أن نوضح مدى وطبيعة هذه المناطق ومواقعها الجغرافية، ومن المعروف تاريخيا أن الفينيقيين توسعوا على جبهتين في البحر الأبيض المتوسط، بدايتها في شرق البحر، ثم غربه، وقد تحكمت في هذا التوسع ظروف متعددة معظمها كان سياسي، ففي البداية وبعد التشكل السياسي للمدن الفينيقية، برزت مدينتين قويتين على رأسها مدينة "صيدا" و"صور"، وأوّل من أخذ الرّيادة والسيادة الفينيقية كان الصيدونيين فعملوا على إنماء الحركة التجارية في شرقي البحر الأبيض المتوسط بعد سقوط البحرية الإيجية[3]، وازدهرت التجارة في منطقة الساحل الفينيقي، ولكن الأمر لم يكن ايجابيا في غاية الأهمية خاصة بعد سقوطهم بيد الفراعنة مصر (أمنحوتب الأول"1517ق.م-

---

[1]- Salluste,Guerre de Jugurtha, Garnier, éd, François Richard, Paris, 1933, 1, XIX.

[2]-.Hoefer (F.M), L'univers Chaldée, Assyrie, Médie, Babylonie, Mésopotamie, Phénicie, palmyrénien, Firmin didot Frèreéditeurs imprimerie libraire de l'institut de France, Paris, 1852, p 41.

[3]- غانم محمد صغير، التوسع الفينيقي، ....، ص 65-66.

1496ق.م"وتحوتمس الأول"1496ق.م-1492ق.م") حتى أنهم أصبحوا بمثابة تجار ينقلون البضائع للإمبراطوريات الكبرى حسب ما تتوفر فيه الإمكانيات المادية، ويظهر على أنّ الصيدونيين لم يجاهروا عداوتهم ل(تحوتمس الثالث) عند غزوه لسوريا[1]، وفي هذه الظروف قد وصل الفينيقيون في عهد سؤدد صيدا إلى مناطق واسعة بشرق البحر الأبيض المتوسط .

وبعد سيطرة صيدا خلال القرنين الثاني عشر، والحادي عشر ق.م، تراجعت وسقطت للأسباب متعددة وهي كالآتي:

- حدوث فوضى في القرن الخامس عشر ق.م خلال عهد سيتي الأول [*] ومزاحمة قدماء اليونانيين السفن الفينيقية في البحر الأبيض المتوسط وغزو بعض القبائل الليبية[**] الإفريقية بحرا ووصلوا إلى شواطئ بحيرة فرعون وتوسع سلطة الليبيين على مصر السفلى.

- افتتاح الإسرائيليين بلاد كنعان الجنوبية وطردهم "يشوع بن نون" من مواطنهم وتوطن فيها الشعب العبراني، بما غزا "يشوع بن نون" فينيقيا الجنوبية وصولا إلى صيدا وقتل ثلاثة عشر ملكا كانوا موالين لصيدا.

- هجوم الفلسطينيون مدينة صيدا في عام 1200 ق.م، بعد سير أسطولهم من عسقلان وقد قاموا بفتح المدينة ودمروا كل ما فيها، وهنا ينتهي عهد صيدا[2].

وفي هذه الظروف إنتقلت الزعامة السياسية والدينية إلى مدينة "صور"، وحسب (لانرمون) تعود هذه الرّيادة إلى سنة 1209 ق.م،وبقيت سيادة "صور" مستمرة ما يقارب خمسة قرون حتى حصار الآشوريين لها في عهد ملكهم "سرجون"، وقد أقرت مدن كبيرة

---

(1)- سامي ريحانا، المرجع السابق، ص 192.

(*)- سيتي الأول: هو ابن رمسيس الأول ينتمي للأسرة "18" و"19" حوالي 1304 ق،م، في عهده حققت مصر عدة انتصارات على الحثيين والميديين وشعوب البحر، كما أسس عدة معابد: للمزيد ينظر: شارل شافية، حضارة مصر الفرعونية، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009، ص 21-31.

(**)– القبائل الليبية: ذكرها هيرودوت في كتابة الرابع وهي كالآتي: الآدروماخيداي (فقرة 168)، الجيليغاماي (169)، الأسبوستاي (170)، الاوسخيساي (171)، السامونس (172)، السبولوي (173)، القمفزانتس (174) ، المكاي (175)، الجيندانس (176)، اللوتوفاجي (177)، المخلويس (178)، الأوسيس (180)، الأنزاتنس (184)، ينظر: هيرودتس، كتاب التاريخ الرابع، نصوص ليبية، ترجمة علي فهمي خشيم، منشورات دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1967، ص 33-42.

(2)- سامي ريحانا، المرجع السابق، ص 193-194.

كـ"بيروت" و"جبيل"و"سيميرا" بالسيادة الصورية على كل الفينيقيين[1]، وهنا يفتح عهد جديد للبحرية الفينيقية في استكمال توسعاتهم نحو غربي البحر الأبيض المتوسط.

وعن الإطار الزمني للتوسع الفينيقي فالمصادر التاريخية تشير أنه وقع قبل القرن العاشرق،م ذلك أن الموكينيين استمروا في سيطرتهم على الطرق في حوض البحر الأبيض المتوسط حتى عام 1200 ق.م، وهو التاريخ الذي حدث فيه غزو شعوب البحر، وأدى إلى تراجع الموكينيين وظهور الفينيقيين على مسرح الأحداث حوالي عام 1100 ق،م أو قبل ذلك، ولم يستأنف الإغريق نشاطهم البحري إلا بعد انتهاء القرن التاسع ق.م، هذا ما ساعد الفينيقيين على ممارسة نشاطهم الاقتصادي في حوض البحر الأبيض المتوسط بحرية أكثر[2].

وفيما يخص المناطق التي توسع فيها الفينيقيون كانت متتابعة من الساحل الفينيقي حتى سواحل المحيط الأطلسي، ويتم حصر هذه المناطق فيما يلي:(ينظر الخريطة رقم 03 و04)

1- **ممفيس:**(منف) وهي إحدى عواصم مصر، كان لها دور في الحضارة المصرية القديمة وحسب رواية "هيرودوت" أنه كان هناك جالية صورية في مدينة "ممفيس" عاصمة مصر الفرعونية ، والحي الذي تقطن فيه هذه الجالية كان يدعى بـ "نزل الصوريين"، حيث كان هيكل الربة الغربية من أم الصورية، إضافة إلى ذلك تروي الأساطير أن أبناء المصريين ينحدرون من أم صورية وأنهم تزاوجوا مع بنات ممفيس[3]، وكما عرفت تجارة الفينيقيين رواجا كبيرا بأحياء عديدة في مدن مصر السفلى والعليا، وكان كل ما يحتاج إليه المصريون خارج أرضهم يأتي إليهم الفينيقيون[4]من بضائع مختلفة، وكذلك تعدد المراكب الفينيقية بنهر النيل وما لعبته من دور رئيسي في عملية الشراء والبيع[5].

2- قبرص[*]: تعد قبرص واحدة من بين أشهر الجزر التي شهدت حضورا فينيقيا مبكرا حيث كانت أول محطة للفينيقيين في البحر لقربها من شواطئهم، فلقد سبق أهالي "جبيل"الصيدونيون

---

(1)- Lenormant (F) ; Op.Cit, pp 193-194.

(2)- عبد الحفيظ فضيل الميار، المرجع السابق، ص 23.

(3)- عرب معن، المرجع السابق، ص 119.

(4)- سامي ريحانا، المرجع السابق، ص 223.

(5)- Lenormant (F) ; Op.Cit, p135.

(*)-قبرص: ظهر اسم قبرص "chypre"في النصوص الآشورية بلفظة "يامنة" "yamna" أو "Amna" و"Awna" و"Yamna" وبلاد "yatnana" ولفظة "yâwân" ياوان هي عبرية وباليونانية "Ionien" للمزيد ينظر:

إلى اكتشافها، لكن جبيل كانت مدينة مقدسة فيها المعابد والهياكل، لذلك كان اهتمامها بالدين أكثر منه بالتجارة، فقد أقام الجبيليون هيكلا فسيحا في "باخوس" غرب الجزيرة، وكان عمالها يخضعون لجبيل، إلى أن تبع جميعهم لسلطة صيدا، وكثر الصيدونيون في الجزيرة، حيث أصبحت بلدا فينيقيا[1].

وحسب "فرديناند هوفر" (Ferdinand Hoefer) أن جزيرة قبرص كانت غنية بمعدن الحديد والنحاس، وقد افتتحها الحثيون و الحماتيون من عشائر كنعان وبنوا فيها مدينة "سيتيوم" و"أماتونا" لكن بعد ذلك دخلها الصيدونيين بقيادة الملك "بيتوس" والتي نجدها في الآثار القديمة مؤكدة بأنها من مستعمرات "صيدا" القديمة[2]، وقد انطلق الفينيقيون في رحلاتهم البحرية نحو قبرص منذ الألف الثانية ق،م[3] باعتبارها تمثل مركزا حساسا، أسسوا بها العديد من المستوطنات في كل من "كيتون" و"ايدليون" (idalion) و"ثماسوس" (thamassos)[4] و"بفوس" (paphos) و "كاربوسيا" (Karposia)، و"قيريني" (Kérynie)، و"لابيتونت" (lapéthonte)[5].

ويضيف "جون مازيل" بأن التوسع الفينيقي اتجاه "قبرص" بدأ مبكرا منذ أواخر الألف الثانية ق.م حيث أنشأ تجار "صور" و"صيدا" مراكز تجارية على ساحل الجنوبي للجزيرة ومع انطلاق التبادل التجاري المنظم، كان لزاما على قبرص أن تعيش زمنا طويلا تحت كنف النفوذ الفينيقي التجاري والسياسي، ثم الثقافي خاصة بعد استغلال مناجم النحاس فيها لصنع البرونز[6]، وقد عرفت قبرص بوفرة ثروتها وذلك لما تمتلكه من أحجار ثمينة ومعادن والثروة النباتية التي تتشكل من أشجار الزيتون والكروم ثم الحبوب[7].

والآثار التي تدل على الاستيطان الفينيقي بقبرص هو ما اكتشفته البعثة الأثرية السويدية إلى الجزيرة عن أكروبول يعود للقرن الحادي عشر ق،م ويحتمل أنه بني بواسطة المستوطنين

Halévy (J) ; Mélanges de critique et d'histoire « relatif aux peuples Sémitiques » Maisonneuve= et Cie, Libraires-éditeurs, Paris, 1883-p35.

[1]- سامي ريحانا، المرجع السابق، ص 190.

[2]-Hoefer(F.M),op.cit, p 42.

[3]- هنري عبودي، المرجع السابق، ص 674.

[4]- نفسه، ص 674-675.

[5]-Hoefer(F.M), op.cit, p 42.

[6]- جان مازيل، المرجع السابق، ص 81.

[7]- جورج كونتنو، المرجع السابق، ص 105.

الفينيقيين الأوائل، وخاصة أن إعمار "قبرص" بسكان الساحل الآسيوي كان قبل استقلال المدن الفينيقية، وقد وجد نقش الفينيقي بقبرص يعود للنصف الثاني من القرن الثامن ق،م يحمل أسماء أحد حكام "صيدا"[1].(ينظر الخريطة رقم 05)

3- رودس (Rhodes):

تابع الفينيقيون توسعاتهم باتجاه البحر الأبيض المتوسط، فبسطوا سيطرتهم على العديد من الجزر، فقد كانت رودس[*] هي المحطة الهامة للفينيقيين بعد قبرص، فلم تكن لهم عناء كبير للوصول إليها، حيث اختلط سكان الجزيرة من "الكاريين" بالفينيقيين وتزاوجوا حتى أصبحوا شعبا واحدا ونقلوا الحضارة إليها[2]، وكانت رودس معروفة من قبل الإغريقب"الفينيقية" بسبب المنشآت والأسواق التي أقامها الصوريون فيها[3]، خاصة في مدينتين رئيسيتين "كامروس" (cameros)و"اياليسوس" (Ialsos)، اللتين تم انشاؤهما من قبل شخص اسمه "فلاس" (phalas) قبل اندلاع حرب طروادة[**]سنة 1190 ق.م وأن الإغريق قد طردوا الفينيقيين منها[4].

[1]- أبو محاسن عصفور، المدن الفينيقية ....، ص 57-58.

[*]– رودس: وهي جزيرة يونانية في بحر إيجه تقع بالقرب من الساحل الجنوبي الغربي لآسيا الصغرى تأثرت بالحضارة كريت (Crète) وتعرضت للغزو والدوري في نهاية الألف الثاني ق.م من أهم مدنها "لويدوس" و "إياليسوس" و"كاميروس" للمزيد ينظر:

Michel Maure ; Dictionnaire encyclopédique d’histoire, éd:Bordas, 1978, P3873.

[2]- سامي ريحانا، المرجع السابق، ص191.

[3]- معن عرب، المرجع السابق، ص121.

[**]–طراودة: (TROIE): مدينة قديمة في جنوب غرب آسيا ، تأسست حوالي الالف قبل الميلاد ، تقع حاليا في مدينة هيكارليك تعرضت للتخريب عدة مرات نتيجة للحروب،وبحسب الادلة التاريخية قد تعرضت المدينة لسبع حروب متتالية أخرها كانت في 1100ق.م: للمزيد ينظر:

Grande Encyclopédie Larousse, Paris,1971-1976,P13921, etCharles(V), La question du site de Troie, L’Antiquitéclassique(A .C), tome3, 1934, pp469-488

[4] -Moscati (S) ; les phéniciens……… ; p49.

4- تاسوس(Thasose):

وبعد "رودس" استوطن الفينيقيون جزيرة "تاسوس"، ويذكر"هيرودوت" "عندما ذهبت إلى تاسوس رأيت معبد هرقل الذي بناه الفينيقيون" [1] ويضيف "أن سكان جزيرة تاسوس هم الفينيقيون جاءوا من مدينة صور مع تاسوس ابن آجينور، ونصبوا معبد هرقل من اجل عبادته."[2]

وحول ثرواتها يشيرهيرودوت "لقد رأيت بعيني مناجم الذهب فيها، وكانت قد اكتشفت من طرف الفينيقيون"[3]، ومن خلال هذا الوصف يمكننا أن نعرف أن التنقلات التي عرفها الشعب الفينيقي كانت في غاية الأهمية من حيث الاكتشاف ومعرفة مصادر المعادن والمواد الأولية.

5- مالطا [*](MALTE):

تعد مالطا من أهم جزر البحر الأبيض المتوسط التي عرفت وجود فينيقي قوي وهذا على غرار الجزر المجاورة لها، وتقع جزيرة "مالطا" جنوب صقلية تتكون من ثلاث جزر رئيسية وهي "مالطة"و"ڤوزو"(GOZO)و"كمينو"(CAMINO)[4]، وكان اهتمام الكبير للفينيقيين بهذه الجزيرة لكونها محطة أمنية تطلق منها الملاحة الصورية إلى بلاد الغرب البعيدة، ووسعوا تجارتهم باتجاه المحيط الغربي، ووجدوا على سواحل البحر مراسي جيدة لسفنهم، ويرجع استيطان الصوريين لهذه الجزيرة إلى القرن 8 ق.م، على الأقل[5]، وحسب قول"ديودور الصقلي" أن سكان جزيرة مالطا كانوا من أصول فينيقية[6] وقد ساهمت الحفريات التي قام بها علماء الآثار من ايطاليا وبريطانيا في إثراء حول الحضور الفينيقي في هذه الجزيرة، وعلى ضوء المخلفات الأثرية التي تم جمعها يتضح أن الإلهة

---

(1) -Hérodote, II,44.

(2) -Ibid, IV, 147.

(3)-Hérodote,X,47.

(*)– مالطا: اسمها سامي بمعنى ملط أي هرب، كما كذلك تعني الملجأ أو الملطى، للمزيد ينظر: غانم محمد صغير، التوسع الفينيقي... المرجع السابق، ص90، وينظر: معن عرب، المرجع السابق، ص121.

(4)- Michel (M), Op.Cit,P2811.

(5)- معن عرب، المرجع السابق، ص121.

(6)-Diodore de Sicile, B.H , V,2-4.

"تانيت(TANIT)[*]كانت تعبد بمالطا بشكل واسع، وأن"هرقل" مالطا لم يكن سوى هرقل "صور"، كما تدل إحدى الكتابات التي عثر عليها قرب "سان لورنزو" في مالطا ورد ضمنها: "لسيدنا ملقرت بعل صور" على نصب مقدم من بعض التجار الصوريين هناك[1].(ينظر الخريطة رقم 06)

6- صقلية:(SICILE)

تعتبر جزيرة صقلية من بين المناطق الهامة التي عرفت حضورا فينيقيا واسعا ومتميزا، وحسب توكيديدس(Thucydides) ذاكرا أسباب قدوم الفينيقيين إلى هذه الجزيرة فيقول "لقد أحاط الفينيقيون بسواحل صقلية محتلين أجزاء من الجزيرة، وكانوا يتاجرون مع الصقليين، وبعدما تجمعوا في كل من سولوييس (سولويت) (Soloeis)، وبانرموس "بالارم" (Panormos).[2]

وتشير الدلائل الأثرية المتوفرة حول بداية الحضور الفينيقي لصقلية منذ القرن 8 ق.م أين عثر على شواهد فخارية في موقع "موتيي"(Motyé) بأقصى غرب صقلية[3]، وكما عرفت هذه الجزيرة حركة تجارية ملاحية كبرى تمر عليها السفن ولهذا نجد شيشرون[*] يشهد بالحركة التجارية القوية التي كانت تعج بها شواطئ الجزيرة بقوله: "السفن من آسيا ومن سوريا ومن صور والإسكندرية محملة بالأرجوان الصوري"[4].

---

[*]- تانيت**:**هي إلهة عبدت بالشرق وغرب البحر الأبيض المتوسط، كانت عبادتها مرتبطة بالقمر، بحيث يظهر الهلال، والقرص يعلوا رمزه في كثير من النصب النذري في المواقع الأثرية الفينيقية، للمزيد ينظر : غانم محمد صغير ، الملامح الباكرة للفكر الديني في شمال إفريقيا، دار الهدى، عين مليلة، 2005، ص91-92

[1]- معن عرب، المرجع السابق، ص121-122.

[2]- Thucydide ; la Guerre de Péléponnèse, Traduction : Nouvelle et introduction par jean voilguin, librairie Garénier frères, paris, s.d, VI, 2,6.

و ينظر:

Raymond(w), la Phénicie et l'Asie occidentale, libraire Armand colin, paris, 1939, P179.

[3]- الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر، قرطاج البونية تاريخ وحضارة، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999، ص73.

[*]- شيشرون:(M.Tullins cicero) (106م-43م)، ولد ببلدة "أربينوم""ARPINUM" في أراضي الفولكسي (حوض نهر ليريس)، عاش بروما وتعلم هناك وكان صاحب "يوليوس قيصر"، خدم في الجيش تحت قيادة بومبينيوس، تولى عدة مناصب عليا سياسية وعلمية وأدبية، وألف عدة كتب في عدة مجالات منها خطية المشهورة ، للمزيد ينظر: عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، 16-21.

[4]- معن عرب، المرجع السابق، ص122.

وقد تناولت الدراسات التاريخية الحضور الفينيقي بصقلية من خلال تقسيم الجزيرة إلى قسمين أساسيين:

1- شرقي ومعظم بقاياه الأثرية العائدة إلى الفترة الباكرة ذات طابع إغريقي.

2- غربي ومعظم بقاياه الأثرية يسود فيها الطابع الفينيقي.[1]

وكان غرض الفينيقيين من الاستيطان في جزيرة صقلية استراتيجيا أكثر منه تجاريا[2]، بسبب الموقع الممتاز للجزيرة وكذلك ما تكتسبه من الإمكانيات مادية معتبرة، مما إلىتصادم إغريقي-فينيقي بالجزيرة[*]، ذلك أن الإغريق كانت لهم أهداف استغلالية للأرض مكونين مستعمرات زراعية، أما الفينيقيين سلكوا سياسة التحالف مع السكان الأصليين على أساس المصالح المتبادلة[3]، وفي ظل ندرة البقايا الأثرية بالجزيرة الأمر الذي دفع ببعض الباحثين إلى إخضاع شهادات الكتاب القدامى إلى نقد متشدد، انتهى بالبعض منهم إلى حد اعتبارها شهادات غير موثوق في صحتها[4]، ومهما تضاربت الآراء حول الحضور الفينيقي في صقلية، يبقى البحر الأبيض المتوسط هو شاهد قوي على رواج التجارة الفينيقية في الجزيرة.

7- سردينيا (Sardaigne):

ثبت في الدراسات الأثرية التي أجريت في جزيرة سردينيا بأن المستوطنات الفينيقية في هذه الجزيرة كانت قد انتشرت في الركن الجنوبي منها، وكانت أهم مدنها الفينيقية هي (نورا) [**](Nora)التي بنيت على شبه الجزيرة، وتتمتع بأهم ميناء في الجزيرة ، وقد عثر على بقايا أثرية تتمثل في نصب تذكاري وجدت عليه كتابة فينيقية ثبت بعد فك رموز كتابتها

---

[1]- غانم محمد صغير، التوسع الفينيقي...المرجع السابق، ص88.

[2]- غانم محمد صغير ، المرجع نفسه ، ص89.

[*]-بالرغم من الصراعات التي كانت قائمة بين الإغريق والفينيقيين، إلا كان هناك تبادل حضاري قوي نذكر على سبيل المثال "تاليس الميلي" الذي كان أصله فينيقي فقد حمل الدراسات الفلكية التي اشتهر بها الفينيقيون على مجال البحري إلى اليونان ثم روما وهذا ما نجده عند الإغريق عندما برعوا في الملاحة وحركات الفيزيائية للسفن للمزيد ينظر:

Du sein(A), Op, Cit, p79.

[3]- غانم محمد صغير، المرجع نفسه ، ص89.

[4]- الشاذلي بورونيةومحمد الطاهر، المرجع السابق، ص45.

[**]-نورا « NORA »: هي إحدى المدن الأثرية الهامة التي شهدت حضورا فينيقيا كبيرا وقد اشتهرت بحجر نورة، مع العلم أن المواقع البونية بسردينيا قد عرفت نشاطا مكثفا مكن الباحثين الايطاليين خاصة أعمال الباحث "موسكاتي سباتينو" الذي أنشأ معهد للدراسات الفينيقية البونية بروما، وأشرف على عدة حفريات أثرية وله عدة إصدارات هامة. ينظر: عبد المالك سلاطنية، ، المرجع السابق ، ص142.

بأنها تعود إلى نهاية القرن 9 ق.م[1] وإضافة إلى هذه المدينة توجد مدينة أخرى وهي "كراليس"« Caralis » و "كاقلياري" « Cagliari »التي تبقى عاصمة جزيرة سردينيا، وقد كانت الجزيرة غنية بخامات المعدن الفضة والرصاص والحديد ، بالإضافة إلى موقعها الاستراتيجي باعتبارها طريق تجاري كبير بالنسبة للفينيقيين[2] كما كانت أرضها مثالية لزراعة الحبوب، وكان خط الملاحة من شواطئ البحر الأبيض المتوسط الشرقية إلى اسبانيا والمحيط يسير على محاذاة شواطئ سردينيا الجنوبية، ولو سيطر على هذه الشواطئ شعب معادي للصوريين أو مزاحم لهم، لهدأت مصالح الفينيقيين وكل مستعمراتهم الغربية[3] خاصة الإغريق الذين حملوهم في البحر الأبيض المتوسط.(ينظر الخريطة رقم 07)

أما عن تاريخ الوجود الفينيقي في سردينيا، فيرجع ذلك حسب بعض الروايات التاريخية إلى حوالي نهاية الألف الثانية ق.م، وذلك عندما أرغمت زوابع بحرية التجار الفينيقيين على النزول على شواطئ سردينيا الجنوبية الغربية[4]،لكن لا توجد أدلة أثرية توثق هذا التاريخ، غير أن الفينيقيين كانوا قد ربطوا علاقاتهم التجارية مع شعوب ايطاليا منذ القرن 8 ق.م.[5]

8- شبه جزيرة ايبيريا:

وهي عبارة عن شبه جزيرة كبيرة في البحر الأبيض المتوسط، عرفت حضورا فينيقيا قويا، وهذا حسب توجهات الفينيقيين المستمرة والمتواصلة في غربي البحر الأبيض المتوسط بل امتد نشاطهم إلى ما وراء أعمدة هرقل ، ومن المعروف تاريخيا أن الفينيقيين كانوا مشهورين بحبهم للبحث والاستكشاف عن المعادن الثمينة حتى ولو شقوا البحار والمحيطات، وقد كانت منطقة "قادس"« cades »[*] من بين المستوطنات الفينيقية الباكرة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وكان الغرض من تأسيسها هو اقتصادي بدرجة أولى بغية

[1]- غانم محمد صغير، التوسع الفينيقي...ص87.

[2]-Hoefer (F.M); Op.Cit, p44.

[3]- معن عرب، المرجع السابق، ص123.

[4]- غانم محمد صغير، التوسع الفينيقي...ص87-88.

[5]- نفسه ، ص88.

[*]- قادس: شبيهة بكلمة "جدار" بالعربية، وكلمة "أغادير" « AGADIR » بالبربرية تعني"جدار" أيضا للمزيد أنظر: فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين...، ص111، اسم قادس هو نفسه Gadir التي تعني بالفينيقية "قلعة أو حصن" ، ينظر غانم محمد صغير، التوسع الفينيقي...ص132.

الحصول على خامات المعادن كالفضة والقصدير ثم النحاسواستبدالها بالمواد المصنعة التي كانت تجلب من شرق البحر الأبيض المتوسط[(1)].

وتقع جزيرة قادس في غربي اسبانيا طولها اثنا عشر ميلا قريبة من البر، بينها وبين البر الأعظم خليج صغير قد حازها إلى البحر عن البرّ[(2)]،وهي بالقرب من نهر "واد الكبير"[(3)]« Guadalquivir »، ومن الناحية الطبوغرافية يلاحظ أن جزيرة قادس كانت منفصلة عن اليابسة بذراع بحري صغير يشبه النهر، وأن ضفتها المواجهة لمياه المحيط قد ارتفعت في وسطها انحناء ينتهي برأسين بنيت على أحدهما مدينة اسم نفس الجزيرة، أما الرأس الثاني فقد وجد عليه معبد للإله هرقل المصري[(4)](ينظر اللوحة رقم 15)

أما عن تاريخ تأسيس مستوطنة قادس، فإن المؤرخ فيليوس باتركلوس(veleuis-paterculus)يعيد تأسيس قادس إلى زمن عودة الهرقليين(Heaclides) إلى البيلوبونيز والذي يؤرخ له بثمانون سنة بعد تحطيم طروادة[(5)]، أما ما أورده "بلين الأكبر" في كتابه "التاريخ الطبيعي" عن تأسيس مدينة قادس يقول "إن الفينيقيين أسسوا مدينة قادس بعد ثمانين عاما من سقوط طراودة"[(6)]، وقد ذهبت بعض المصادر الكلاسيكية إلى أن الصوريين هم الذي بنوا قادس[(*)] في حوالي 1110 ق.م[(7)]، وقد وردت رواية أخرى عند "ديودورالصقلي" في قوله "نجح الفينيقيون في مشاريعهم وجمعوا ثروات طائلة، فعقدوا العزم على عبور البحر الذي يمتد فيما وراء أعمدة "هيرقليس" ويسمى "أوقيانوس" وبادروا بتأسيس مدينة قرب ممر العمودين وسموها "بجديرة"[(8)].

[(1)]- غانم محمد صغير،التوسع الفينيقي...، ص82.
[(2)]- ياقوت عبد الله الحموي، معجم البلدان، ج4، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ص330.
[(3)]- Raymond (W) ; Op.Cit, P180.
[(4)]- غانم محمد صغير، التوسع الفينيقي...، ص83-84. وكذلك ينظر: Gsell (S) ; H.A.A.N.T1،-P405.
[(5)]- Veleius Paterculus, Histoire Romaine (H .R) , Garnier, édition de pierre (H), (H), paris 1894, 1, 2,3.
[(6)]- Plinel'Ancien, H. N ,V, 76.
[(*)]- كان سقوط طراودة عام 1190 ق.م، وبالتالي يرجح لتأسيس قادس عام 1110 ق.م، ينظر: عبد الحفيظ فضيل الميار، المرجع السابق، ص26.
[(7)] - فرانسوا دوكريه، قرطاجة الحضارة والتاريخ، ترجمة يوسف شلب الشام، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1994، ص48
[(8)]- Diodore de Sicile, B.H , V,20.

وواصل الفينيقيون توسعاتهم في شبه جزيرة ايبيريا حسب متطلبات اقتصادهم وتجارتهم وهنا يصف سترابون هذه التوسعات فيقول "إنهم استولوا قبل عصر "هوميروس" على أفضل قسم من إيبيريا وأن الفينيقيين القادمين من صور إلى شبه جزيرة ايبيريا قد أخضعوها كلها لسيطرتهم"[1]، وحسب ما تذكره المصادر التاريخية أن الفينيقيين عرفوا منطقة جديدة بعد قادس تدعى بترشيش(Tertessus)[*] مع أن هناك اختلافات حول تسمية "ترشيش"، فمنهم من يعطي لها نفس الدور والمكان الذي أقيمت فيه مدينة قادس، وقد ورد اسم "ترشيش" في العهد القديم فيقول:"...لأن الملك كانت له في البحر سفن ترشيش مع سفن حيرام ، فكانت سفن ترشيش تأتي مرة في كل ثلاث سنوات حاملة ذهبا و فضة و عاجا و قرودا وطواويس "[2]، واسم "ترشيش" يمكن أن ينطبق على اسم « Tartessos » الوارد ذكره في نصوص قديمة وخصوصا على لسان "هيرودوت"، فهذا الاسم لا يدل على مدينة، بل منطقة يمكن أن تكون واقعة في وادي بايتيس (Baetis) الأسفل، ويعني غنية بالعروق(الثروات) المعدنية.[3]

ولقد بقي استعمال مصطلح"ترشيش" شائعا عند الفينيقيين في الغرب فهو ذو ارتباط وثيق بتسمية مدينة "ماستيا" الإسبانية، كما يرد أحيانا أن ترشيش كان اسما حقيقيا، فالمؤرخ "و.ف. أولبرايت" يرى أن هذه الكلمة اشتقاقا ملموسا من فعل (Rasas) (كسر) ويترجمها بكلمة منجم أو مصهر معتبرا أن تلك التسمية كان تطلق على أي أرض غنية بالخامات، مع الإشارة أن ذكر "ترشيش" ورد لأول مرة في النقش الفينيقي الذي عثر عليه في أرض"نورا" القديمة في سردينيا.[4]

ومن خلال دراستنا لمنطقة "ترشيش" وما لعبته من دور سياسي واقتصادي في غربي البحر الأبيض المتوسط، يتبين لنا أن المنطقة كانت تحت إشراف البحارة الفينيقيين لزمن طويل رغم الصعوبات التنقل والبعد بينها وبين الوطن الأم، كذلك كان الغرض من تأسيس

(1)-Strabon, XVII,3,15.

(*)- ترشيش: إن اسم ترشيش الذي نصادفه في كتابات التوراة هو اسم فينيقي بالأغلب بمعنى المنجم أو مكان الصهر أو معمل التكرير، هذا وقد اكتسبت تسمية "ترشيش" بسبب بعد البلاد أو أبعد البلاد التي بلغها التجارة الفينيقية، وذهب الباحثين إلى أن ترشيش هي طرسوس في فينيقيا، للمزيد ينظر: محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية.....، ص275.

(2)- الكتاب المقدس، سفر الملوك الأول 10: (22-23).

(3)- فرانسوا دوكريه، المرجع السابق، ص49.

(4)- يولي بركوفيتشتسيركين، الحضارة الفينيقية في اسبانيا، ترجمة يوسف أبي فاضل، بيروت، لبنان، 1987، ص29.

الفينيقيين لمستوطنة "قادس" على الساحل الأطلسي هو اقتصادي بدرجة الأولى خاصة بعد اكتشاف المعادن الثمينة وازدياد الحاجة الملحة لهذه المعادن من قبل الشعوب البحر الأبيض المتوسط الشرقية، وإذا ما قارنا بين شرقي وغربي البحر الأبيض المتوسط نجد هناك تفاعل حضاري قوي جسدته البحرية الفينيقية وتلك المستوطنات التي تأسست بما فيها شبه الجزيرة الإيبيرية.(ينظر الخريطة رقم 08)

وعرف الانتشار الفينيقي في اسبانيا حضورا قويا في العديد من المدن مثل "مالقا"(Malaga) التي كانت مخصصة لتجفيف الأسماك وتمليحها، و"أبديرا"(Abdira)[*] و"سيكسي"(Sexi)[1]، ثم كرتايا (جزيرة على بعد 80 كلم من جبل طارق)، وعمر الفينيقيون هناك مدنا كثيرة أقل أهمية[2] من المدن الأخرى، وواصلوا توسعاتهم عبر سواحل أوروبا للوصول إلى جزر "كاستيريد" « cassitérides »و"كورنوال"« cornowall ».[3]

- محطات المغرب القديم:

أ- مستوطنة أوتيكا(utique)[**]:

تقع مستوطنة أوتيكا على الطريق الرابط بين صور (Tyr) وقادس (cades)، وعلى سهول شمال تونس، كما تقع على مرتفع من الأرض عند مصب نهر (بجراداس) أهم أنهار تونس[4]، وقد شيدها الصوريون وكانت هذه المدينة من المدن التي عرفت وجود فينيقي قوي من حيث العدد والعدة، وكانت كذلك من المدن الساحل الليبي فيتذكر في هذا الشأن سترابون بقوله أن "التجار الفينيقيين أسسوا مدنا بالقرب من وسط الساحل الليبي بعد وقت قصير من نهاية حرب طروادة"[5]، وتاريخيا أن سقوط طروادة كان حوالي 1190 ق.م، ويضيف

---

[*]- أبديرا:حاليا بالماريا تقع على سواحل المتوسط على بعد 410 كلم من مدينة مدريد الاسبانية . ينظر: سامي ريحانا، المرجع السابق، ص196.

[1]- غانم محمد صغير، التوسع الفينيقي...، ص85.

[2]- سامي ريحانا، المرجع السابق، ص196.

[3]- محمد الخطيب، المرجع السابق، ص74، وينظر: غانم محمد الصغير، المرجع السابق، ص71.

[**]–أوتيكاUTICA أو العتيقة بمعنى القديمة، وهي لفظ فينيقي تعني كذلك بـ "المحطة" و"الرائعة" أو "المستعمرة". للمزيد ينظر مهران محمد بيومي، المغرب القديم......، ص184، وكذلك معن عرب، المرجع السابق، ص127.

[4]- محمد بيومي مهران، المغرب القديم...، ص184.

[5]- Strabon, 1, 2,3.

بلينوس بقوله "إن عمر خشب الأرز في معبد أبولو (Apolo)في أوتيكا قد بلغ 1178 سنة[1]، وحسب الكتاب المنسوب إلى "أرسطو" يروي أن أوتيكا شيدها الصوريون قبل قرطاجة بمئتين وسبع وثمانين سنة، أي سنة 1101 ق.م.[2]

وحسب "فورستر" أن تاريخ تأسيس "أوتيكا" هو نفس تاريخ تأسيس "قادس"[3]، وبما أن سقوط طروادة كان حوالي 1190 ق.م، يتضح أن بناء "قادس" كان حوالي 1110 ق.م، و"اوتيكا" فمنهم من يرى أنها بنيت حوالي 1100ق.م، ومنها من يرى أنها بنيت سنة 1101ق.م، وهذه هي إشكالية الدراسات التاريخية القديمة التي تفتقر إلى تحديد تاريخ دقيق.

وبخصوص بناء مستوطنة "أوتيكا" يذكر المؤرخ "فرانسوا دوكريه" أن في وقت الذي استعان فيه "سليمان" ملك العبرانيين بالفينيقيين، كان قدزودهم بالمواد الغذائية مقابل تزويده بالمهندسين والفنيين والأخشاب، لكن بعد انتهاءه من بناء المعبد، توقف الملك عن عملية التمويل للفينيقيين، مما أدى بهم الأمر لبحث عن سبيل أخرى ومراكز تمويلية جديدة، فوجدوا مكانا متوفرا في سهول شمال تونس[*]، أين تقع مدينة "أوتيكا"، وبالتالي تخلصوا من الحصار الاقتصادي الذي ضرب عليهم باستكشاف مناطق جديدة بلاد المغرب القديم.[4]

وقد كانت "أوتيكا" من بين المستوطنات القديمة التي ساعدت الفينيقيين على التوسع في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وأكملت دربهم في استكشاف مناطق جديدة.(ينظر الخريطة رقم 09)

---

[1]- PlineL’Ancien,H.N, V, 76.

[2]- معن عرب، المرجع السابق، ص127.

[3]-Forster (M) ; Op-Cit,p12.

[*]- تونس:حسب المعلومات التاريخية أن اسم "تونس" مأخوذ من لفظة توناتوم« Thunetum »، توناتا« Tuneta »، توناس« Tunes »، تونيزوم« Tonisum »، أما باللفظ العربي "تونة" « Tounal »، تونات« Tounet » "تونس" « Tunis »، وكما تأسست عام 900 ق.م، للمزيد ينظر:

Mignard (M.P) ; Histoire générale de la Tunisie (depuis l’an 1590 A.C), Librairie et challement Siné, Paris, 1883, p3.

[4]- Decret(F) ,Carthage ou l’empire de la mer, éd:Du seuil, 1977, p41.

ب- مستوطنة ليكسوس(Lixus)[*]:

كانت مدينة ليكسوس من أبرز المستوطنات الفينيقية القديمة التي أسست على سواحل المحيط الأطلسي، وتشير الكتابات التاريخية إلى أن تأسيس هذه المستوطنة يعود إلى نهاية القرن الثاني عشر ق.م، وقد تم تأسيسها على يد البحارة الفينيقيين الذين قدموا من شرقي المتوسط[1]، وقد أشار "بلين الأكبر" أن "مستوطنة "ليكسوس" يمكن أن تكون أقدم من "قادس" أو "أوتيكا"[2] وهذا حسب الدراسات القديمة.

ويذكر"غانم محمد صغير" أن مدينة "ليكسوس" هي معاصرة لمدينة "قادس" وسابقة لمدينة "اوتيكا"[3]، وربما هذه الاختلافات في تاريخ التأسيس راجع إلى نقص المادة الأثرية حول هذه المدينة ، و بالرغم من الآثار التي عثرت عليها البعثة الألمانية بقيادة "بارث" « Barth » بين سنتي 1845م و1925م في الموقع نفسه[4] فهي غير كافية في إعطاء تاريخ دقيق لتأسيس المدينة .

تقع "ليكسوس" حاليا على تل مرتفع ببعد بـ 3كلم شرق "العرائش" على يسار الطريق الرئيسية المؤدية من الرباط إلى طنجة حيث تتناثر معظم المباني فوق ربوة الشميس وعلى منحدراتها وهي الربوة التي تشرف حواشيها الجنوبية والغربية على الضفة اليمنى لواد اللكوس[5]، وحسب "ستيفان غزال" أن قيام مدينة "ليكسوس" من قبل الفينيقيين كانت للأغراض إستراتيجية أكثر منها اقتصادية[6]. وعليه أصبحت لمستوطنة "ليكسوس" لهادور فعال وقوي في البحر الأبيض المتوسط خاصة بعد تقوية روابط التجارية بينها وبين مدينة قادس بحكم القرب الجغرافي للمدينتين.(ينظر اللوحة رقم 16)

[*]- عرفت مدينة ليكسوس في الماضي باسم مدينة تشميش(Tchemich) أي مدينة الشمس .ينظر: غانم محمد صغير، المرجع السابق، ص91، وكذلك معن عرب، المرجع السابق، ص127.

[1]- غانم محمد صغير، المرجع السابق، ص91.

[2]- PlineL'Ancien,H.N, XIX, 63.

[3]- غانم محمد صغير، المرجع السابق، ص91.

[4]- نفسه، ص93.

[5]- جيروم كركوبينو، المرجع السابق، ص76-77.

[6]-Gsell (S) ; H.A..A..N.T 01, p361.

ج- مستوطنة قرطاجة« carthage »[*]:

إن تأسيس مستوطنة قرطاجة يعد من أبرز المراحل السياسية التي مر بها الفينيقيون في شرقي وغربي البحر الأبيض المتوسط، لا من حيث تنظيم الحكم وسيادة شمال إفريقيا، وكذلك من حيث السيادة التجارية على حساب الوطن الأم، وبالنسبة لتاريخ تأسيس قرطاجة وحسب المصادر التي أوردها "ستيفان غزال" فقد أكد "فيليستوس" أن قرطاجة تم تأسيسها على يد رجلين من صورهما "أزاروس"و"كرخدون" في سنة 1213 ق.م، وهذا ما ذهب إليه وأكده "أدوكس الكندي" حيث قال "أسس الفينيقيون قرطاجة تحت قيادة "أزاروس"و"كرخدون" ببعض الزمان قبل حرب طروادة"، ونجد هذا الرأي أيضا عند "أبيانوس"الذي يقول "أن الفينيقيون أسسوا قرطاجة في ليبيا بخمسين سنة قبل الاستيلاء على طروادة وكان المؤسسان هما زوس وكرخدون."[1]

وحسب ما أورده "ستيفان غزال" أن تأسيس مدينة قرطاجة كان أواخر القرن التاسع ق.م[2]، لكن هناك جدل واسع في التاريخ الزمني المضبوط في تأسيس المدينة[**]، إذ تكاد تتفق المصادر الأدبية القديمة على اعتبار سنة 814 ق.م سنة تأسيس قرطاجة، وهو التاريخ المألوف في الكتابات التاريخية عن هذه المدينة، خاصة بعد أن ذكر "تيمايوس"، حسب رواية "أدوليس الهالكر- ناسي" أن تأسيس قرطاجة كان في ثمان وثلاثين سنة قبل الألعاب الأولمبية[3]، وهذا يوافق سنة 814 ق.م، أما عن الآثار التي وجدت في المقابر البونيةبقرطاجة والمتمثلة فيأواني فخارية إغريقية - قبرصية ترجع إلى منتصف القرن الثامن ق.م [4] وهي الفترة القريبة نوعا ما من تاريخ التأسيس.

---

[*]-قرطاجة: اسم قرطاج الفينيقي مشتق من كلمتي "قرت حدشت" بمعنى المدينة أو القرية الحديثة، أنظر: محمد بيومي مهران، المدن الفينيقية...ص181

[1].- Gsell (S) ; H.A.A.N.T 01,pp374-375

[2]-Ibid, pp395-400.

[**]- فيما يخص تاريخ التأسيس هناك من يعطي إطار زمني بعيدا عن المعروف عليه تاريخيا، فمثلا في بعض المراجع نجد سنة 869 ق.م، أنظر:lenormant (F), Op.Cit,p147

[3]-Gsell (S) ; H.A.A.N.T 01, p397.

[4]-Fantar (M,H), Carthage approche d’une civilisation, T01, Alif édition de la méditerrané Tunisie,1993,pp105-106

وكما أرجعت المصادر الأدبية تأسيس مدينة قرطاجة إلى أميرة تدعى "عليسة" « Elissa » وهذا محتوى الأسطورة التي أوردها "يوستينوس" « justin »(إن الحكم قد عاد بعد وفاة الملك "ماتان" (Mattan) إلى ابنته "عليسة" و "بيغماليون" (pygmalion)، وتزوجت "عليسة" الجميلة خالها "عاشر باص" كبير كهنة "ملقارت" الذي كان غني، ويخشى على ثروته من جشع الملك، فدفنها في باطن الأرض، لكن "بيغماليون" الذي قرر الاستيلاء عليها، لم يتوان في قتل خاله وزوج أخته في نفس الوقت، وهنا شعرت "عليسة" بالخطر الذي يهددها، فقررت الفرار واحتالت على أخيها، وأبحرت بأموال زوجها وأتباعها إلى قبرص ثم إلى إفريقيا....)[1]، وقد حملت "عليسة" معها من جزيرة قبرص نحو ثمانين فتاة ليكونوا أزواجا للشباب الذين كانوا معها، وبعدها اشترت قطعة أرض بمقدار جلدثور، فقطعت الجلد إلى قطع صغيرة رسمت وحددت عليها مدينة قرطاجة.[2]

وإذا ما حللنا محتوى الأسطورة نجد أنها تمتزج الخيال بالحقيقة، خاصة بعد أن عرفنا أن الأوضاع السياسية للمدن الفينيقية خلال القرن 9 ق.م عرفت صراعا داخلي وخارجي ألحق الضرر بالبنية الاجتماعية للمجتمع الفينيقي، كذلك التطور الذي عرفته البحرية الفينيقية ساعد "ديدون عليسة" على مواصلة دربها نحو إفريقيا.

وعن موقع قرطاجة يذكر "فرانسوا دوكريه" أنها تقع على الساحل ومنفتح كبيرا على الشرق باتجاه الخليج حيث تبدأ من "بيرصا"[*] راسمة في اتجاه الغرب قوس دائرة متصل ينتهي إلى الشمال من رأس سيدي بوسعيد الصخري[3] ،وهناك من يضعها في مرفأي "صلمبو"ودليل على ذلك ما عثر عليه من بقايا الفخار القبرصي الفينيقي في أقدم الطبقات الأرض في مذبح "صلمبو"[4] ، وحددها "جان مازيل" في قوله " أقام الصيداويون مركزا تجاريا بسيطا أطلقوا عليه مركز كامبي ، وهو المكان الذي أسست فيه المدينة الجديدة قرطاجة

[1]- Justin ;Op.Cit (H .U), XVIII, 4.
[2]-Gsell (S) ; Op.Cit ; p89.
[*]-بيرصا(Byrsa): كلمة يونانية تعني جلد الثور ، و إطلاقها هنا يمكن أن يكون تحريفا لكلمة (Boursa) الفينيقية التي تعني القلعة ، ينظر : غانم محمد صغير ، التوسع الفينيقي .... ،ص138
[3]- فرانسوا دوكريه ، المرجع السابق ، صص50-51
[4]- مادلين هورس ميادان ، قرطاج ، ترجمة : إبراهيم بالش ، منشورات عويدات ، بيروت ، 1981، صص41-42

"[5]، أما "بوليب"Polype" فيقول "...قرطاجة تقع على شاطئ خليج مكونة شبه جزيرة محاطة بالماء من ثلاث جهات و يحدها من ناحية اليابسة برزخ بلغ عرضه خمسة وعشرون ستاد(أي حوالي 4440م) ، يربطها بالقارة و هو صعب المسالك فيما عدا الطرق التي صنعها الإنسان ..."[6].

وجغرافيا نجد مدينة قرطاجة تقع بين مرتفعات تونس حاليا ، يحدها من الشمال و الشرق البحر الأبيض المتوسط ، أما داخليا تونس كما هي عليه حاليا ، وبحكم الموقع الجغرافي للمدينة الشيء الذي جعلها تكتسب مكانة كبرى قديما في المجال التجاري والاقتصادي ، خاصة بعد أن أصبح لها دورا في بناء السفن من خلال توفر أشجار الصنوبر و الأرز[1]، كذلك توفر الثروة السمكية وكثرة موانئها البحرية ، هذا كله ساعد الفينيقيين على الاستقرار والاستيطان .

III- التجارة البحرية عند الفينيقيين:

كانت التجارة رمزا أساسيا لتطور الشعوب القديمة، خاصة التي نجدها مقيمة على السواحل وحواف الأنهار والأودية، ولا شك في ذلك أن الميدان الذي برز فيه الفينيقيون ونجحوا فيه هو الميدان التجاري والنشاط البحري، فلقد حولوا المفاهيم التجارية من مفهوم مبادلة السلع الفائضة عن طريق المقايضة إلى مفهوم يهدف إلى تأمين السلع من أسواقها العالمية، وبيعها إلى الشعوب التي تحتاج إليها، فهم الذين اخترعوا التجارة المثلثة واعتمدوا الذهب والفضة ثم العملة للتبادل التجاري وذلك بقصد الربح والبحبوحة، وهم الذين شقوا عباب البحار وحولوا الملاحة إلى فن أورثوه للعالم وخاصة الإغريق ومن بعدهم الرومان[2]وأعطوا مفهوما جديدا في المعاملات على أساس تجارة عالمية، والتي تكمن قيمتها في قيمة البضاعة وما حملته من تأثير في البيئة الاقتصادية والدخول في عالم الإنتاج الحضاري.

وكانت التجارة الحرفة الرئيسية للفينيقيين خاصة أهل صور وصيدا الذين كانوا بمثابة وسطاء عالميين للتجارة الدولية في العالم القديم، فانتشروا شرقا وغربا حتى أصبحت كلمة

---

[5] - - جان مازيل ، المرجع السابق ، ص141

[6] - Polybe, Histoire romaine (H .R),Tra: par Rossel, collections pléiade, Paris, 1970, I, 73,75

[1]- شوقي خير الله ، قرطاجة العروبة الأولى في المغرب ، مركز الدراسات العلمية ، ب.ط ، 1992، ص76

[2]- سامي ريحانا، المرجع السابق، ص219-220.

"فينيقي" كثيرا ما تستعمل كمرادف للفظ "تاجر"، فحققوا أرباحا وقدموا خدمات كبيرة لإخوانهم في فينيقيا عن طريق ترويج صناعاتهم[*] وإعطاء دفع قوي للاقتصاد الفينيقي فأصبحت موانئ "صور" و "وصيدا" و"جبيل"و "اوغاريت" مراكز تجارية مزدهرة تمر عبرها السلع الفينيقية إلى مختلف الأنحاء العالم القديم آنذاك.[1]

1-الطرق التجارية الفينيقية:

عرف الفينيقيون طرقا بحرية قد أسسوها من قبل عن طريق ترويج سلعهم وبضائهم والاعتماد على الإبحار بصفة دائمة، وأهم هذه الطرق هي:(الخريطة رقم 10)

أ- الطريق الممتد من فينيقيا إلى قبرص ورودس وجزر البحر الإيجي، ثم شبه جزيرة اليونان وينتهي بأثينا وكورنثة واسبرطة.[2]

ب- طريق تصل بببيلوس وسائر الموانئ المصرية، ثم تبدأ بصيدا وصور فتصل مصر أو تتجه شمالا إلى قبرص وغربا إلى ليكيا تحت جبال طوروس ثم إلى جنوبي رودس فكريت وجزيرة كورسيرا حتى صقلية ومنها بطريق جزيرة كورسيرا إلى مستعمراتهم في شمال إفريقيا وأخيرا غربا على الساحل حتى مستعمراتهم في إسبانيا.[3]

في حين يرى البعض أن الطرق التجارية البحرية للفينيقيين تمثلت فيما يلي:

أ- الطريق الشمالي ويضم قبرص- أنتوليا- أنجي- البحر الأيوني- مالطا- صقلية- سردينيا- جزر باليار(Baléares)- واسبانيا.(ينظر الخريطة رقم 11)

---

[*]- اشتهر الفينيقيون بصناعات متعددة منها صناعة الزجاج منرمال شواطئهم والخزف ونسيج الكتان والصوف والقطن (من الهند الذي أدخله ملك سنحاريب) والحرير والإبر، وصناعة الملابس بأنواعها (القمصان والأردية القصيرة والتنانير)، كذلك برعوا في صناعة المعادن ومزج الحديد بالمعادن والبرونز والذهب والفضة، وصناعة الخلاخل والأقراط والآلات الموسيقية والتمائم والأختام، كما برعوا في الصناعات الفنية مثل زخرفة الأواني والألبسة والمزهريات والأثاث، والرسم الزهور الاصطناعية...الخ، للمزيد ينظر: جيمسبرايستد، المرجع السابق، ص251، وكذلك سامي ريحانا، المرجع السابق، ص218-219.

[1]- محمد بيومي مهران ، المدن الفينيقية .....المرجع السابق، ص406.

[2]- أيت عمارة ويزة، المرجع السابق، ص163.

[3]- محمد الخطيب، الحضارة الفينيقية.....، ص69-70.

ب- الطريق الجنوبي ويضم مصر- برقة- طرابلس- وشمال إفريقيا الغربي، وحسب اتجاه الرياح يفضل الطريق الشمالي في الذهاب إلى اسبانيا والطريق الجنوبي عند الرجوع منها وعلى أية الحال فإن صقلية تشكل نقطة اللقاء بين الطريقين. [1] (ينظر الخريطة رقم 12)

وهذه الطرق الرئيسية عرف الفينيقيون أسلوب المساحلة (Cabotage) ذلك أنهم فضلو عدم الابتعاد عن السواحل وتقريب المسافة بين المحطات التجارية التي يأسسونها، حيث تقديريا نجدها في كل ثلاثين (30) كلم تقريبا، وكانوا في حاجة إلى إرساء من حين لأخر في هذه المرافئ يلجؤون إليها كلما هاج البحر، وعصفت الرياح، وفيها أيضا يستريحون من أتعاب السفر، ويتزودون بالماء والطعام، ويصلحون سفنهم ويدبرون شؤونهم[2]، ذلك شأنهم شأن الشعوب البحرية الأخرى التي امتهنت حرفة الملاحة وعرفت قوانين وشروط الإنجاز.

وكان الفينيقيون ينتقلون في البحر مساحة أو يقطعون مسافات قصيرة[*]، ويفضلون الإلتجاء إلى جزر صغيرة أو الرؤوس الساحلية يمكن لسفنهم أن ترسو عليها وتحتمي بها، ولم يكن من الأهمية لهم أن تكون سواحل تلك الأماكن ذات عمق كبير لأن سفنهم لم يكن غاطسا عميق ورسوها في المياه الضحلة كان أكثر أمنا، وكانوا يرسون بسفنهم ليلا ثم يستأنفون الإبحار نهارا، وعلى ذلك يمكن تعيين أماكن رسوهم بتقدير المسافة التي كان يمكنهم قطعا بين كل مرحلة والمرحلة التي تليها[3]، إذ أنّ محاولاتهم عرفت تطورات ملحوظة والشيء الذي زاد من تحركاتهم الإصرارية في مخاطرة ركوب البحر حتى ولو تطلب الأمر إلى البقاء مدّة زمنية طويلة في المركز الذي يحتاج إلى التهيئة والتطوير حسب الحاجة الضرورية لعيشهم، ومن خلال اعتماد الفينيقيين على أسلوب المساحلة نلاحظ أنّهم فضلوا كثيرا السير على الطريق البحري الشمالي على السواحل الليبية بشمال إفريقيا وذلك تجنبوا الطريق الجنوبي ابتعادا عن الاصطدام بالإغريق الذين تقوّت شوكتهم في البحر الأبيض المتوسط.

[1]- عبد الحفيظ فضيل الميار، المرجع السابق، ص25-26.
[2]- أحمد صفر، مدينة المغرب العربي في التاريخ، الدار التونسية للنشر والتوزيع، بوسلامة، تونس، 1959، ص80.
[*]- نظرا لسرعة السفن الفينيقية كانت في بادئ الأمر لا تتجاوز بضعة أميال فإن مدنهم على الساحل الفينيقي ومستوطناتهم على شواطئ الحوض الغربي للبحر المتوسط كانت قريبة من بعضها بحيث لا تزيد صناعة الفاصلة بين كل مدينة وأخرى عن ملاحة يوم تكامل، أنظر: م.م شيماء عبد الباقي محمود، صناعة السفن الحربية في مدن البحر المتوسط وكيفية تطورها عند المسلمين خلال القرن الأوّل الهجري السابع الميلادي، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد 7، العدد3، قسم التاريخ جامعة تكريت، العراق، 2012، ص4.
[3]- أبو محاسن عصفور، المدن الفينيقية...، صص53-54.

والشيء الذي زاد من تطور التجارة البحرية الفينيقية هو إحتفاظالفينيقيون بأسرار الطرق البحرية والرياح والتيارات حتى لا يتسنى لغيرهم معرفتها وحتى يحتكروا الملاحة فيها تأمينا لتجارتهم[1]، خاصة بعد وصولهم إلى مناطق بعيدة كإنجلترا، وعن هذا الكتمان يروي "سترابون" حادثة مفادها أن السفن الرومانية تعقبت مرة سفينة فينيقية لكي تجد أسواق إنجلترا، لكن قائد السفينة الفينيقي قذف بها عمدا إلى الصخور وحطمها وقيض ثمن محمولها من دولته[2]، وهذه القصة تشير إلى احتكار حقيقي للتجارة مع الجزر البريطانية من قبل الفينيقيين لاسيما تجارة القصدير.[3]

2-أهم السلع التي تاجر بها الفينيقيون:

عرفت التجارة البحرية الفينيقية ازدهارا وتطورا كبيرا من حيث العدد والعدة واكتشاف مناطق جديدة حضرت فيها النوع الذي كان مطلوبا عند الشعوب الشرقية مثل المعادن كالذهب والفضة.

وقد اشتهر الفينيقيون بأنهم كانوا يمثلون مركزّا أساسيا لتوزيع السلع والبضائع عبر الأنهار والبحار وفي هذا يقول هيرودوت بأن الفينيقيين "قاموا برحلات طويلة حاملين سلعا مصرية وآسيوية إلى مختلف الأصقاع"[4]، وهذه السلع إضافة إلى البضائع التي صنعوها، فقد حمل الفينيقيون على سفنهم إلى العالم أربع مواد هامة مفقودة في كثير من بلاد البحر المتوسط هي الأخشاب والقمح والزيت والخمر، كما حملوا منتوجات صناعاتهم الرئيسية خاصة الأقمشة والمعادن والزجاج والفخاريات[5]وهنا يتضح على أن البحر المتوسط أصبح بحيرة فينيقية كبيرة لها دور فعال في تطوير الشعوب وتبادل الثقافات والتواصل الحضاري المرهون بمدى توفر الإنتاج المادي.

وتاجر الفينيقيون مع اسبانيا (ترشيش) بالفضة والحديد والقصدير والرصاص، ومع بلاد اليونان والبلاد الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود ومع أرمينيا بالخيل والبغال ومع جنوب

(1)- نور الدين حاطوم وآخرون، المرجع السابق، ص242.
(2)- سامي ريحانا، المرجع السابق، ص225.
(3)- نفسه، ص225.
(4)- Hérodote, I,1.
(5)- سامي ريحانا، المرجع السابق، ص222.

الجزيرة العربية وجزر البحرين بالعاج والأبنوس، مع بلاد ما بين النهرين بالوشي والكتان والمرجان والياقوت والأرجوان، ومع فلسطين بالحنطة والعسل والزيت والبيلسان، ومع حلب ودمشق بالخمر، والصوف الأبيض، ومع جزر البحر الأبيض المتوسط بالغزل والحديد المصنوع، ومع أطراف الجزيرة العربية الشرقية بالطنافس للركوب ومع حضر موت بالغنم والطيب والحجر الكريم والذهب، أما تجارة التوابل فكانت بكاملها بيدهم[1]، أما الأواني النحاسية التي كانت ترد إلى أسواق صور من قبرص كانوا يسوقونها إلى جزر "الكاستريد"و"كورنوال" (بريطانيا) ويستبدلونها بالمادة الأوّلية القصدير لاعتماده في التصنيع كمادة خام[2].

ويعتبر العهد القديم (التوراة) أقدم المصادر التي تشير إلى تجارة الفينيقيين خاصة في مجال البحري، كما يحدد حتى المناطق التي تمت فيها التجارة خاصة في منطقة غربي البحر المتوسط المسماة بترشيش(TARSIS) وقد ذكر النبي حزقيال أن واردات الفينيقيين من الفضة والحديد والقصدير والرصاص كانت من شبه جزيرة إيبيريا، والرقيق وآواني النحاس الأصفر من أيونيا والكتان من مصر والضان والماعز من شبه الجزيرة العربية[3]وإلى جانب ذلك إهتم الفينيقيون بتجارة العبيد واختطاف النساء والأطفال وبيعهم على شكل عبيد، ولهذا نجد "هيرودوت" يصف هذه التجارة في قوله "كانوا بمثابة سلعة تحصلوا من وراءها على أموال ضخمة بالإضافة إلى تجارتهم"[4] خاصة في الجزر اليونانية مثل "ثيرا" و"سيتار"[5]،

ولهذا نجد أن الفينيقيين كانوا مولعين بعامل التجارة وهمهم الوحيد هو الشهرة والربح السريع، لكنهم كانوا روادا في زمن عصرهم ، ووفروا كل ما هو ضروري للحياة الاقتصادية وأصبحت إمبراطوريتهم مثالا أعلى للإمبراطوريات التجارية الناجحة.

---

[1]- سامي ريحانا ، المرجع السابق، ص222.
[2]- معن عرب ، المرجع السابق ، ص142.
[3]- سفر حزقيال، 27،3-25، آشعياء 3/23.
[4]-Hérodote,II,52.
[5]-Hoefer(F. M), Op,Cit,p42.

الفصل الرابع

التأثيرات الحضارية الفينيقية الباكرة في غربي البحر الأبيض المتوسط

1- **المجال الاجتماعي**

2- **المجال الاقتصادي**

أ- الزراعة

ب- الصناعة

ج- الموانئ

1- الموانئ الطبيعية

2- الموانئ الاصطناعية

3- **المجال الديني**

- بعل
- تانيت
- عشترت
- ملقرت

4- **اللغة و الكتابة**

أ- اللغة

ب- الكتابة

1- الكتابة الليبية ذات أصول فينيقية

2- الكتابة الليبية ذات أصول محلية

3- الكتابة الليبية – الفينيقية

4- الكتابة الفينيقية في شبه جزيرة إيبيريا

تمهيد :

إن الحديث عن بدايات التأثيرات الحضارية الفينيقية في غربي البحر الأبيض المتوسط، يستدعي إعطاء أولى ملامح الاتصال الفينيقي بسكان الأصليين[*] سواء في منطقة المغرب القديم أو "شبه جزيرة إيبيريا" و "صقلية" و "سردينيا"، ولعل تلك المحاولات المتكررة للبحارة الفينيقيين هي التي سمحت بوجود سرح حضاري كبير وتأسيس إمبراطورية بحرية جمعت بين ما هو دخيل وأصيل في المنطقة وامتزجت في حلة جديدة غايتها وملامحها الحضارة والتطلع إلى مجتمع جديد يصبو إلى أهداف حضارية تمكنه من الاستغلال الأمثل للإنتاج المادي واللامادي (تمازج بين الثقافات).

وحسب ما تضمنته المعلومات في المصادر القديمة عن بداية الإطلالة الفينيقية في منطقة غرب البحر المتوسط يذكر المؤرخ اليوناني " هيرودوت" مصطلح " الدخان" la-fumée" كإشارة عن وجود اتصال وعنصر جديد دخيل عن سواحل بلاد المغرب القديم فيقول " يوجد مكان في لوبة يسكنه الناس يقع خلف أعمدة هرقل، وإلى ذلك المكان كان الفينيقيون يأتون ويفرغون حمولتهم، وبعد أن يرتبوا وضع بضائعهم بنظام يرجعون إلى ظهر سفنهم الراسية بعد أن يكونوا قد أشعلوا نارا، وعندما يرى أهالي المنطقة الدخان يحضرون إلى الشاطئ ويضعون أمام البضائع الذهب ويعودون أدراجهم، عند ذلك يعود الفينيقيون ويفحصون الذهب فإن وجدوا كمية مناسبة حملوه وغادروا، وإن وجدوه غير كاف عادو إلى سفنهم وانتظروا، وهكذا حتى يتم الإنفاق بين الطرفين"[1] ولا شك في ذلك كان الأمر محصورا ومبتدئ عند الفينيقيين ثم انتقل عند أهل سكان قرطاجة، وفي هذا الوصف نستكشف دور المقايضة كأساس تجاري اتبعه الفينيقيون لترويج سلعهم.

---

[*]- تذكر الدراسات التاريخية على أن سكان الأصليين لبلاد المغرب القديم أو شمال إفريقيا كانوا يدعون باسم اللوبيين أو اللوبيون وكذلك البربر فيما بعد. للمزيد ينظر:
مها عيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم" من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي"، أطروحة الدكتوراه العلوم في تاريخ المغرب القديم، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2009-2010، ص19-21 . وينظر:
-Laugier (T), Histoire du royaume d’Alger, Amsterdam, 1724, pp2-3 , -Olivier (M.G) ; Recherches sur l’origine des Berbères, imprimerie dagand , Bône, 1867, pp 38-42.
- أما عن السكان الأصليين في اسبانيا فقد سكنتها قبائل في النصف الثاني من القرن الأول ق.م تدعى(التورد يتانيين) و(التورد وليين) أو (التورتيتائيين)، للمزيد ينظر : يولي بركوفيتش تسولي، المرجع السابق، ص70-31

[1] Hérodote, VI, CXCVI

وأكثر تفسيرا يتضح لنا مدى المسالمة الفينيقية مع السكان الأصليين وهذا ينطبق على كافة المناطق الواقعة على سواحل البحر الأبيض المتوسط، إضافة إلى انسجام بين الطرفين وحسن التعامل من اجل كسب الثقة والمودة والتبادل في المجال التجاري والاقتصادي وحتى الديني والفكري.

ومن العوامل التي ساعدت على وجود مظاهر وبصمات فينيقية على مجتمع غربي البحر الأبيض المتوسط نذكر:

1- الموقع الجغرافي والامتداد الساحلي الذي ساعد الفينيقيون على الاستقرار والمداولة في العيش المشترك.
2- علاقة المودة والسلمية بين الطرفين والتي سمحت بخلق مناخ مثالي في التبادل التجاري.
3- توفر المادة الأولية بشكل متفاوت على مستوى الطرفين، فالبضاعة التي جاء بها العنصر الفينيقي هي قليلة عند العنصر اللوبي خاصة في مجال التعدين ومختلف المعادن كالذهب والفضة، وهنا تتبين الحاجة الملحة لهذا النوع من البضائع لدى السكان الأصليين لما فيها من فائدة وسهولة في تقنيات العيش .
4- سهولة الاندماج في مجال المعتقد الديني وتعدد التشابه في هذا الاعتقاد خاصة في ما يتعلق بالاعتقاد ما بعد الموت[1] وهذا ما سوف نعرفه لا حقا.

وكل هذه العوامل ساعدت على إعطاء صورة واضحة عن الأثر الفينيقي وتطابق بين مجتمعين اختلفت حوله درجة الإنتاج الحضاري، وانطلاقا من نظرية التأثير والتأثر، والتفاهم الطرفان في رواج السلع المختلفة من بيع وشراء في إطار المقايضة وتوفر المناخ الملائم لذلك أصبحت أرض بلاد المغرب القديم وشبه الجزيرة الإيبيرية سوق واسعة للبضاعة الفينيقية والشرقية، فاتحة عهد جديد في تاريخ هذه الشعوب والقبائل في شتى أصنافها .

---

[1]- إن هذا النوع من الإعتقاد كان سائدا عند الشعوب القديمة خاصة في منطقة الشرق الأدنى القديم والمغرب القديم فكانت الشعوب تؤمن بوجود حياة ما بعد الموت والخلود مثل الكنعانيون الفينيقيون أو المصريون والعراقيون القدامى ولهذا نجد أن الإنسان القديم كان عندما يدفن يصطحب معه أدوات وحاجات مختلفة تساعد على العيش في عالم الأموات، ينظر: خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن 2001 ص 250-251

ولم تكن التأثيرات الفينيقية وليدة الصدفة، فهي مزاج وتطور تدريجي ينطلق من الاكتشاف المناطق والتعرف عليها من خلال عرض البضاعة والتقدم أكثر نحو الساحل، ثم اختيار المكان المناسب من أجل استمرار في عملية التبادل، وبعد ذلك تأتي فكرة الاستقرار وهذا ما نسميه بالمرحلة الارتياد المبكر، أما المرحلة الثانية هي مرحلة الاستقرار التام وتأتي بعد تأسيس المحطة التجارية ثم المستوطنة البشرية بمفهوم المكون الاجتماعي والإطار السياسي وهنا تظهر بوادر العمارة الفينيقية في حوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وتبدأ مظاهر جديدة لمجتمع جديد يدعى بـ المجتمع الليبي الفينيقي(*) أو ما يصطلح عليه "بالبوني" أو "البونيقي"(1) حامل مزاج واسع من الإنتاج الحضاري في شتى الميادين مبرزا الآثار الفينيقية في حياته اليومية، وقد تجلت مظاهر التأثيرات الحضارية الفينيقية في غربي البحر الأبيض المتوسط كالآتي:

1-المجال الاجتماعي:

إن التحولات والتغيرات التي تشهدها البنية الاجتماعية في منطقة المغرب القديم وشبه الجزيرة الإيبيرية ، كانت منحصرة في النسيج الاجتماعي والمكون العام من حيث الحياة العادية وتنوع الميزات البشرية، وعن المجتمع اللوبي فقد كان يحتوي على عناصر بشرية محلية خالصة تعود جذوره الأولى إلى فترة ما قبل التاريخ من الإنسان العاتري(**) والقفصي والوهراني(***) الذي نشأ في بلاد المغرب القديم، ولعل ذلك يعني أن العناصر البشرية الوافدة من الفينيقيين لم تكن لتشكل زيادة سكانية ذات تأثير واضح المعالم في

(*)ـ كان هذا المصطلح قد ذكره المؤرخ الرماني"بوليب" باللوبي-فينيقيين"libyco-phoenices".ينظر :
- Polybe , H.R , I , 71 , 1

(1)- البوني أو البونيقي: لفظة إغريقية أطلقت على أهل قرطاجة (خليط فينيقي مع المحليين) تطور منها لفظة بونيك في اللهجات اللاتينية ويجوز إستعمال لفظة قرطاجي محل البوني . للمزيد ينظر: هنري عبودي، المرجع السابق، ص 248

(**)ـ الحضارة العاترية هي إحدى الحضارات ما قبل التاريخ في الجزائر في فترة العصر الحجري الاوسط و سميت بهذا الاسم نسبة إلى بئر العاتر في منطقة النمامشة بالجنوب الغربي لمدينة قسنطينة 35000ق.م-25000ق.م . ينظر : جوليان شارل أندري ، تاريخ افريقيا الشمالية (تونس – الجزائر – المغرب الاقصى) منذ البدء حتى الفتح الاسلامي تعريب : محمد مزالي و البشير بن سلامة ، ط3، السداد التونسية للنشر ، تونس ، 1978،ص40

(***)ـ الحضارة القفصية هي إحدى الحضارات ما قبل التاريخ في فترة العصر الحجري القديم الاعلى و كلمة قفصي نسبة إلى قفصة الواقعة جنوب غرب تونس 10000ق.م – 6000ق.م ، أما الوهرانية هي كذلك الواقعة في فترة العصر الحجري القديم الاعلى نسبت في البداية إلى موقع المويلح الواقع غرب وهران تم أصبحت تدعى بالايبيرومغربية ثم الوهرانية . ينظر : جوليان شارل أندري ، المرجع السابق ، صص41-42

النسيج الاجتماعي اللوبي الأصيل[1]، لكن إذا ما أخذنا وسلمنا بهذا الموقف نرى أنه هناك نوع من التقليل في الدور العنصر الفينيقي على المستوى التركيبة السكانية للمنطقة، صحيح أن المظاهر كانت ناقصة ونسبية في التدليل على ذلك وهذا راجع لنقص المادة العلمية الأثرية حول هذا الموضوع، وفي الوقت الذي استوطن فيه الفينيقيون المناطق الساحلية كانت القبائل اللوبية لا تزال غير مستقرة تجوب المناطق الساحلية والداخلية مثل قبائل "النسمونيين"[*] وقبائل "اللوتفاجيين"[**]، وهذا ما سمح للفينيقيين بالاستقرار في المناطق كان يقطنها اللوبيون موسميا، مما أدى إلى تغير طفيف في النسيج الاجتماعي لسكان المغرب القديم خلال الألف الأولى ق.م أي في عصر الرحلات الفينيقية البحرية الأولى ولكن في مناطق خصية ومحددة[2]

وكما كانت البنية الإجتماعية لسكان بلاد المغرب القديم متجانسة ومقسمة ومهيكلة على مستويات عديدة تحتوي مجموعة من الشعوب والقبائل يحكمهم رئيس القبيلة وهو الذي يجمع بين السلطتين الزمنية والدينية، ومجلس القبيلة المتكون من رجال كبار السن[3]، وهذا لا يبتعد عن المجتمع الفينيقي الذي كان مقسما على شكل طبقات أعلاها جماعة الأشراف والنبلاء وتليها طبقة الصناع والتجار، وآخرها طبقة الأقنان والعبيد[4]، وقد تجلى هذا التقسيم خاصة عند أهل قرطاجة والمدن الساحلية والداخلية وبالتالي استطاع الفينيقيون التأثير على مستوى الحكم والنظم عند المجتمع المغربي القديم، ولكن هذا لا يبين بأن اللوبيون لم يعرفوا هذا النظام بل زادوا من توسيعه خاصة من الناحية النظام والتنظيم السياسي هذا من جهة ومن جهة أخرى كذلك تأثر اللوبيون بالفينيقيين في أشكال المساكن والبيوت، فقبل مجئ الفينيقيين كانت مساكنهم عبارة عن كهوف أو كنن أو أكواخ من

---

[1]- مها عيساوي، المرجع السابق، ص 183

[*]- النسمونيين : و إحدى القبائل الليبية ذكرها هيرودوت في كتابه الرابع الفقرة 172 فيصفها أنها كثيرة العدد و يمتلكون قطعان من الحيوانات و يقومون بجني التمور بواحة أوجلة ، كما ستميزون بتعدد الزواجات ...ينظر : أعشي مصطفى ، أحاديث هيرودوت (489/487-425 قبل الميلاد) عن الليبيين (الامازيغ) ، منشورات المعهد الملكي للثقافة الامازيغية ، المملكة المغربية ، 2008، ص41

[**]- اللوتفاجيين : هي كذلك إحدى القبائل الليبية ذكرها هيرودوت في كتابه الرابع الفقرة 177 فيصفها أنها أكلة نبات اللوتس و تصنع منه النبيذ . ينظر : أعشي مصطفى ، المرجع نفسه ، ص51

[2]- مها عيساوي، المرجع السابق، ص 183

[3]- نفسه، ص 174

[4] عبده علي رمضان، المرجع السابق ، ص 178

الخوص أو الطين والحجارة وأغصان الأشجار[*]تسمى بمقاليا و"عكليهت" أو " تيمدلت" أو "أغادير"، غير أن سرعان ما تحولوا إلى بناة مقلدين لجيرانهم، فظهرت إلى الوجود مدنا عديدة داخلية شبيهة بالمدن الفينيقية الساحلية وقد تحقق ذلك بعون ومشاركة الفينيقيين أنفسهم[1]، وكما استطاع اللوبيون التزاوج والتفاعل مع بيئتهم والحفاظ على الموروث الثقافي[2]، وقد إنصهر الفينيقيون مع السكان الأصليين من خلال الزواج مع بعض بناتهم خاصة في مدينة قرطاجة[3]، وهذا ما يتجلى في اقتراح الملك " هيرباص" "Hirbas" الزواج مع "عليسة" التي جاءت حسب الاسطورة من الساحل الفينيقي قاصد بلاد المغرب القديم[4] ، وإذا لم يتم الزواج فعلا فلربما حدث الانصهار فيها بعد بين القادمين والمحليين.

أما عن السكان بلاد شبه جزيرة الايبيرية وخاصة إسبانيا يبين لنا المؤرخ " يولي بركوفيتش تسولي" أن هناك أقوام "فينيقية –ليبية" سكنت الساحل الإسباني أو الإيبيري وإختلطوا بدورهم مع سكان الجوار "أي الأهالي" مكونين بذلك مجموعة إثنية[5] مختلطة تدعى بالبلاستو فينيقيون أو البلاستوبونيون.[6]

وبصفة عامة يمكنا القول أن الفينيقيين كان لهم دور بارز في صناعة التشكيلة والبنية الاجتماعية والبشرية لمجتمعات المغرب القديم وشبه الجزيرة الايبيرية، وهم لم يكونوا لوحدهم صانعوا هذا المجتمع بل كذلك نقلوا معهم عناصر أخرى شرقية إستطونت هي كذلك الساحل الإفريقي نذكر منهم العنصر " اليهود" الذين جاء برفقة الفينيقيين وحسب

---

[*]- يصف لنا المؤرخ "هيرودوت" مساكن "النسمونيين" أنها تصنع من سيقان النباتات ومن البوص ليسهل نقلها من منطقة إلى أخرى. ينظر: مها عيساوي، المرجع السابق ص 172

[1]- بوزياني الدراجي، ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية ، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، 2010 ،ص 102

[2] -مها عيساوي ، المرجع نفسه ص 173

[3]- جوليان شارل أندري ، المرجع السابق، ص125.

[4] -Gsell (S) ; H.A.AN ,T1, p 383

[5] - الإثنية باللاتينية إثنوس(ETHNOS) وتعني عرق، شعب، جنس، سلالة أو شكل تواجد نوع Homo sapiens وأفراده الذين يختلفون في تشكيلاتهم الاجتماعية والبيولوجية. للمزيد ينظر:ليف غوميلوف ، في دوامة التاريخ " النهاية والبداية و بحوث في نشوء الحضارات و انهيارها"، ترجمة: نواف القنطار، ط2، دار علاء الدين للنشر والتوزيع ، دمشق سوريا، 2008، ص 19.

[6] - يولي بركو فيتش تسولي ، المرجع السابق ، ص 62-63

الدراسات التاريخية هم عبيد سيدنا سليمان عليه السلام ركبوا البحر بأمر من " حيرام" ملك صور وحطوا على السواحل وانصهروا مع السكان المحليين[1]

2- المجال الاقتصادي

إلى جانب المجال الاجتماعي، فقد أثر الفينيقيون في المجال الاقتصادي على مجتمعات غربي البحر الأبيض المتوسط وأظهروا العلاقات المبكرة التي تتجلى فيها ما يلي:

-أ- الزراعة:

لقد كانت الزراعة عامل أساسي ومهم في حضارة الشعوب القديمة سواء كانت شعوب الشرق الأدنى القديم أو بلاد المغرب القديم، حيث رافقت الإنسان القديم وكانت مصدره الأساسي في عيشه اليومي إلى جانب الصيد البري والبحري.

واللوبيون مثلهم كمثل الشعوب الحضارية الأخرى عرفوا تقنيات الزراعة قبل مجيء الفينيقيون فقد أكدت الدراسات الأثرية أن اللوبيين كانوا قد حذقوا الزراعة ومارسوها، وكانت الرسوم الصخرية التي تعود إلى مرحلة عصر المعادن في الأطلس الأعلى تصور لنا المحراث الدوار في حين أن الفينيقيين كانوا يستخدمون المحاريث ذات ثلاث شفرات وكانوا يجرونها بأنفسهم بواسطة حبال يربطونها على أكتافهم، ثم استخدموا الثيران لحرث الأرض لاحقا[2] ، وهنا يتبين الأثر والوسيلة التي جاء بها الفينيقيون في استخدام أساليب الزراعة وتطويرها من أجل تسهيل الممارسة اليومية، فاللوبيون قبل العصر البوني لم يعرفوا أية وسيلة ميكانيكية لدرس محاصيلهم فكانوا يدرسون الحبوب بالحجارة الضخمة التي كانت النواة الأولى للرحى الحجرية[3].

وكما عرفت القبائل اللوبية من الجهة الشرقية لبلاد المغرب القديم أصول الزراعة وهذا ما تظهره الآثار المادية المصرية في لوحة "الحصون والغنائم" لمجموعة من الأشجار الزيتون، ولقد تم العثور على جرات بها بقايا من الزيت المستخرج من الأشجار وكذلك ما

---

[1]- هيكل أحمد الشحات، يهود المغرب (تاريخهم وعلاقتهم بالحركة الصهيونية)، مجلة سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد 35 ، مطبعة العمرانية لأوفست جامعة القاهرة 2007 ص 11 ، و ينظر : سعد الله فوزي ، يهود الجزائر "هؤلاء المجهولون" ، ج1، دار القرطبة ، ب.ت، ص32.

[2]- مها عيساوي، المرجع السابق، ص 184

[3]- نفسه، ص 184

تنص عليه أنشودة النصر للملك "مرنبتاح[*]حول نفاذ القمح لرئيس القبيلة بأرض الليبو[1]،وبالرغم من أصولية الكروم والتين واللوز فإن (ستيفان غزال) (S-Gsell) يشير بأنه لا دليل على وجود أنواع مزروعة منها قبل دخول الفينيقين وأن السكان المحليين عرفوا الخمر والزيت في ما قبل التاريخ[2]، و يشير "محمد حسين فنظر" على وجود الكروم من النوع البري تدعى " المزاري" " Massari" أو "أمبولوسيا" "d'ampelusia" وأن مع دخول الفينيقيين بدأت عملية تدجين هذا النوع بأنواع وفصائل كنعانية في بلاد المغرب القديم[3].

وبما أن الفينيقيين كانوا مزارعين مهرين في الشريط الذي سكنوه بين البحر الأبيض المتوسط وجبال لبنان فخلف مدن الساحل "صيدا" و"جبيل" و"صور" وغيرها تمتد الأراضي الزراعية التي خصبها جهد الرجال الفينيقيين وزرعوا بها الحبوب والكروم والزيتون وأشجار أخرى المثمرة[4] فإن الوجود لهذا الانتاج الزراعي كان حاضرا في بلاد المغرب القديم خاصة بعد الاندماج و الانسجام الاجتماعي لـ"الليبو- فينيقين" وتطور العلاقة بينهم، وكذلك يصح القول ما أبرزه "غانم محمد صغير" عندما أشار على أن الفينيقيين لم يكونواهم الأوائل من علم المغاربة القدماء الزراعة كما يدعي البعض، ففي بداية الأمر قد زرعوا بمساعدة المغاربة القدماء السهول الساحلية القريبة من مراكزهم التجارية وذلك وفقا للعادة التي كانوا يعرفونها في الوطن الأم (بلاد كنعان)، وظهر منهم علماء نذكر منهم "ماغون" الذي ألف موسوعة من ثمانية وعشرون جزءا في القرن الثالث.ق.م[5] ، وهو الذي وضع أصول الزراعة في العالم ومازال الزراعيون حتى اليوم يقتدون به كما يعتبر

---

[*]- مرنبتاح: هو الابن الثالث عشر للملك رمسيس الثاني وذلك طبقا لقائمة أسماء رمسيس الثاني التي نوقشت على أحد جدران الرامسيوم، وتولى العرش بعد وفاة أبيه وأصبح ملكا على مصر حيث ساعد الحيثيين في مواجهة القحط ودافع عن بلاده ضد الجهات من الشرق والغرب (ليبيا) وقد مات مرنبتاح ودفن بقبره بوادي الملوك. ينظر:أديب سمير، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، ط1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص 728-729.

[1]- مها عيساوي، المرجع السابق، ص 115-116.

[2] - Gsell (S) ; H.A.A.N, T01, p238

[3] - Fantar (M .H) ; la vigne et le vin à l'époque carthaginoise ………..Op.Cit, pp41-42

[4]- قعر المثرد السعيد، الزراعة في بلاد المغرب القديم "ملامح النشأة والتطور حتى تدمير قرطاجة سنة 146ق.م"، رسالة ماجيستر في تاريخ القديم، جماعة منتوري، قسنطينة ،2007 ، ص92.

[5]- غانم محمد صغير، الملامح الباكرة لنشأة الزراعة وتطورها في بلاد المغرب القديم، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 17، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، جوان، 2009 ، ص2.

بحثه كتاب موجزا في التربية والتدجين[1] وأعطى مفاهيم جديدة في الفلاحة والري وتحسينات في عملية التكاثر عند الماشية.

ولقد قام الفينيقيون ولأول مرة بعد نقلهم الزراعة إلى الغرب بتنظيم الأراضي الضرورية للاستفادة مما ورثوه في الشرق[2]، وطوروا آلات الحرث والدرس ولعل أهم ما أبدعوه أو طوروه في غرب البحر الأبيض المتوسط تلك الآلة المعروفة بعربة الدرس البونية (Peonicum Plastellum) التي كانت تستعمل في إسبانيا وفي مناطق أخرى وتتشكل من ألواح خشبية وعجلات صغيرة مسننة يصعد السائق عليها ليوجه الحيوانات المقرونة إليها. وكانت هذه الحبوب تخزن في أوان كتلك الجرار الضخمة التي عثر على نماذج منها في الأندلسيات[*]قرب وهران إضافة إلى ذلك أدخل الفينيقيون تقنيات التلقيم والتأبير[**] والزبر خاصة في الأعشاب وصنعوا في إفريقيا الخمر مثلما صنعوا في موطنهم[3] خاصة وأنهم أدخلوا فصيلة الكروم بأنواعها في المنطقة الغربية للبحر الأبيض المتوسط.

أما عن التين فكان النوع البري معروفا في بلاد المغرب القديم غير أنه لم يكن صالحا الاستهلاك ولعل الفينيقيين هم الذين أدخلوا أصنافا جديدة نظرا لمعرفتهم العريقة به وأصبح يدعى بـ التين الإفريقي (Figus Africana).[4]

ولهذا نجد المؤرخ (رونيه باسيه-R. Basset) يؤكد على التأثير الفينيقي لنوع من المزروعات في قوله "... لقد علمت قرطاجة البربر كيفية الاعتناء بالشجر الزيتون التي كانت برية في السابق، وكذلك كيفية استخراج الزيت منها، كما علم الفينيقيون البربر

---

[1]- جان مازيل، المرجع السابق، ص165.

[2]- نفسه، ص 165-166.

[*] - الأندلسيات: Les andalouses: تشكل الأندلسيات الواقعة إلى الغرب من وهران موقعا هاما عثر به على أقبية محفورة في الصخر، دلت على تلك البقايا الفخارية التي وجدت بداخلها على أنه يمكن تأريخ هذه الأخيرة حوالي القرن 4 و3 ق. م وهي تمثل نموذج للطابع البوني وجغرافيا محمية بواجهة رأس فالكون. ينظر: سلاطنية عبد المالك، المرجع السابق، ص 184، وينظر:

Nicolas (C) , Les ports phéniciens et puniques, géomorphologie et infrastructures, thèse de doctorat, T02, université Strasbourg 2, 2008, p 504.

[**]- التأبير: ويقصد به عملية التهجين بزرع حبات من التين البري مع التين المزروع وذلك من أجل مسارعة النضج والتكثير من المنتوج، للمزيد ينظر : Gsell(S), H.A.A.N, T 02, p31

[3]- قعر المثرد السعيد، المرجع السابق، ص 117-118 .

[4]- نفسه، ص 122.

زراعة التين التي كانت موجودة بالمغرب كشجرة برية، وعلموهم زراعة الكروم والرمان وكذلك فن زراعة الشجر المثمر الذي أصبح موجود بكثرة..."[1]

وفيما يخص نوع المكسرات وخاصة فصيلة اللوز فيؤكد المؤرخ "بلين الأكبر" -Pline ancien" أن القرطاجيين لم يهملوا هذا النوع وزرعوه بكثرة فقد أعطى "ماغون" تعليماته لزراعة اللوز خاصة بين شهري أكتوبر وديسمبر أو ما يسمى بالانقلاب الشتوي[2]، أما زراعة النخيل وهي منحصرة في الواحات والصحراء والدليل تلك الرسومات لأشجار النخيل المنقوشة على العديد من النقود البونية وحتى الفينيقية، وكما عرفت منطقة غربي البحر الأبيض المتوسط حضور النباتات الصناعية فيما يعرف بـ "الجلجلان" (Sésame) (Sesamum indicum) الذي يستخرج منه الزيت الذي كان شائع الاستهلاك في آسيا ويكون الفينيقيون قد جلبوه معهم.[3]

وبالنسبة للصيد البحري فمن المعروف تاريخيا أن الفينيقيين اشتهروا بعملية الصيد وتفننوا في تقنياته لدرجة أصبحوا ملاك للساحل الفينيقي، وباعتبار هذا النشاط مرتبط بالموانئ وغذاء مكمل للزراعة فقد أدخل الفينيقيون أساليب جديدة في الصيد فأنشاؤا مسمكات كبرى على السواحل البحر الأبيض المتوسط، وحسب جغرافية المنطقة فهي تتخللها مجموعة من الجزر سمحت بوضع ملاجئ للصياديين وحتى مراكز للراحة من عبئ السفن والمراكب البحرية ومن هذه المراكز نذكر (روسادير-Rusadir) (مليلة)، و(سلا-Sala)، و(ليكسوس- Lixus) (العرائش)[4]، وكما ورد عند المؤرخ "سترابون" ساحل "البيزاسيوم" عند (Caput vada- رأس كبودية) الذي كان مركز لصيد أسماك التونة (Thunus) (thon)[5]، وهذا يدل على أسرار وكنوز الفينيقيين في المتاجرة البحرية من خليج السرت حتى سواحل جنوب إسبانيا.

---

(1)- Basset(R) : Les influences puniques chez les berbères, Revue Africaine, V62 , Alger , 1921, p340.

(2)- Pline L'Ancien , H.N , XVII, 130

(3)- قعر المثرد السعيد، المرجع السابق، ص125.

(4) - Carcopino (J) ; le Maroc Antique, éd : Gallimard, Paris, 1943, p25.

(5) - Strabon, XVII, 16.

أما عن الزراعة في شبه الجزيرة الإيبيرية فيبرز لنا المؤرخ "يولي بركوفيتش تسولي" أن المسألة معقدة وأن الزراعة كانت مرتبطة أساسا بالتجارة ونحن نعلم أن الزراعة كانت قائمة في مدينة صور بالنسبة للمستعمرات الصورية في اسبانيا، ولم تكن قائمة عند القادسيين بحجة ضيق ممتلكاتهم لكن توجد هناك عدة مدن فينيقية اسبانية بها أراضي يمكن استخدامها للزراعة ودليل على ذلك العثور على أعداد كبيرة لعظام العجول والأبقار بمنطقة "توسكانوس" واستخدمت للجر لا للحصول على الحليب واللحم فقط [(1)]، وإذا ما فسرنا هذا الافتراض والغموض يمكننا التسليم بوجود عدة عوامل أثرت في تعقيد مسألة الوجود الزراعي المحلي أو الفينيقي بشبه الجزيرة إلايبيرية، فمنها ماهو أثري وما هو جغرافي ، بالنسبة للأثار هي قليلة مقارنة بمنطقة المغرب القديم حتى أنها تكاد تنعدم حول التأثير السامي الفينيقي على شعوب المنطقة، وهذا لا يقلل من شأن البحارة الفينيقيون فربما عامل مرور الزمن كان وراء اندثار تلك الأثار، أما جغرافية المنطقة فهي منحصرة بين شطوط البحار المحيطات وكذلك ضيقة لا تسمح بوجود غلال كبير مثل ما هي موجودة عند الليبيين- الفينيقيين.

وقد أتاحت لنا المعطيات بأن الزراعة لعبت دورا في إقتصاد الفينيقيين الإسبان، فحسب المؤرخ "ميلا"[(*)] أنه كانت تزرع الحبوب في المناطق عديدة، وكذلك يشير "ديودور الصقلي" أن زراعة العنب والزيتون كانت موجود مع حضور عملية التطعيم الأشجار البرية، أما تربية الحيوانات فقد عرفت المنطقة حضور نوع الغنم و الماعز، وفيما يخص الصيد البحري فهو شائع عند شواطئ اسبانيا الجنوبية وهذا ما تحدث عنه "سترابون" عن إبحار القادسيون عند مصب نهر "ليكس" لصيد الأسماك على متن سفنهم الصغيرة المعروفة بالأحصنة نظرا لزخرفة مقدمتها التي تشبه شكل رأس الحصان، والدليل على ذلك

---

(1)- يولي بركو فيتش تسولي، المرجع السابق، ص 78.

(*)- ميلا: إسمه الكامل بومبونيوس ميلا"Pomponius Méla مؤرخ اسباني عاش خلال القرن 1م ، عاصر الامبراطورية الرومانية و كان أديبا و جغرافيا معجبا بأعمال ساليستيوس الذي أخذ عنه المعلومات .للمزيد ينظر: Gsell(S).H.A.A.N, T5, P22

هو كثرة صيد الأسماك في جزيرة إيبيريا ونقشها على العملات والنقود من نوع سمك التونة أو الدلافين.[1]

- ب-الصناعة:

تعتبر الصناعة من أهم الإنجازات الحضارية للإنسان القديم من حيث الشكل والمضمون، فهي التي أعطته الإمكانيات لكي يحقق نوعا من قوت عيشه ويحافظ على التوازن البيئي، والإنسان المغاربي القديم كان قدعرف الصناعة منذ زمن بعيد أي في الفترة العصر الحجري الحديث[*] خاصة المناطق التي عرفت وجود العنصر البشري بكثرة وأقصد المنطقة الليبية القديمة أو ما يسمى بالمغرب القديم.

كان على رأس التأثيرات الفينيقية تلك المخلفات المادية مثل الفخار بنوعيه البدائي البسيط وفخار الدولاب الذي يعد متطورا، وقد عثر على نماذج لهذين النوعين من الفخار في القبور الفينيقية الليبية (البونية)، ومن خلال التنقيبات الأثرية التي أجريت في السواحل الجزائرية حتى الآن بأقدم فخار بوني عثر عليه يعود إلى منتصف القرن 7ق.م وقد التقط من مقبرة "رشقون" بالغرب الجزائري، وحسب الاستنتاجات الحديثة فإنه لا يبتعد أن يكون الفخار المشار إليه قد وصل إلى جزيرة "رشقون" عن طريق شبه جزيرة إيبيريا، وذلك للعلاقات متينة التي تربطها [2]، وحسب الآثار المادية يوجد هناك نوعان من الفخار في بلاد المغرب القديم: (ينظر اللوحة رقم 17)

- الفخار المحلي الصنع ولونه رمادي أو الأسمر يتمثل في القدور والصحون العميقة والمسطحة، الكؤوس، الفناجين، والمصابيح، وهي تحمل زخارف هندسية بسيطة.

---

[1]- يولي بركوفيش شولي، المرجع نفسه ص 78-90

[*] - في المغرب القديم وحسب المراجع الأجنبية أشارت على أن الصناعة في هذه المنطقة كانت موجودة قبل وفود الفينيقيين إليها ودليل على ذلك وجود مخلفات مادية من الفوؤس والمناجل وأدوات فلاحية متعددة كالمحراث حتى صهر الحديد وصناعة الملابس والحلي (من خلال الرسوم الصخرية) ينظر إلى:

Gsell(S) ; H.A.A.N, T6, p22-76

وينظر :

Camps (G) ; Aux origines de la berberie, monuments et rites funéraires protohistoriques, paris, 1961, p35-36.

[2] - غانم محمد صغير، نظرة في العلاقات .... المرجع السابق، ص 51.

- الفخار المصبوغ المتقن الصنع وهو ذات تأثير أجنبي سطحه مملس يستعمل فيه الصلصال ومزخرف بألوان سوداء أو حمراء. [1] (ينظر اللوحة رقم 18)

ويتجلى التأثير الفينيقي في الفخار المغاربي من حيث إدخال الزخرفة الهندسية على الفخار المصبوغ واستعمال الدولاب[2]، ولقد امتزجت الصناعتين الفينيقية والمحلية وأعطت طابع جديد في صناعة الأواني والمزهريات والقناديل الفخارية وهذا ما يثبته الباحث "بيار سنتاس" (p.cintas) عندما عثر على أشكال متعددة لهذا النوع في مدينة تيبازة (Tipasa)[3] التي وجد فيها عدة مقابر جنائزية تضم أنواع متعددة من الأثاث الجنائزي بما فيها المصابيح والأواني الزجاجية فينيقية الأصل كذلك وجدت في مناطق أخرى غير تيبازة مثل (جيجل- Djidjelli) و(قرطاجة- Carthage) و(تابسوس- Thapsus)(رأس ديماس) و(هانشيرمازكرال- Henchir-Meskral)،و (قوراية - Gouraya) و(رأس بون- Cap Bon) [4]، ولم يقتصر الفخار الفينيقي البوني الذي عثر عليه في السواحل الجزائرية ومناطق أخرى على الأواني فقط بال شمل أيضا الدمى الأقنعة والتمائم التي كانت تستعمل في أغراض سحرية تعبدية [5]

بالإضافة إلى صناعة الفخار هناك صناعة الزجاج التي برع فيها الفينيقيون بشكل فني واسع وحسب (بلين الأكبر- Pline Ancien) أن هذه الصناعة ناتجة عن اختلاط مادة قطع "النترات البوتاس" التي كانت سفنهم تحملها من أجل استعمالها في الطبخ على النار بالرمل الناعم على الشواطئ البحرية فظهر نوع الزجاج [6]، ولا شك في ذلك قد عرفت فينيقيا وطن الأم هذه الصناعة ونقلوها إلى مناطق عديدة بما فيها بلاد المغرب القديم، وذلك عن طريق تجارتهم المربحة وامتزج النوع الشرقي الفينيقي بالمحلي الليبي، فقد عثر في المنطقة المذكورة نوع من الزجاج ذات لون مزخرف أو أزرق مائل إلى السواد في بعض الأحيان،

---

(1)- Gsell(S) ; H.A.A.N, T6, p65-p66

(2)- Camps(G) , Recherche sur l’Antiquité de la céramique modelée et peinte en Afrique du nord , Libyca , T3, 1955, P390

(3)- غانم محمد، صغير، المرجع السابق، ص 51.

(4) -P. Cintas, fouilles puniques à Tipasa ; R . Afr , V 92, Alger 1948, pp 286-322 , Gsell(S), Les Monuments Antiques de l’Afrique Ancienne , T1, libraire des écoles française D’Athéne et de Rome,Paris ,1901,pp56-60

(5)- غانم محمد صغير،المرجع السابق، ص 54.

(6) -Pline Ancien , H.N , IX , 65.

وفي هذا الصدد يذكر (ب- غوكلر - P.Gauckler) الذي إهتم بدراسة صناعة الزجاج الفينيقي في بلاد المغرب القديم بأن الزخرفة كانت تتم على العجينة قبل وضع الأنية في النار، وغالبا ما يكون اللون الذي يسيطر على الزجاج الفينيقي أزرق خالصا أو يكتسي زرقة تجعله يميل إلى السواد، وهناك اللون الفضي والباهت المائل إلى الاصفرار.[1](ينظر اللوحة رقم 19 و 20)

إضافة إلى صناعة الزجاج هناك صناعة الجعارين (les scarabées) والتي كانت تصنع من الأحجار الكريمة ولقد لوحظ حوالي ثمانون نوعا من الجعران في منطقة كركوان التونسية (kerkouane) معظمها تحمل بصمات ذات تأثير مصري قديم مختومة بالكتابة الهيروغليقية مثال إسم تحتمس الثالث (thoutmosis) "Mn-hpr-R^{c}" ، وإسم آمون رع (Amon – Re)"mry-Imn-R^{c} " ، وكما نجدها في(موتي- motyé) و(كيتيون - kition)، و(أوتيكا- Utique) ، و(إيبيزا- ibiza) و(تاروس - tharros)[2]، ويعود هذا الفضل للفينيقيين ودورهم في جلب المؤثرات الشرقية بما فيها تلك الرسوم التشخيصية التي وجدت على العاج ، والزجاج وغيرها من الأشياء الأخرى تعد من أرقى ما وصل إليه فن الرسم والنحت الفينيقيين في بلاد المغرب القديم.[3] (ينظر اللوحة رقم 21)

بالنسبة لصناعة الحلي[*] فقد كانت المرأة الفينيقية لها مكانة عالية بين المجتمعات القديمة لا سيما العناصر البونية أو المرأة الليبو- الفينيقية[**] وكما ضاهت أناقة المرأة البونية نظيراتها في الحضارات الأخرى الشرقية، فازدانت بدبابيس أو حلقات لشد الشعر كما تحلت بأقراط المصنوعة على نمط سلة حبوب أو ثمرة البلوط و الاخرى ملفوفة الطرفين أو مبطنة بالبرونز متخذو أشكال الحيلة الملكية الى جانب الرمز المصري وازدان صدرها في القرون الأولى من حياة قرطاج بقلادات متعددة اختلط في تكوينها الذهب

---

[1]-غانم محمد صغير، نظرة في العلاقات ... المرجع السابق، ص 54

[2] - Radissi(T); Etude des scarabées et scraboides de kerkouane , Reppal IX , institut national du patrimoine, Tunisie, 1995, pp 115-116

[3]- غانم محمد صغير، نظرة في العلاقات ... المرجع السابق ، ص55

[*]- بالنسبة للحلي فإن فن الصناعة فقد بلغ ذروته في القرن 16 ق.م إذ إكتشف ميزان أحد الصاغة وأوزانه في رأس الشمرة كما اكتشف أساور وخلال وأقراط ومشابك للصدر. ينظر: ريحانا سامي، المرجع السابق ، ص 218

[**] ـ كانت المرأة الليبية القديمة ترتدي قراب العورة وقلنسوة وتتحل ريش النعام والأقراط والأساور القلائد. للمزيد ينظر: مها عيساوي، المرجع السابق، ص 120

والفضة مع الحجارة الثمينة من صفير وعقيق وفيروز و لازورد، تتوسطها في غالب الأحيان علب مستديرة الشكل مزخرفة برموز دينية أو بعلب مستطيلة الشكل ذات رؤوس حيوانات ترمز إلى معبودات مصر القديمة[1]، وهذا يدل على التأثير المصري في الحضارة الفينيقية في بلاد المغرب القديم خاصة في المجال الإعتقاد الديني.

وكما تزينت المرأة البونية بخلاخل في رجليها وهذا راجع للفن القوي الذي نحته ذلك الصانع والصائغ البوني-الفينيقي حيث إستعمل طريقة فن التطريق (repoussé) وتجميع أجزاء الحلي إلى اللحام (soudure) أو البرشمة (rivetage) وزخرفتها بالنقش والتنميق(gravure-ciselure) أو ترصيع مع إتقان إستعمال فن الحبيبات(granulation) في إبتكار العديد من الأشكال[2] ليتخد نوعا من الامتزاج الفينيقي الشرقي مع اللوبي الغربي. (ينظر اللوحة رقم 22)

وأما بالنسبة للأسلحة فقدت وجدت بقايا السهام الحديدية والخناجر ورؤوس الحراب التي عثر عليها في جزيرة "رشقون" يضاف إلى ذلك ما أظهرته نتائج الحفريات التي أجريت في دهليز الصومعة بالخروب(قسنطينة) فيما بين سنتي 1915م-1916م من آثار جنائزي يتكون من خناجر وسهام كانت في حالة رديئة من جراء التآكل الذي أصابها بفعل تعاقب الزمن[3]، وكانت هذه البقايا معظمها من طراز فينيقي مع وجود بعض التأثيرات المحلية واليونانية، ويضيف "ستيفان غزال" أنه وجدت أثار للأسلحة ذو الحدين منها الرماح الحادة والمصنوعة من الحديد والبرونز[4] (ينظر اللوحة رقم 23)

وغلب على شبه الجزيرة الإيبيرية فن الرسومات الهندسية وبعض المصنوعات الفضية والعاجية والذهبية وهي من الطراز الفينيقي الإسباني نذكر منها تلك الأدوات التي إكتشفت في منطقة "أليسيا" بالغرب من "كاسيرس" عام 1920م تحتوي على المصنوعات الذهبية من بينها عقد، وحزام ، وتاج ، وأقراط ، وأساور ، وكذلك وجدت معها مبخرتين فضيتين ،

---

(1)- الحبيب بن يونس، ملاح عن المصوغ البوني، تونس أعلام ومعالم، المعهد الوطني للثرات، تونس، 1997، ص96

(2)- نفسه، صص97-100

(3)- غانم محمد صغير ، نظرة في العلاقات ... المرجع السابق ، ص55

(4) – Gsell (S) , H.A.A.N,T4 , P75

وابريق زجاجي ، ومسن[1]،إضافة إلى ذلك صنع خزفيو جنوب إسبانيا حاجيات أخرى لأغراض يومية نذكر منها صحونا عميقة، قصاعا، جرارا وأواني مغلقة مميزة العنق كان معظمها من مصنوعات الحرفيين الفينيقيين الإسبان [2]

-ج-الموانئ:

تعتبر الموانئ من الانجازات الحضارية التي تركها الفينيقيون كشاهد مادي أثري وهي من حصيلة الملاحة البحر الأبيض المتوسط، وهي أحد المرافق الحيوية بإعتبارها المنفذ الرئيسي التي تمر خلاله التجارة، كما تمثل أحد الظواهر الجغرافية التي تتجلى فيها بوضوح العلاقة بين الإنسان والبيئة ، فالإنسان دائما يبحث عن أفضل المواقع والمواضع الطبيعية لإقامة موانئه، فكلما إزدادت حركة السفن زاد حجم الموانئ وإقامتها وهذا ينطبق على السفن والبحرية الفينيقية، و حسب العالم الفرنسي (بيار سنتاس- p.cintas) أن وجود ميناء محمي وله شاطئ ومياهه ضحلة وسهلة لرسو السفن هو من شروط قيام المدن الفينيقية[3]، كذلك الشيء الذي ساعد الفينيقيين على بناء الموانئ الطبيعية بناء مدنهم على الرؤوس داخل البحر أو جزر قريبة من الساحل[4] إضافة إلى سهول الإتصال بالبحر وتحصين المنطقة ضد العدو والقدرة على حمل البضائع والسلع التي تأتي من الشرق.

وتم ملاحظة أن شكل الموانئ الموجودة على الساحل الفينيقي تقريبا تشبه الشكل الذي تم قيامه على سواحل غربي البحر الأبيض المتوسط، وعليه تنقسم الموانئ الفينيقية إلى قسمين:

1-الموانئ الطبيعية:

وهي تأتي على شكل خلجان طبيعية محمية برؤوس نشأت على قرب من الجزر ذات شواطئ رملية قليلة الانحدار والانحراف، ولا أثر لوجود أرصفة حولها مما جعل عملية رسو القوارب صعب بينما تسحب القوارب إلى اليابسة أثناء الليل أو عند الاستراحة من

---

[1]- يولي بركوفيتش تسولي، المرجع السابق، ص159

[2]– نفسه، ص177

[3] - Cintas (P), Op.Cit , (R.Afr), p264-265

[4]- غانم محمد صغير، التوسع الفينيقي...المرجع السابق، ص 63

تعب التجديف اليومي أو عندما يضطرب البحر[1]، ثم يساعدهم هذا الميناء على الانزلاق إلى سطح الماء عند الإبحار[2] في الوقت الذي يكون لصالح الملاحة البحرية، وبعد الإستقرار وتوسع المجال مهمة المحطات التجارية استدعي الأمر إلى انتشار موانئ اصطناعية مجهزة بالأرصفة وكاسرات الأمواج والأحواض[3] ومن أهم الموانئ الطبيعية نجد ميناء "بيروت" الموجود على الساحل الفينيقي، وميناء "تيبازة"الذي يتميز بسهولة شواطئه وملائمته لرسو السفن كما يتوفر على الرمل مع الميلان البسيط، الأمر الذي يسهل على الفينيقيين جر سفنهم إلى اليابسة[4] وكذلك ميناء (إيول-Iol) (شرشال) [*]الذي يقع بين الساحل والجزيرة المقابلة له.[5]

2-الموانئ الاصطناعية:

وهي عبارة عن موانئ متطورة أضيفت لها عدة وسائل وإمكانيات مادية نتيجة لتطور التجارة والحاجة الملحة للمادة الأولية، وخاصة يرتبط هذا النوع بتطور البحرية وبعد تحكم الفينيقيون في الطبيعة أنشأوا ما يسمى بالميناء الاصطناعي[6] وزودوه بالمخابئ للقوارب والسلع وأصبحت موانئ شبه مغلقة[7] ، وتم إنشاء فيها الأحواض (تبنى فيها السفن ويتم تفريغ السلع فيها)، والكاسرات (جهاز واقي ضد الرياح يتشكل من حجر البوزولات الإيطالي)، والأرصفة (تمثل حاجز لترسو فيها السفن).[8]

وقد صنف (نيكولا كرايون) الموانئ الفينيقية – البونية في غربي البحر الأبيض المتوسط إلى صنفين، الأول ميناء بسيط قد يحتوي على حوض واحد، والثاني ميناء مركب

---

(1) - Rouge (J) ; la marine antique, P.U.F paris, 1975, p179

(2)- غانم محمد صغير، معالم التواجد الفينيقي ....، ص 177 – 187

(3) - Fantar (M,H) , Carthage approche ……Op.Cit , p 124

(4) - Meirat (J) ; Op. Cit, p72

(*) شرشال: وكانت تعرف قديما باسم إيول (Iol) ويعتقد (قزال) أن الاسم هو لأحد الألهة الفينيقية (تانيت)، وذكرت في رحلة سكيلاكس وتحتوي على ميناء ين وهي احد المحطات الفينيقية – البونية في الساحل الجزائري. ينظر:
Gsell(S) H.A.A.N, T1, p160-161

(5)- غانم محمد صغير، معالم التواجد الفينيقي.... المرجع السابق، ص 184

(6)- نفسه، ص 86

(7) - Mierat (J) ; Op-Cit , p72

(8) - Ibid, pp72-73

يحتوي على حوضين فأكثر وهذا حسب الحجم والتشكيلة الأساسية للميناء [1] ومن الأهم الموانئ الاصطناعية ميناء "قرطاجة"، هذا الميناء الذي يصفة (سترابون) بأنه يحتوي على ميناءين، الأول مخصص للسفن التجارية، والثاني مخصص للسفن الحربية، وعرض مدخل الميناء يصل حوالي سبعون قدما [2]

وعادة ما كان يدعى هذا النوع من الموانئ بـ" الكتون"[*] لقوة تجارته وكبر حجمه، ولم يكن ميناء قرطاجة هو لوحده في أخذ الريادة التجارية بغرب البحر الأبيض المتوسط، بل كانت هناك عدة أنواع مماثلة له نذكر منها ميناء سوسة (قديما حضر موت) [**] وميناء "تل قرنوم" (قديما قرني) [3]، وقد وجدت أثار لنوع الكتون في المهدية (تونس)، وموتي (صقلية)، ورشقون (بالغرب الجزائري).[4] (ينظر اللوحة رقم 24 و 25)

وكانت الموانئ بمثابة حلقة واصلة بين البحر والبر، فمن المعروف أن الفينيقيين كانوا يتاجرون بسلع مختلفة يحملون على متن سفنهم أربع مواد رئيسية وهي الأخشاب والقمح والزيت والخمر إلى المناطق التي اكتشفوها، وأما بالنسبة لغربي البحر الأبيض المتوسط فيضيفون إليها الآنيات والأنسجة والحلي بمختلف أنواعها ويجلبون من الداخل

---

(1)-Carayon (N), Op-Cit, pp610-611

(2) -Strabon , XVII, 3,17

و ينظر: خليل المقداد، قرطاج العاصمة السورية في إفريقيا الفينيقية، مجلة الباحثون، العدد 54، 2011: WWW.albahethon.com

(*)- الكتون (Cothon): باليونانية (cotonem) وباللاتينية (Cothona) ، وقد ذكر هذا المصطلح لأول مرة عند مؤرخي اليونان واللاتين (سرفيوس، بوليبوس، بلاسيدوس، سترابون)، وهو عبارة عن ميناء اصطناعي بحري، وهو مشتق من فعل "قط" أي الميناء المنحوت داخل الصخور: ينظر: Carayon (N) ; Op-Cit, p638.

و ينظر: غانم محمد صغير، التوسع الفينيقي.... ، ص 131.

(**) - حضرموت (Hadrumète): إن أقدم النصوص التي تحدثت عن اسم المدينة، فنجد نص يعود للقرن 4 ق م في رحلة سكيلاكس (Périple de scylax) وورد الاسم في صيغتين "أدروماس " و"أروميتوس" هذا في اليونانية أما في اللاتينية ورد بصيغ عديدة نذكر منها ادروميتوم "Adrumetum"، وهدروميتوم "Hadrumatum" وهدريميتوم "Hadrimetum"، وهنا تبرز صيغة "حضرموت" عند المؤرخين المعاصرين شبيه باسم اليمني، وقد اقترح "موفيرس" أن الاسم متكون من كلمتين كنعانيتين وهما، أدر (وتعني المعبد) والملك تعني الملك وهنا الإله، ففي رأيه أن حضرموت هو تحريف لاتيني لأدر الملك أو معبد الإله أو بيت الإله، أما (بلغرين) (A. pellegrin) فأنسبها للفظة الحميرية "دروم" وتعني الجنوب، ومحمد حسين قنطر يفضل أن تدعى سوسة قديما بأدرم فكانوا البونيون يقولون (أدرم أو إدرم) : للمزيد ينظر: محمد حسين قنطر، مدينة سوسة قبل الغزو الروماني، مجلة الدراسات الفينيقية البونية والآثار اللوبية، العدد 01، المعهد القومي للآثار والفنون، تونس، 1985، ص 21-25.

(3)– Carayon (N) , Op-Cit, p637

(4) ¯Ibid, p637.

الجلود والعاج و المعادن [1]وهنا تتبين عمق العلاقة التي أوصلها الفينيقيون ووطدوها بين الشرق والغرب، ولم تبقى هذه العلاقة ساحلية فقط بل امتدت حتى الداخل خاصة بعد رحلتي هميلكون وحنون.([*])

وقد كانت الطرق البرية معروفة في الشمال وهي كلها متصلة بالسواحل، وبفضلها وصلت التأثيرات الفينيقية إلى مناطق أبعد مما هو متوقع، وكما لعبت مدينة "جرمة" الليبية دورا مهما كوسيط تجاري بين إقليم طرابلس وأواسط إفريقيا، وملتقى الطرق القوافل القادمة من الشمال والجنوب لتتبادل السلع مع الفينيقيين، ومن أهم الطرق نجد :

- صبراته- غدامس – أدري- أوباري- جرمة

- طرابلس- غريان – برقن- أوباري- جرمة

- لبدة- فرزة- براك- سبها- جرمة

- سرت- ودان – هون- سبها- جرمة

ومن ثم تتصل جرمة بالمناطق المتوغلة في إفريقيا وهي:

- جرمة- زويلة- الكفرة- العوينات- مورو في السودان

- جرمة – القطرون- قابا- تشاد

- جرمة- قصر مارا- شرابا – كوار- ضفاف نهر النيجر

[1] سامي ريحانا، المرجع السابق، ص 222-223.

[*]- رحلتي هميلكون وحنون: بالنسبة لرحلة هميلكون لم يبق عن آثارها إلا القليل، فقد ذكر بلينوس الأكبر (pline l'Ancien) هذه الرحلة بتجاه بلاد الكرنواي (cornouailles) بلاد القصديرفقال "لما كانت قرطاج في أوج قوتها قام جنون بجولته من قادس إلى جزيرة العرب ونشر رواية رحلته مثلما فعل هيملك الذي أوفد في نفس الوقت لاستكشاف المناطق الخارجية لأوروبا "، وكان الغرض من هذه الرحلة هو الوصول إلى سوق القصدير ميلاد الكرنواي فكان الذهب يعرض بجزر الأورسترمنيد (Oestrymnides) ويسترونه الفينيقيون، وفي القرن4م فستوس أفيانوس (Festus avienus) في منظومته البحرية (Oramaritima) رحلة هيملك لوصوله إلى الجزر بعد رحلة دامت 4 أشهر أما رحلة حنون (Hanon) فقد وردت بشكل مفصل عند ستيفان غزال (S. Gsell) وحددها عند الفرنين 4 و 5ق.م، وعلقت هذه الرحلة بمعبد كرنوس (Kronos)، ومجمل هذه الرحلة كانت قد انطلقت من أعمدة هرقل حاملة حوالي 3000 نسمة في 60 قاربا، وفي طريق هذه الرحلة تأسست عدة مدن نذكر منها ثيمياتريون (thymiatérion) وسولوييس (Soliéis)، وأكرا (Akra) ووصلت حتى أواسط افريقيا. للمزيد ينظر: محمد حسين فنطر، اكتشاف حنون (Hanon) لعالم جديد، تونس أعلام ومعالم، المعهد الوطني للتراث، تونس، 1997، ص46-49.

- جرمة – أمسكاه- كوار- ضفاف نهر النيجر [1]

وبهذا الاتجاه والعلاقة يتضح دور المرافئ والموانئ الفينيقية في توطيد أواصر الحضارة الإنسانية سواء على المستوى التجاري أو الاقتصادي أو اللغوي.

3-المجال الديني:

إن التأثيرات الفينيقية كانت قوية على مجتمعات غربي البحر الأبيض المتوسط على المستوى الديني والإعتقاد والطقوس،لاسيما إدخال معبودات دينية ،وقبل الحديث عن هذا التأثير يجدر بنا الإشارة إلى نوعية المعتقد الديني عند الشعوب الليبية القديمة والشعوب الإيبيرية قبل مجيء الفينيقيين، فقد وضح لنا (ستيفان غزال) أن الإنسان المغاربي القديم قد مارس أولى معتقداته في فترات ما قبل التاريخ[2] وإستعمل القبور لدفن موتاه ومارس طقوسا جنائزية لم تكن معروفة في بدايتها خاصة مدافن الايبيرو- مغاربة في كل من "أفالوبوريمال" بالجزائر و"تافورالت" بالمغرب الأقصى وهذا في فترة العصر الباليوليتي اللاحق (épipaléolithique)،أما في العصر الحجري الحديث (Néolithique) بدت مظاهر المعتقد تظهر بصفة واضحة خاصة في بقايا مقابر" كولومناطة"(columnata) بقرب من تيارت وكذا رمادية (رشقون).[3]

ومع مرور الزمن بدأ المغاربة القدماء يعتنون يدفن موتاهم خاصة في أرضية الكهوف والمغارات بإستعمال ميزة جديدة في الدفن وهي تعرية الجثة من اللحم وترميد الميت (l’incinération) واستعمال المغرة الحمراء (l’ocre-rouge) التي يقصد طلي جسم الانسان ويلون بها[4]،خاصة على جمجمته وهذا ما عثر عليه في "الداموس الأحمر" بالقرب من تبسة و"كهف العقاب" بتونس[5]، و هذا دليل على إهتمام بالشعائر الجنائزية

---

[1] - حسين مسعود أبو مدينة، الموانئ الليبية "دراسة في الجغرافيا الاقتصادية"، ط2، منشورات جامعة 7 أكتوبر، ليبيا، 2008، ص 90-91

[2]-Gsell (S),H.A.A.N, T01, P256.

[3]- غانم محمد صغير وآخرون،المعالم الحضارية في الشرق الجزائري "فترة فجر التاريخ"دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع،عين مليلة-الجزائر،2006،ص09

[4]- Fantar(M.H) , Kerkouane , Encyclopédie berbère , V27, 2005 , pp4166-4175

[5]- غانم محمد صغير وآخرون،المرجع السابق،ص10.

وإحتضان الميت و توفير له الحاجيات لضمان الرحلة نحو العالم الاخر[1]، بإضافة الى دفن الإنسان المغاربي القديم موتاه فيما يسمى بـ "الحوانيت"(les Haouanet) وهي عبارة عن مقابر صخرية شكلها شكل الدكان مفتوحة في الخارج تحتوي على رسومات بسيطة مثل حانوت (قلعة السنان- Kalaat Essanan) و(جبل زيت- Djebel-zit)،و(بوحجار-bou-hadjar) بالطارف وحوانيت شمال شرق تبسة[2].(الخريطة رقم 13)

وبعد أن دفن الإنسان موتاه في أرضية بدأت تظهر أصناف جديدة من المدافن والمقابر تدعى بالمقابر الميجاليتية[*]أهمها الدفن بتيملوس (Tumulus)وهي تتكون من بناء مخروطي الشكل يغطي حفرة الدفن التي تتكون من ركام كبيرمن التربة والحجارة وهي ذات قاعدة دائرية يتراوح قطرها من 5 إلى 150 متر، وهو كذلك تكديس بسيط للحجارة وذات أشكال مختلفة وهي ثلاث أنواع ،التيملوس الخالي من الغرفة الجنائزية، وآخر يحتوي على غرفة الدفن ، والثالث يضم تابوت حجري ، نذكر منها تيملوس تونس (قابس،جبل تباقة ، قفصة) ، وتيملوس بالمغرب الاقصى (وجدة ، أرفود ، كودية الماء ، فم أرجم)[3]، و تيملوس (سفيان- Sefiane) بالقرب من (نقاوس- Négaous) ، وعين الصفراء و عين كرمال شمال بوسعادة ، و بوغار و تلاغ[4] (ينظر اللوحة رقم 26)

كما يوجد نوع آخر من الدفن في المقابر وهي البازيناس(Bazinas) من نماذج المدافن الحجرية تعلوها بنايات مستديرة الشكل منها المقببة والأسطوانية والمتعددة القبور والمدرجة والمتطورة نذكر منها البازيناس قفصة (تونس)، وجبل مستيري (الجزائر)، وسوق القور (المغرب)[5].(ينظر اللوحة رقم 27)

---

[1]- بن عبد المؤمن محمد، عقائد ما بعد الموت عند سكان بلاد المغرب القديم، أطروحة الدكتوراه في التاريخ القديم، قسم التاريخ وعلم الاثار، جامعة وهران، السنة الجامعية 2011-2012، صص79-80

[2] -Camps (G) ; Aux origines de la berbérie : Massinissa ou les débuts de l'histoire, imprimerie officielle, Libyca , TVIII , Alger,1960, pp98-111

[*]- المقابر الميجاليتية (nécropoles –mégalithiques) : ميجاليت (Mégalithe) مصطلح إغريقي يتكون من شقين: ليتوس(Lithos) وتعني الحجم،ومغاس(mégas) : وتعني الحجر بالمعنى (الحجم الكبير)،للمزيد ينظر:غانم محمد صغير وآخرون،المرجع نفسه ص26

[3]- غانم محمد صغير وآخرون، المرجع السابق، صص28-34

[4]- بن عبد المومن، المرجع السابق، ص83

[5]- نفسه ،ص 35 ص36

وقد قدم الإنسان المغاربي القديم قرابين لألهته خاصة القرابين الحيوانية كالثور والكبش وهذا ما عثر عليه من عظام وأسنان الحيوانات في عديد من المعالم الجنائزية[1] ،كما كان يقدس المظاهر الطبيعية والدليل ما وجد في الرسوم الصخرية مثل مشهد يبين تقديس الشمس في (تيسوكاي) بتاسيلي ناجر بالجزائر [2]وما عثر عليه في رسوم ونقوش لأبقار وثيران في الصحراء الليبية تحمل بين قرونها دائرة يعلوها رمز قرص الشمس[3] وهذا ما يشير إليه (هيرودوت - Hérodote) عندما يقول "تقدم القرابين للشمس والقمر من قبل جميع الليبيين ما عدا المقيمين منهم في جوار بحيرة تريتانوس"[4]، وعليه يتبين لنا أن المعتقد الديني لدى سكان غربي البحر الأبيض المتوسط وخاصة منطقة المغرب القديم قبل مجيء الفينيقيين كان يعرف بالطوطمية [*]« totémisme ».

وقد جلب الفينيقيون معبوداتهم إلى المغرب القديم، وأقاموا لها معابد و أدخلوا عدة مظاهر جديدة في المعتقد الديني، والطقوس، والعادات، والتقاليد، كما اعتقدوا بوجود حياة ثانية بعد الموت فأظافوا إلى جثة الميت أدوات خاصة تميزت بالبساطة كالأدوات المنزلية من أواني فخارية والمصابيح الزيتية وحتى الإبر و الدبابيس[5] ومن أهم المعبودات الفينيقية التي عبدت في غربي البحر الأبيض المتوسط نجد مايلي :

- **بعل:** (ينظر اللوحة رقم 28)

ويقصد به الرب، المالك، السيد، الزوج، وهو معبود الطقس الشبيه في صفاته بمعبود (مردوخ)[6] وكذلك معبود الحبوب والموفر القوت وهو ابن المعبود داجون، حيث لقب بعدة ألقاب في النصوص الأوغاريتية نذكر منها "ألين" (العظمة والقوة)، "ذيل" (الأمير)

---

[1] – Camps(G) ,Op.Cit , pp508-509

[2]- بازمة مصطفى، تاريخ ليبيا في عصور ما قبل التاريخ، ج1، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1973، ص235

[3]- وجد بالجزائر " كبش بوعلام " ضمن الرسوم الصخرية وفوق رأسه قرص الشمس، للمزيد ينظر:
Gsell(S), Les Monument….T1, Op.Cit, p46

[4] – Hérodote, IV, 188

[*]- الطوطمية: معتقد ديني عند الاقوام البدائية، تمثل أساسا في الحيوانات والنباتات والجمادات أي عبادة الظواهر الطبيعية. للمزيد ينظر: سيغموند فرويد، الطوطم والحرام، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1997، صص10-11

[5]- غانم محمد صغير، معالم التواجد الفينيقي .... المرجع السابق، ص142

[6]- خزعل الماجدي، المعتقدات الكنعانية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الاردن، 2001، ص127
مردوخ : من أعظم و أقوى الالهة البابلية ، و حسب الأساطير هو ابن الإله (أيا) و (دامكينا) و يمثل السحر و الطب والحكمة ، و قد اتخذ أشكال أغلبها شكل الحيوان . للمزيد ينظر: خزعل الماجدي، بخور الآلهة " دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين " ، ط1، منشورات الأهلية ، لبنان ، 1998، ص316

"جمر"،"هدد" (الطقس)[1]وقد أصبح (بعل) معبود الكنعانيين والفنيقيين ويلعب دور بارز في الحضارة السامية الشرقية أو العربية، أما علاقته بغربي البحر الأبيض المتوسط كانت قوية ومتجذرة في المعتقد الشعوب القديمة للمنطقة ،ولم يبقى الإسم محافظا على نوعيته بل تغير نتيجة الإمتزاج الديني، فأصبح يدعى بمعبود "بعل حمون" « Baal-Hammon » وكلمة "حمون " إختلف حولها المؤرخون في تفسيرها ،فنجد " غزال" يفسرها نسبة إلى جبال "أمانوس" فيدعى بإله "أمانوس"[2]، لكن يوجد إفتراض آخر قد أشار إليه "محمد حسين فنطر" بأن لفظة "حمون" تفسر على أنها "نار الجمر" أو " المبخرة" بمعنى إله النار، ويضيف كذلك "محمد حسين فنطر" على أن "حمون" مشتقة من لفظة "حمانيم" « Hammanim »وتعني"عطر البخور" وهو نفس الإسم الذي ثبت على نوع "حمان" « Hamman »[3] .

وقد عرفت عبادة (بعل حمون) إنتشارا واسعا في غربي البحر الأبيض المتوسط، فقد ظهر إسمه في قرطاجة منذ القرن 7 ق.م، وفي مالطا خلال القرنين 7و6 ق.م، وفي (موتي) بصقلية في النصف الثاني من القرن 6 ق.م[4]، والدليل على ذلك وجدت عدة نقائش في قرطاجة وبصفة العامة في العالم البوني تحمل دلالة هذا الإسم في صيغة "$B^{C}L$" (بعل) و"HMN" (حمون) في نفس النقيشة ، ومن أهم المواقع التي عثر فيها هذه الصيغ نجد (حضرموت-Hadruméte)و(تيبورزوق-Téboursouk)و(مكتار- Maktar) و(ميديدي-Mididi) و (بولاريجيا - Bulla regia) ، أما في الجزائر وجدت توفاة معبد الحفرة (سرتا-Cirta) بقسنطينة ، وبليبيا وجدت توفاة (صبراته-Sabrata) [5] (ينظر اللوحة رقم 29)

[1]– خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص127 وينظر: أنيس فريحة، ملاحم و أساطير من رأس الشمرا ، دار النهار للنشر ، بيروت ، 1980، ص43

[2] - Gsell (S), H.A.A.N ,T 3 , p279-282

[3] - Fantar(M.H), Baal Hammon , Reppal V, institut national d’archéologie et d’art, Tunisie, 1990, p71-72

[4]– الفرجاوي أحمد، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون والحكمة، المعهد الوطني للتراث، تونس، 1993، صص166-167

[5] - Fantar(M.H),Op.Cit.PP73-76.

كما ظهرت عدة معبودات كلها عبدت في غربي البحر الأبيض المتوسط وتحمل اسم (بعل) نذكر منها: "بعل شميم" (سيد السماوات)، و"بعل صفون" (سيد الشمال)، و"بعل أدير" (وجد بمعبد الحفرة قسنطينة)[1].

- تانيت: (Tanit)

وهي من أحد المعبودات الفينيقية الرئيسية التي لعبت دوربارزفي الديانة الكنعانية ،وقد أشار "خزعل الماجدي" أن اسم "تانيت" أصله من معبودة "عناة" معبودة الحب والجمال السومرية وملكة السماء، وتحور هذا الإسم وأصبح يدعى بـ "تانيت" عند سكان بلاد المغرب القديم لأن البربر (أي الليبيون القدماء) يؤنثون الإسم بتاء متقدمة ، ولذلك يتحول الإسم من (إناتا) إلى"تاناتا" أو "تانيت"، وقد جلبها الفينيقيون إلى غربي البحر الأبيض المتوسط في الألف الثاني ق.م، وكانت القرين الدائم لمعبود "بعل حمون"، فهي تمثل آلهة الأمومة ، والخصوبة عند المغاربة القدماء خاصة عندما يظهر مجسمها في سيدة تحمل طفلا بين ذراعيها وعلى حضنها[2]، و يشير الباحث "روزنفال" سنة 1910 لأسماء مواقع لبنانية تحمل إسم"تانيت"منها"عين تانيت"،"عنق تانيت"،"كفرتانيت"، ورد إسمها في نقيشة رسمت على قنديل من البرونز بمتحف بيروت سنة 1940 م، أما في العالم البوني كانت عبادتها أكثر من الشرق الفينيقي خاصة في قرطاجة (ينظر اللوحة رقم 30)، وصقلية وسر دينيا، ومن خلال مجسد معبد الحفرة بقسنطينة يتبين أن "تانيت" كانت زوجة معبود "بعل"[3]، وحسب التنقيبات والدراسات الحديثة التي أجراها (شارل بيكار) و(بارترandi) أنه لوحظ وجود نفس إشارات والعلامات معبودة "تانيت" في كل من موقعي معبد الحفرة وحضر موت كما لوحظ وجود صورة حيوان الكبش و عنقود من العنب كلاهما يصطحبان معبود"بعل حمون" برفقة مجموعة من الطيور والأسماك[4]،وربما كانت هذه الإشارات دالة على خصوبة المنطقة ولا شك في ذلك كان الإنسان المغاربي القديم يكن

---

[1]- الفرجاوي أحمد، المرجع السابق ، صص165 -170

[2]- خزعل الماجدي،المرجع السابق،صص 181 - 183

[3]- الفرجاوي احمد، المرجع نفسه ، صص193- 195

[4] - Liman (A), le génie de la fertilité dérivé du signe dit de Tanit : Filiation iconographique et symbolisme, Reppal XIII, institut national du patrimoine, Tunisie, 2004, pp150-151

لمعبودة "تانيت" كل الاحترام والتقدير والتقديس فهي تبارك له في العيش والسعادة اليومية وفق معتقداته وميوله الشخصية.(ينظر اللوحة رقم 31 و 32)

- عشترت (Astarte) :

وهي من أهم المعبودات الفينيقية الكنعانية كانت لها شهرة واسعة في وسط الشعوب البحر الأبيض المتوسط ،وحسب الأساطير القديمة فإن "عشترت" أو "عشتار" زوجة المعبود الأب "إيل" ووردت في التوراة بصيغة الجمع "عشتروت" وهي آلهة الحب والإخصاب والربيع وسيدة الحب الإباحي، وعرفت بعديد من الالقاب مثل" سيدة السماء" و"سيدة المعبودات"و"الأم" و "آيلة" و"إيلاتو" [1] وكما ارتبطت بين الحرب والصيد[2] وقد كانت معبودة "عشترت" واسعة الإنتشار خاصة في صور وصيدا وجبيل[3] وهذا ما أشارت اليه النقوش والأثار المادية،هذا بالنسبة للساحل الفينيقي ،أما بالنسبة لعالم البحر الأبيض المتوسط ، فقد عمل البحارة الفينيقيون على نشر عبادة "عشترت" بمختلف الجهات الغربية للبحر الأبيض المتوسط خاصة في صقلية وقرطاجة [4] وكذلك شبه جزيرة إيبيريا، فهذه الأخيرة كانت حاضرة بشكل قوي وواسع ودليل على ذلك ما عثر عليه من نقوش أحدهما مهدى لعشتروت :"هذا التمثال مهدى لعشتروت من الاخوين (بعلياتون)و(عبوبعل)،أبناء "داميلك" كاهني وسيط الوحي "، وكذلك قد أورد (أفيانوس- Avien)على وجود عبادة "عشترت" في ضواحي (قادس- Cadix)،مسميا إياها "عشتروت" فينوس البحرية[*]كما وجدت شواهد لعبادة هذه المعبودات في مدينة "سيكسي" [5].

---

[1]- خزعل الماجدي،المرجع السابق،ص115 ص118، وينظر: جورج كونتنو،المرجع السابق، صص123 - 124

[2] - الشاذلي .ب. وطاهر. م ، المرجع السابق ،ص296

[3]- C.I.S , I ,T33

[4] - معن عرب ،المرجع السابق،ص154

[*]- كان للبحر حسب إعتقاد الفينيقيين والبونيين وحتى الإغريق إلاها يسيطر عليه،وكانت هناك آلهة بحرية مثل فرس البحر،والأخطبوط العملاق،والقرع بن نمري (l'homo marinus) (حيوان أسطوري نصفه آدمي والنصف الآخر سمكة)، وكان البحر مقدسا عند المغاربة القدماء.للمزيد ينظر:غطيس مصطفى،المغاربة والبحر خلال العصور القديمة ص3 ينظر: www.amrh.ma

[5] - يولي بركوفيتش تسولي، المرجع السابق،صص 118- 124

أما في بلاد المغرب القديم فقد زينت معبودة "عشترت" على تابوت خشبي بمدينة كركوان التونسية[1] وكذلك في مناطق عديدة في الجزائر خاصة بالغرب ، وليبيا وحتى بلاد المغرب الأقصى حاليا.(ينظر اللوحة رقم 33)

- ملقرت(Melqarth)[*] :

ونجدها كذلك بصيغة "ملكرت" وهو في الأصل معبودا شمسيا عند الفينيقيين، وشبيه بمعبود "هرقليس" (هرقل)، فعادة يقترن المعبودان في مرتبة دينية واحدة[2] ، ويمثل معبود "ملقرط"رمز من رموز الذكورة المتمثلة في السماء والشمس والنهار[3] كما ارتبط بالمعبودات الخيرة التي توفر الحماية والرعاية للمتعبدين[4] وقد إنتشرت عبادته بين المدن الفينيقية خاصة مدينة صور، و بالنسبة للجهة الغربية للبحر الأبيض المتوسط فنجد آثار عبادة "معبود ملقرط" قد إنتشرت بشكل واسع ،ففي مدينة (قادس- Cadex)[**] بني للمعبود معبد خاص منذ القرن الثاني عشر ق.م[5] وأصبح معبودا أساسيا في مدينة قرطاجة ، قدمت له أضاحي بشرية من الأطفال الصغار تحت إسم " مولوخ" أو "مولك" كما بقيت قرطاجة تقدم مكوسا هامة لمعبده الأساسي في مدينة صور. [6]

---

[1]- بن عبد المؤمن محمد ، المرجع السابق ، ص 150

[*]- ملقرت : وجد هذا الاسم في الكتابات الفينيقية القديمة على شكل (MLQRT)،وفي اللغة الأكادية في صيغة (Mi-iL-qar-ti) و (Mil-qar-te) واتخذ صيغته النهائية بـ (Milk-qart) ، وكما وجد في صيغ اخرى (milk) أو (milkasapa)و (ahmilki) وهكذا اختلفت الكتابات القديمة لهذا الإله، لكن ما يجمع في ذلك أنه يمثل (ملك المدينة) كما نقول "هرقل الصوري" للمزيد ينظر :

Lipinski ; Dieux et déesses de l'univers phéniciens et punique, Peeters, Leuven, paris, 1995, p227

وينظر :

Halévy (j) ,Op .Cit ,p34

[2] -Rochette (P), mémoires d'archéologie comparée (Asiatique, Grecque, Etrusque), Imprimerie nationale, paris, 1848,p15.

[3]- خير الله شوقي، المرجع السابق ، ص140

[4]- بورينة الشاذلي، المرجع السابق،ص294

[**]- لم يعبد إله ملقرط في قادش فقط بل وجدت صور هرقليس ملقارط على نقود مدينة سيكسي وإبديرا. للمزيد ينظر: يولي بركوفيتش تسولي،المرجع السابق ،ص118

[5]- نفسه،ص146

[6]- عصفور أبو محاسن، المرجع السابق، ص145

- معبودات فينيقية أخرى:

إنتقلت معبودات فينيقية أخرى إلى غربي البحر الأبيض المتوسط خاصة بلاد المغرب القديم نذكر منها المعبود (رشف - rasheph) الفينيقي معبود البرق والضوء، و"بعل شامين" معبود السموات و"أدون" معبود الزراعة والطبيعة [1] ، و"عناة" (عينات) معبودة الحب والجمال وهي رفيقة "بعل" وزوجته وأخته [2] ، و" أشمون" معبود الطب والصحة الذي شيد له معبد في بيرصة[3] (Byrsa)(بتونس).

أما بالنسبة لمعتقدات ما بعد الموت هي كذلك أخذت حيزا واسعا عند شعوب غربي البحر الأبيض المتوسط ، فقد تأثر سكان بلاد المغرب القديم أثناء الفترة الفينيقية البونية بعقيدة ما بعد الموت كباقي شعوب الحضارات القديمة،وكشفت المعطيات الأثرية والأدبية على وجود مدينة الأموات تدعى " بالروفييم" مدينة العالم الآخر ، فمثلا وجدت هذه المدينة مرسومة على جدران غرفة جنائزية بجبل "مليزة" بتونس ، ومنقوشه باللغة البونية – اللاتينية على ضريح "بلعمروني"بتونس،وكان إعتقاد الفينيقيين والبونيين مبني على أن الجسد تسكنه روحان الأولى نباتية تدعى بالنفيش (nefesh) والثانية روحانية تدعى بالرواح [4](Rouah)، وهكذا يتم تجهيز الميت في غرفة جنائزية وتصطحب معه أغراض مادية لإعتقاد أن الروح الإنسان تمر الى عالم آخر وهو كذل ما يعتقده الفينيقيون في شبه الجزيرة الإيبيرية خاصة وأن المعبودات الدينية التي عبدت ببلاد المغرب القديم هي نفسها التي عبدت بشبه الجزيرة الايبيرية.

4-اللغة والكتابة:

لم يترك الفينيقيون مجالا وقد أثروا فيه، إذ عرف المجال اللغوي تأثيرا واضحا في أوساط سكان بلاد المغرب القديم وشبه الجزيرة الإيبيرية من حيث اللغة والكتابة، وهناك تساؤلات عديدة حول هذا الموضوع وطرحت إشكالية مضمونها أنه كيف كان واقع اللغة والكتابة قبل مجيء الفينقيين؟ وما هي دلالتها ورموزها؟ وتأثيرات الفينيقية فيها ؟.

ولمعرفة محتوى هذا الموضوع أرتايت أن أقسمه الى مرحلتين:

---

[1]- عصفور أبو محاسن ، المرجع نفسه ، ص146

[2] - فراس السواح، لغز عشتار ، الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة ،ط ، دار علاء الدين ،دمشق ،1985، ص312

[3]- فرانسوا دوكريه ، المرجع السابق ، ص 114

[4] - بن عبد المؤمن محمد،المرجع السابق ص 105 ص107

أ-اللغة:

لقد كان لسكان بلاد المغرب القديم لغة خاصة بهم قبل وجود الفينيقيين في المنطقة وتدعى باللغة الليبية القديمة أو اللغة اللوبية وقد أطلق الباحثون على هذه اللغة بتلك الأصوات التي تداولها المجتمع المغاربي القديم منذ الألف الأولى ق.م، أي منذ وجود هذا المجتمع في صورته القبلية البسيطة التي جسدتها الوثائق المصرية في قبائل "التحنو"و"التمحو" ثم "المشوش"و"الليبو" ، وقد إتضحت معالم تلك اللغة في مرحلة حكم أسرة "شيشنق"، وكما تكلمت بها تلك القبائل المنتشرة على طول الساحل والتي جمعتها علاقات تجارية مع الفينيقيين.[1]

وعن خصوصية هذه اللغة فمعالمها غير واضحة وغامضة لكن من سياق الحديث لبعض مؤرخي القدماء أمثالهم "هيرودوت" الذي لم يشر الى أية إشارة للغة الليبية القديمة لكن أعطى لنا صورة تعبر عن الإتصال الرمزي بين الفينيقيين وسكان بلاد المغرب القديم من خلال ذلك النص حول المساومة في عملية الشراء والبيع عن طريق المقايضة [2]،وهنا لم يقصد بأن اللوبيون لم تكن لهم أية لغة متداولة بل ربما لصعوبة التواصل معها ، أما عن المؤرخ " قزال" أشار إلى لغة متداولة بين سكان اللوبيون من خلال حديثه عن رئيس قبيلة لوبية يدعى ب :"هيرباص" عندما باع للملكة الفينيقية "أليسا" قطعة أرض حوالي القرن 9 ق.م [3]، فالظاهر أن عملية البيع والشراء قد تمت بين طرفين وتبادلا الحديث والإتصال فيما بينهم ، وهذا ما يدل على وجود رمز لغوي كان شفهيا أو كتابيا؟

وبما أن اللغة الليبية القديمة كانت مجهولة المعالم، فإنها طرحت عدة إشكاليات كانت محل تناقض المؤرخين، فلهذا نجد "محمد حسين فنظر" كان قد طرح إشكالية على الصيغة التالية: هل كانت للقبائل اللوبية والشعوب المغاربية وحدة لغوية؟ فيجيب أن اللهجة الأمازيغية[*] التي تم رصدها في الربوع المغاربية (أي بلاد المغرب القديم) تفوق المائة

[1] - مها عيساوي ، المرجع السابق ،ص325

[2]- Hérodote ,VI , CXCVI .

[3]- Gsell (S) H.A.A.N,T1, p393

[*] - لفظة أمازيغ أطلقت على سكان شمال إفريقيا ويشير ابن خلدون أن البربر من نسل مازيغ فيقول إنهم من ولد حام بن نوح بن بربر بن تملا بن مازيغ ، وكلمة "أمازيغ" تنطق في صيغة المؤنث ب "تامزيغت" ، وفي صيغة الجمع "أمازيغن" وتعني "الاحرار" ، و هناك تشابه بين لفظة "أمازيغ" و التسميات التي اطلقها الإغريق و الرومان و المصريين القدامى مثل المشواش ، و الماكسياس "Maxyes" و مازيكاس "Maziques" و "مازيساس "Mazices" . للمزيد ينظر

كلها فروع لجذع واحد تمثله اللغة اللوبية (الليبية القديمة)، فمنها لغة القبائل، وأخرى لغة "النومديين" و"الموريين"، ولهجة رعايا "صفاقس وماسينيسا ويوغرطة"، فقد كانوا يحسنون كتاباتها بشهادة النقائش التي عثر عليها في مختلف الأقطار المغاربية القديمة ونشرت في مدونة من طرف القس "ج.ب. شابو" في باريس سنة 1940 م، ويضيف "محمد حسين فنطر" أن رغم الإختلافات في بعض العلاقات في اللغة الليبية القديمة وتفاوت معاجمها، فهي تكون وحدة لغوية منها لوبية شرقية وأخرى لوبية غربية[1]، وعن تواجد اللغة الفينيقية[*] في بلاد المغرب القديم وبشكل عام غربي البحر الأبيض المتوسط ففي البداية كانت اللغة محدودة الإنتشار وهي متداولة في الشريط الساحلي اللبناني وجنوب سوريا ،ثم إنتشرت بواسطة التجار والمعمرين الفينيقيين إبتداءا من القرن 9 ق.م في آسيا الوسطى وفلسطين قديما، وإمتدت غربا إلى مصر، وقبرص[**] ، وجزر بحر إيجه ، اليونان ، ومالطا ، وصقلية ، وسردينيا، وجنوب إسبانيا ، و شمال إفريقيا ، وهذه الأخيرة أدخلت عليها بعض التغييرات إبتداءا من القرن الرابع ق.م ،فأصبحت لغة محلية تسمى باللغة البونيقية (البونية)،واستمرت هذه اللغة في شمال إفريقيا وفي الغرب الفينيقي حتى بعد سقوط قرطاج عام 146 ق.م[2] ،وقد تأثرت اللغة الفينيقية باللغة الليبية القديمة ، فتميزت بخصائص عديدة كعدم وجود فواصل بين الكلمات مما يصعب قراءتها خاصة وعدم وجود نصوص أدبية كافية لدراسة هذه اللغة[3].

: فرحاتي فتيحة ، نوميديا " من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني " ، الحياة السياسية و الحضارية(213ق.م – 46 ق.م) ، مطبعة متيجة ، منشورات أبيك ، 2007،ص34=

[1] ـ محمد حسين فنطر، اللوبيون وحدة أم شتات قبائل وشعوب مختلفة، مجلة الدراسات الفينيقية البونية و الآثار اللوبية، العدد 12،المعهد الوطني للتراث،تونس،2002،صص57-58

[*]ـ اللغة الفينيقية هي لغة سامية تصنف ضمن اللغات السامية القديمة، وهي لغة الكنعانيين أجداد الفينيقيين، واللهجات السامية ثلاث أنواع: السامية الشمالية الغربية(الفينيقية – العبرية – الآرامية – و العمونية– المؤابية – و الايدومية) ، السامية الشرقية (الأكادية – الأشورية – البابلية) ، السامية الجنوبية العربية . للمزيد ينطر :

Harden(D), The pheonicians , Thames and Hudson , London, 1963, p115-116

[**]ـ لوحظ وجود أثار فينيقية في قبرص تحمل "إله رشف" Rashaf. للمزيد ينظر :

Lacau(P), l’inscriptions phénicienne de chypre, BIFAO , 02 , Le Caire , 1902, PP207-211

[2]ـ عبد الحفيظ فضيل الميار،المرجع السابق،صص45-46

[3]ـ نفسه ، ص46

ب)الكتابة:

تعتبر الكتابة شاهد أثري على حضارة الإنسان في الفترة القديمة، لاسيما ذلك الجهد الفكري الحضاري والدخول في مرحلة جديدة تتميز بتنويرالعقول وبناء حضارة الكتابة فبلاد المغرب القديم هي الأخرى عرفت نوعا من الكتابة إختلف المؤرخون حول أصولها وربما يرجع السبب إلى تنوع المصادر المادية (الأثرية) وإختلاف في تأريخيتها ، فمنهم من يرجع الكتابة إلى أصول فينيقية ، وآخرون يرجعونها إلى أصول محلية ، وهذا ما سوف نوضحه فيما يلي:

1- الكتابة الليبية القديمة ذات أصول فينيقية:

من أنصار هذا الإتجاه "أندري باسيه" (André basset)[1] و"هنري باسيه" (Henri-Basset)[2] اللذان أرجعا أصل الكتابة الليبية القديمة (وتدعى كذلك بالليبية-البربرية) إلى الأبجدية الفينيقية[*] (ينظر اللوحة رقم 34 و 35) على أساس أبجدية " تيفيناغ" وفي هذا المجال يشير "أ.هانوتو(A .Hanoteau) إلى كلمة "تيفيناغ" التي يطلقها التوارق على كتابتهم ، فهي تنطق في بعض الأحيان بالقاف بدلا من العين لتصبح "تيفينق" وجذر هذه الأخيرة "فنغ" أو "فنق" نفس أصول كلمة فينيقية ، وعلى هذا الأساس ينسب أصل الكتابة الليبية القديمة إلى الفينيقيين وأن الليبيون القدماء قد إستعاروا أبجديتهم من شرق البحر الأبيض المتوسط ، كذلك يذهب بعض المؤرخين أمثالهم (براس - Presse) إلى تدعيم هذا الإتجاه من خلال تقارب الحروف بين الكتابين من حيث الشكل والمنطق

---

[1] - Basset (A) ;la langue bérbere , oxford université presse , Londres ,1952,pp52-53.

[2] -Basset (H) ; Essai sur la littérature des berbères, imprimeur-libraire éditeur, Alger, 1920, pp09-21

[*]- كان الفينيقيون هم الذين إخترعوا الأبجدية المكونة من إثنان و عشرون حرفا و كتبت من اليمين إلى اليسار ، و الدليل على ذلك ما وجد في ألواح أوغاريت خلال الألفية الثانية ق.م ، و نصوص رأس الشمرا (حوالي 2000نص) ، لكن هناك نظريات إختلفت على أصول الأبجدية (حروف الهجاء) ، فنجد النظرية المصرية تقول أن الفينيقيين تعلموا الكتابة من مصر والحروف الهجائية مشتقة من الخط الهيراطيقي المصري أو الهيروغليفي من أنصارها (إيمانويل دي روجيه)، أما النظرية البابلية فترجع الخط الفينيقي إلى الخط المسماري كأقدم وسيلة للكتابة من أنصارها (بايزر و زيمرن) ، و هناك النظرية الكريتية أو الإيجية كذلك تنسب الخط الفينيقي إلى الخط الكريتي من أنصارها (إيفانس) ، أما النظرية الموفقية فهي التي وفقت بين الأولى و الثانية و تقول أن مخترعي الأبجدية الفينيقية هم المصريون القدامى ، و معظم الحروف أخذت من البابليين و عددها خمسة عشر حرفا من أنصارها (فريديرك ديليتش) .للمزيد : حتي فيليب ، تاريخ سورية ...المرجع السابق، ص120 . و ينظر :

Mebarek (S.T), L’alphabet latin serait – il d’origine berbère, Edition l’harmattan, Paris, 2004, P30

وينظر : الجبوري محمود شكر محمود ، من هم الأوائل في معرفة حروف الهجاء ، الحوار المتمدن،العدد 52، أكتوبر، 2011

وعددها سبعة حروف[1] ، أما المؤرخ "فيفريي" (février) فيعتمد على النطاق الجغرافي للوجود الفينيقي في شمال إفريقيا وأن معظم النقوش الليبية القديمة المكتشفة لا يمكنها أن تكون أقدم من تاريخ مجيء الفينيقيين إلى شمال إفريقيا[2]

2- الكتابة الليبية القديمة ذات أصول محلية :

ومن أنصار هذا الإتجاه نجد " غزال" الذي يرجع الكتابة الليبية القديمة إلى ما قبل الوجود الفينيقي ويرتكز على نظرية الرسوم الصخرية وما وجد فيها من آثار لهذه الكتابة في كل من "كاف المكتوبة" (الجنوب الوهراني) و"خنقة الحجار" بقالمة، وكذلك بضواحي بسكرة[3] ويدعمه في ذلك (قابريال كامبس - G.Camps) عند ما أشار إلى الآثار اللوبيون القدماء في الفن الصخرى والفخار من خلال تلك الرسومات والإشارات[4]، و دعمت "مليكة حاشيد" هذا الموقف وأعطت لنا أدلة كتابية منقوشة على الصخور في منطقة "القصور" و"جدار الحمرة" بأولاد نايل بشرق الجزائر ومنطقة "تاسيلي ناجر" تدل على حروف التيفيناغ، وقد قسمت الكتابة الليبية القديمة إلى التيفيناغ القديمة ، والحديثة التي تعود جذورها إلى قبل التاريخ[5] (ينظر اللوحة رقم 36 و 37)، ويفسر "سالم شاكر" كلمة "تيفيناغ" على أنها ليست من أصل فينيقي بل هو رمز للإنسان "التارقي" فيقولون بلغتهم "kel- tefinagh" أي ينسب إلى وطنه الذي عاش فيه فهو الذي إخترع الكتابة ، وبالتالي أصولها محلية وإشتقت منها اللغة الحديثة (الأمازيغية) أو ما يعرف التيفيناغ الحديثة[6]

[1]- عباسي عبد الجبار، الكتابة الليبية البربرية في إطار الفن الجداري الصحراوي، دراسة أثرية لمجموعة من الكتابات الصخرية في محيطها الطبيعي والأثري بالتاسيلي ناجر،رسالة ماجستير في علم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية جامعة الجزائر،2005/2004،صص68-69

[2] - Février(J.G), Histoire de l’écriture « écriture libyque et Ibérique », Payot, Paris, 1959,PP321-327

[3] - Gsell(S), H.A.A.N, T5, p101.

[4] - Camps (G) ; Aux signes de la berbérie, monuments et rites……… op cit, p272

[5] - Hachid (M) ; Strabon, El-idrissi, la Guerba et un libyque plus tardif que le V^e/VI^e siècles ? Actes du premier colloque de préhistoire maghrébine, centre national de recherches préhistoriques anthropologiques et historiques, ministre de la culture, Tamanrasset les 5,6 et 7 novembre 2007 pp 209-220, - Hachid (M) ; les premiers berbères, Entre méditerranée, tassili et nil, Inas-yas , Alger, 2001 p107-108

[6] - Chaker (S) ; l’écriture libyco- berbère "Etat des lieux, déchiffrement et perspectives linguistique et sociolinguistique, colloque annuel de la shesl, Lyon ENS, samedi 2 février 2002, pp01- 05

3- الكتابة الليبية – الفينيقية :

على ضوء عدم وجود أدلة قاطعة تثبت فينيقية أو ليبية الكتابة في بلاد المغرب القديم ، إرتكزنا على ما عثر عليه من أثار مادية أبرزها نص "دوقة"(Dougga)[*] الاثري و الذي يتكون من نصين ، الأول يبين هوية الذي بنى الضريح (أتبان) و الثاني يرمز إلى من ينسب هذا الضريح وهو "ماسينيسا" و إبنه "ماكيبسا" و أبوه "غايا" إضافة إلى القاضي "شوفاط" (Suffete) و (زيلالزن -Zilalsan)[1]،ويعتبر النص نموذج للكتابة الليبية الفينيقية (ينظر اللوحة رقم 38)، ومظهر من مظاهر التأثير الفينيقي على سكان بلاد المغرب القديم في مجال اللغة والكتابة، ويعتبر نقش دوقة الثاني رمز ووثيقة مؤرخة بوجود الكتابة وإشارة لتمازج اللغوي، وإنطلاقا من تأريخ النقيشة في حوالي 138ق.م[2] يتبين أن التأثير الفينيقي على مستوى الكتابة في بلاد المغرب القديم كان متأخرا مقارنة عند الشعوب الأخرى كاليونان مثلا[**].

وقد عرفت الكتابة الليبية في بلاد المغرب القديم تطورا ملحوظا في الشكل والعدد وذلك بإحتكاكها بالكتابة البونية لهذا نجد النص الليبي (نقش دوقة) قد صنف ضمن النصوص الحديثة بدليل كتابة بشكل أفقي عكس النصوص القديمة التي كتبت بشكل عمودي، كما إعتنى"ماسينيسا" بالكتابة وعزم على إنشاء أبجدية محلية انطلاقا من البداية(ينظر اللوحة رقم 39)، فظهرت أشكال جديدة في الكتابة وهي بأحرف بونية وبونية جديدة نقشت على عملات ملوك النوميد(سيفاقص وبوكوس الثاني)(ينظر اللوحة رقم 40)، وهكذا إنتشرت اللغة والكتابة البونية في أوساط المجتمع البوني- النوميدي وخاصة على

---

[*]ــ دوقة : إسمها القديم "توكا" (tukka)، و هي منقولة من الصيغة البونية– الليبية " ت ب ج ج " (TBGG) وأصل الاسم موروث عن "ت ب ج " (TBG) و تعني الحماية و إسمها الحالي هو دوجا (dougga) أو (Thugga)، تقع هذه المدينة غربي تونس . للمزيد ينظر :

- Camps (G), Dougga, Ency. Ber, T XVI , 1995, PP2522-2528

[1] - Ghaki(M), Le Libye, Revue Tunisienne d'Archéologie (R .T .A) , N01, Tunisie, 2013, PP23-24

[2] – Chaker (S), Libyque: écriture et langue, Ency. Berb, V28-29, 2014.,PP4395-4409.

وينظر :

Février(J.G), Op.cit., P327

[**]- يذكر "هيرودوت" أن الفينيقيون الذين رافقوا "كدموس" إلى "بويتيا" تعلم منهم الإغريق الكثير من الحروف الهجائية التي لم يكونوا يعرفونها من قبل . ينظر:

Hérodote ,V , 60

مستوى الإدارة، كذلك نجد نص آخر بجبل مسوج (40كلم من دوقة) نقش بالكتابة البونية ويتضمن وضع الحدود في مملكة "مكيبسا"[1]، وهو شاهد آخر على التأثير الفينيقي البوني.

وفي هذا المجال نشر (جيون) سجّل يضم مجموعة من النقوش البونية الليبية بمقاطعة قسنطينة (سيرتا) وضواحيها المكتشفة سنة 1840م تجمع بين الكتابتين أهمها نقوش مدينة قالمة وتيبازة بالجزائر[2] (ينظر اللوحة رقم 41)

4- الكتابة الفينيقية في شبه جزيرة إيبيريا:

منطقة إسبانيا هي الأخرى تعرضت للتأثير الفينيقي في المجال الكتابة وتحويرها في كتابة جديدة قد أشار إليها "تسولي بركوفيتش" محدثا بأن الفينيقيون الإسبان(شبه جزيرة إيبيريا) إستعملوا الكتابة والأبجدية الشرقية من خلال العثور على خمسة وعشرون نقيشة منها الإهداءات ،ونقوش المباني ،والأختام ، أبرزها نقش محفور على قاعدة تمثال "عشتروت" في "كارامبولو" الإسبانية يعود زمنيا إلى القرنين السادس والسابع ق.م، كذلك هناك نص مؤلف من سطرين محفور على القرص البيضوي لخاتم عثر عليه في أحد المدافن ب"قادس"، وكما اكتشف حديثا على ثلاثة نقوش بونية حديثة على إناء بمدينة بيتوس[3]، وكل هذه الآثار أشارت إلى تأثر الإيبيرين باللهجة الفينيقية ونظام الأبجدية الذي تألف من اثنان وعشرون حرفا مع إدخال بعض التغييرات في الحروف.

---

[1]- قابريال كامبس ، في أصول البربر ، ماسينيسا أو بدايات التاريخ ، تعريب و تحقيق : العربي عقون ، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر 2009، صص326-332

[2] – Guyon, Inscriptions puniques et libyques,"dans la province de Constantine, imprimerie du gouvernement", Alger, 1854, PP09-25

[3]- يولي تسولي بركوفيتش ، المرجع السابق ، صص197-203

الخاتمة

تجسيدا للحركية الحضارية بين الشرق والغرب، ودور الفينيقيين في ربط العلاقة بين بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط الشرقية والغربية، تمخض بحثنا هذا عن مجموعة نتائج، وسنرصدها كما يلي:

– التنوع الذي ميز الساحل الفينيقي والأجزاء المكونة له، فنجد تنوع في المناخ أبرزها مناخ البحر الأبيض المتوسط، وتوفر المساحات الخضراء خاصة أشجار النخيل و الأرز إضافة إلى توفر الثروة المائية نتيجة وجود أنهار ممتدة على طول الخلال الخصيب كنهر العاصي و الليطاني، وتنوع في الثروة الحيوانية، أما الساحل فهو ممتد من الشمال (مدينة أوغاريت) إلى الجنوب بحدود مدينة غزة الفلسطينية .

– مرور منطقة الهلال الخصيب و خاصة الساحل الفينيقي عبر عصور حجرية كان بدايتها العصر الحجري القديم إلى العصر الحجري الحديث و عصر المعادن ، هذا الأخير لوحظ فيه تطور بارز للمنطقة من حيث إكتشاف المعادن و تطور صناعة الفخار و الأدوات الحجرية .

– ظهور مبكر للمعتقدات الدينية عند شعوب الهلال الخصيب من حيث تعدد المعبودات وعلى رأسهم عبادة معبودة الأم، و كذلك الاعتقاد ما بعد الموت مما أدى إلى تطور الفكر الديني الوثني و زيادة في تفننه .

– ظهور موجة بشرية ذات أصول سامية من شبه الجزيرة العربية إلى منطقة الشرق الادنى القديم لأسباب طبيعية و إقتصادية ، متخذة طرق متعددة ، حيث حملت معها تأثيرات حضارية جديدة في المجال الاقتصادي و الديني و المتمثلة في تقنيات الزراعة و الصناعة و أساليب التجارة و ظهور نماذج جديدة في المعبودات و المعتقد .

– ظهور خارطة جيوسياسية جديدة في منطقة الشرق الأدنى القديم ، و على أساسها برزت عدة دول و إمبراطوريات كبرى كدولة البابليين و الأكاديين و الأشوريين ، و ما ميز هذه الخارطة ظهور صراعات بين الدول من أجل التوسع الجغرافي والأطماع السياسية الاقتصادية .

– الحراك السياسي للشعوب الكنعانية على سواحل البحر الأبيض المتوسط ، و ظهور مزاج حضاري جديد تزعمه كنعانيو الشمال أو ما يعرف بالفينيقيون ، الذين أسسوا إمبراطوريتهم في عالم البحر و وإستغلوه أحسن إستغلالا ، فإذا كان المصريون و العراقيون القدامى أقاموا حضارتهم بقرب وادي النيل و الدجلة و الفرات ، فالفينيقيون أقاموا حضارتهم وسط البحر والمحيطات وتوسعوا حوله من الجهات الاربع .

– الأدوار السياسية التي قام بها الفينيقيون في شرق البحر الأبيض المتوسط ، حيث أسسوا مدن عديدة على رأسهم مدينة صور و صيدا و جبيل ، و تفاعلوا مع الظروف الإقليمية بالرغم من المشاكل التي تعرضوا إليها من حضارات و ضربات عسكرية ، فقد كانت لهذه المدن أهمية إستراتيجية بالنسبة لجيرانهم .

– الدور التجاري و الاقتصادي التي قام بها الفينيقيون ، فقد كانوا وسطاء في التجارة البرية و البحرية بين الشعوب القديمة خاصة في الشرق الأدنى القديم و الشرق الإفريقي (إلى جانب اليمنيون القدماء) ، و مع غربي البحر الأبيض المتوسط ، حيث كانوا يجلبون أنواع عديدة من البضائع و يستبدلونها بالأخرى خاصة المعادن كالذهب و الفضة و العاج .

– الأهمية التي إكتسبها الفينيقيون في نظر جيرانهم ، فقد سكنوا شعور الإغريق و الرومان وأصبحوا محل كتابات مؤرخيهم ، وهذا بفضل تحركاتهم و تأثيراتهم الحضارية ، و هنا يجب التوضيح على كلمة فينيقي هي تسمية يونانية على الشعوب الكنعانية التي سكنت سواحل شرق البحر الأبيض المتوسط .

– التمازج بين العامل الجغرافي و السياسي و التجاري في إخراج الفينيقيين إلى غربي البحر الأبيض المتوسط ، ووصولهم إلى مناطق أبعد من ذلك ، و الأمر الذي حفزهم على إكتناز أسرار البحر و كتمان طرقه المختلفة ، و هذا سر نجاحهم في تأسيس الإمبراطورية البحرية.

– أمكن التوصل أن الفينيقيون إبتكروا وسيلة للنقل البحري و هي صنع القارب و السفينة وتطويرها حسب متطلبات و حجم البضاعة ، و زيادة توسعاتهم و حتى إشراكهم في الحروب (السفينة التجارية و الحربية).

– إزدهار التجارة البحرية الفينيقية في شرقي و غربي البحر الأبيض المتوسط ، من حيث توفر المادة الأولية و تأسيس طرق بحرية جديدة ، و مراكز استيطانية على سواحل البحر من شأنه سهل عملية التبادل التجاري .

– أمكن التوصل على أن الفينيقيون عوضوا الفشل في تأسيس نظام سياسي موحد على غرار جيرانهم بتأسيس تنظيم تجاري تستند إليه الشعوب في معرفة أبجديات التجارة.

– أمكن التسجيل خارطة سياسية جديدة في غربي البحر الأبيض المتوسط خاصة في بلاد المغرب القديم ، و ذلك بظهور مدن جديدة ساحلية و أخرى داخلية غلب عليها الوجود الفينيقي .

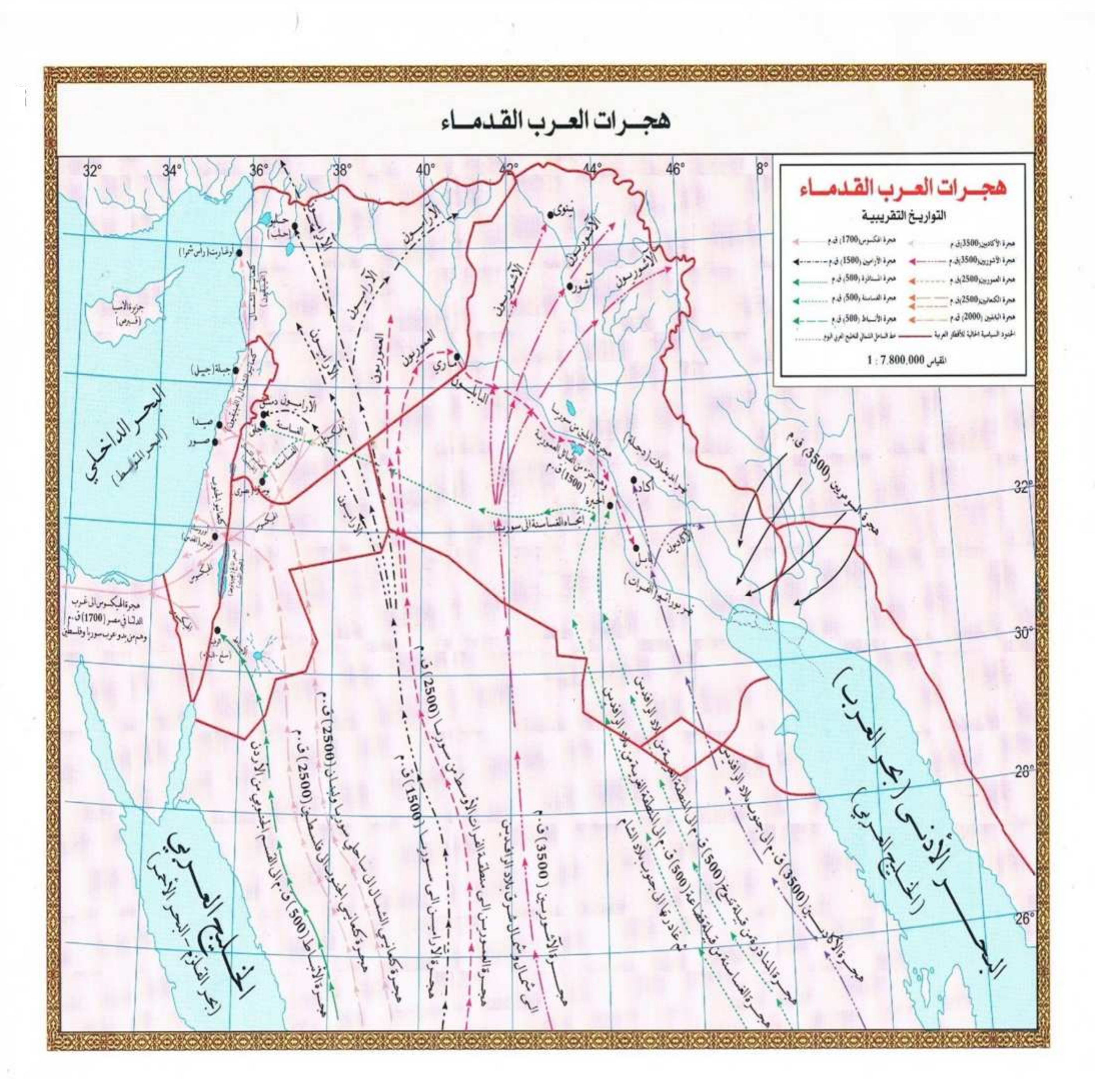
– أمكن التوصل أن البحرية الفينيقية لم تكن لها أهمية في الشكل و النمط الذي صنعت عليه فقط ، بل كانت وسيلة حضارية في نقل المؤثرات الشرقية ، فهي التي حملت عنصرين أساسين في بناء أي حضارة (الإنسان و المادة الأولية) ، و بالتالي الانسجام بين حضارتين لتظهر الحضارة البونية .

– ظهور نتاج حضاري جديد في غربي البحر الأبيض المتوسط نتيجة التواجد الفينيقي المبكر، وتجلت مظاهره على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والديني واللغوي، مما أدخل منطقة بلاد المغرب القديم في عصر جديد ذات سمات حضارية أكثر تطورا.

– تسجيل تأثيرات فينيقية في غربي البحر الأبيض المتوسط ، حيث لوحظ وجود بصمات للفينيقيين في الزراعة و الصناعة و التجارة خاصة في تقنيات خدمة الأرض و التعدين ، كما تم تسجيل ظهور معبودات دينية فينيقية في نفس المنطقة و خاصة في بلاد المغرب القديم أبرزها معبود "بعل" و "تانيت" و "عشترت" و "ملقرت" ، و إمتزاجها بالشعائر و معتقدات السكان الأصليين ، مع وجود تشابه في فكرة الاعتقاد ما بعد الموت .

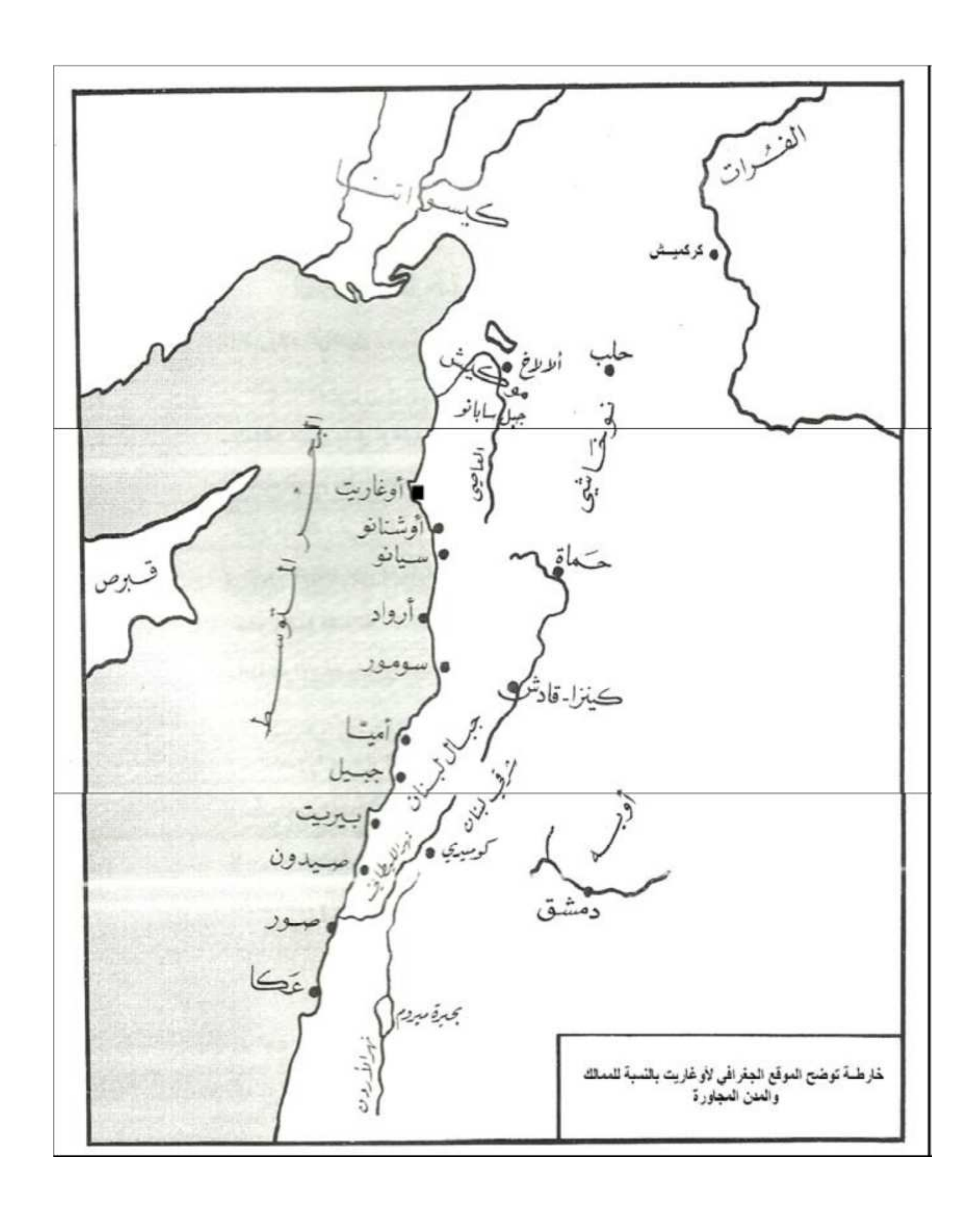
– أمكن التوصل إلى وجود تأثير فينيقي على مستوى اللغة و الكتابة ، فقد لوحظ أثار لكتابة جديدة سميت بالكتابة البونية ، و هذا على الرغم من وجود أثار لكتابة محلية تدعى بالكتابة اللوبية ، مما يدل على التمازج اللغوي .

– وجود جدل واسع حول أسبقية الفينيقيين في نقل الحضارة إلى غربي البحر الأبيض المتوسط ، فلا نستطيع الجزم و الرد الفضل على كل إنتاج حضاري ظهر في المنطقة يعود إلى المجتمع الفينيقي و هذا لسببين : السبب الأول و هو راجع إلى توفر الأدلة الأثرية تبرز لنا مظاهر الحضارة لسكان الأصليين ، خاصة عند سكان بلاد المغرب القديم قبل مجيء الفينيقيين ، أما السبب الثاني راجع للعلاقات بين الفينيقيين و السكان الأصليين ، فهي مبنية على أساس التبادل التجاري و علاقة تأثير و تأثر و تكامل حضاري .



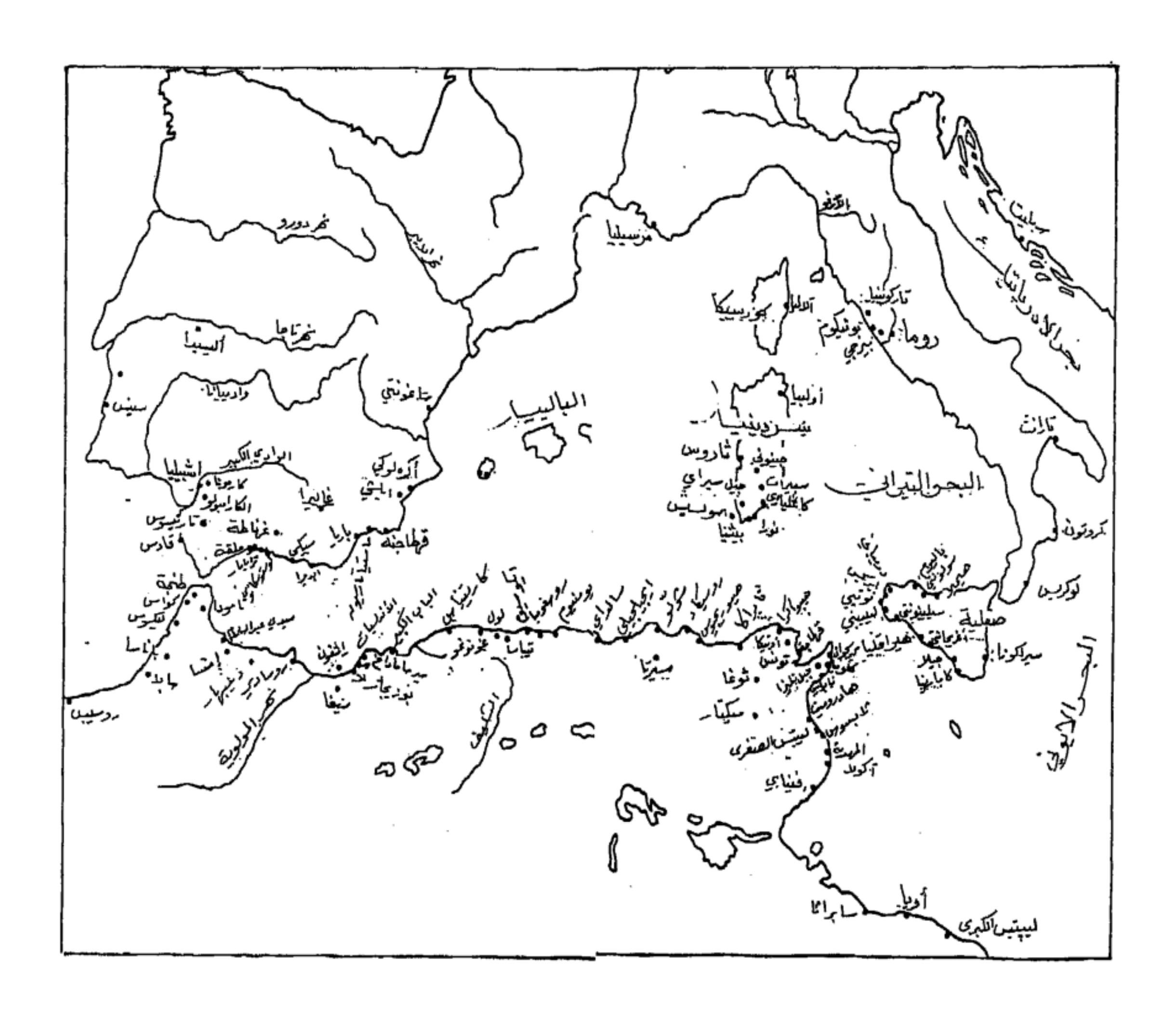
الخريطة رقم 01 : الهجرات السامية إلى الشرق الأدنى القديم

المرجع : سيف الدين كاتب ، المرجع السابق ، ص20



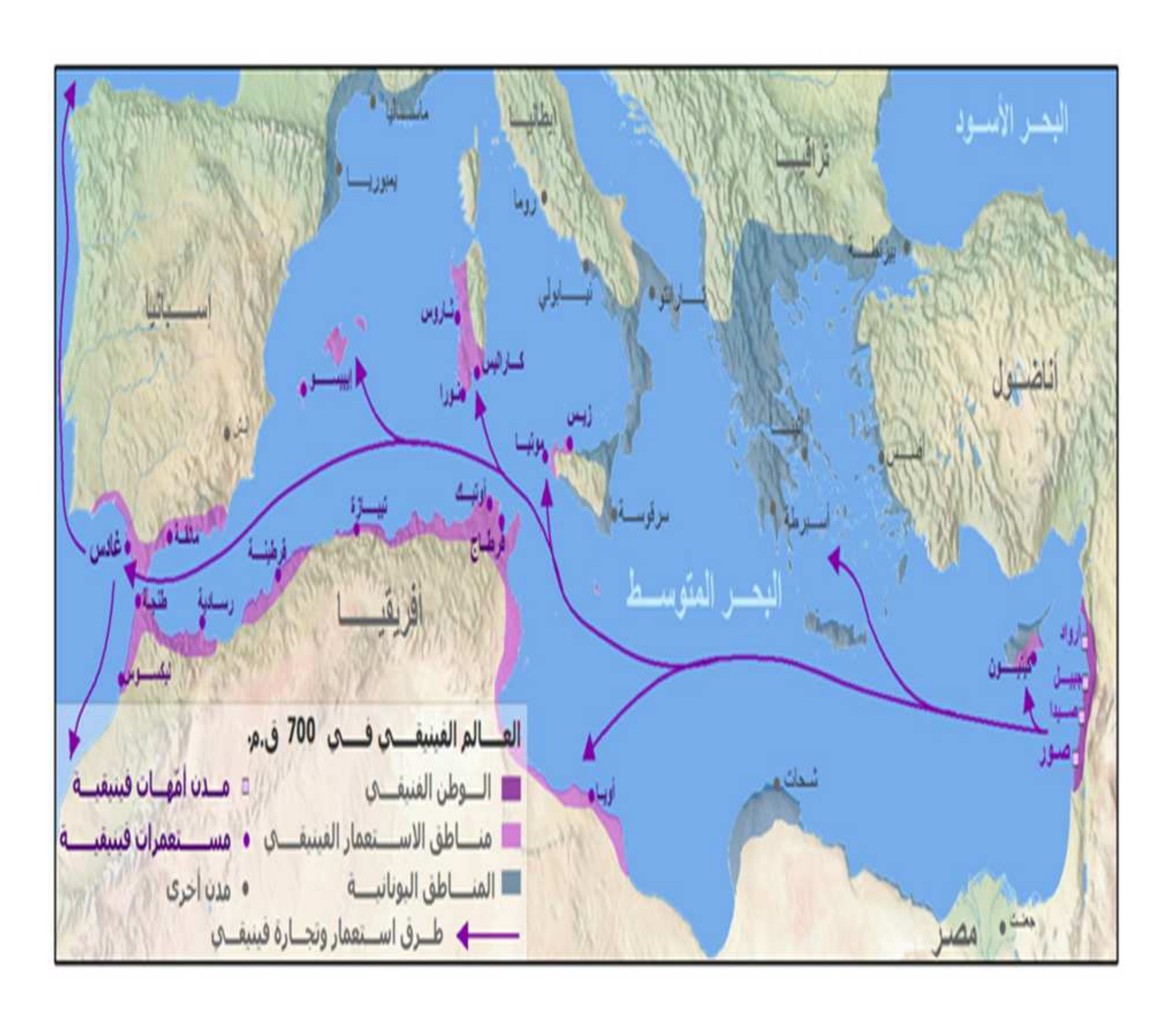
الخريطة رقم 02: المدن الفينيقية

المرجع :إ.ش.شيفمان ، الساميون في العصور القديمة ، ترجمة حسان ميخائيل ،ط1، دار الابجدية ، دمشق، 1988، ص4



الخريطة رقم 03 : المستوطنات الفينيقية في البحر الأبيض المتوسط

المرجع : فرنسوا دوكريه ، المرجع السابق ، ص222



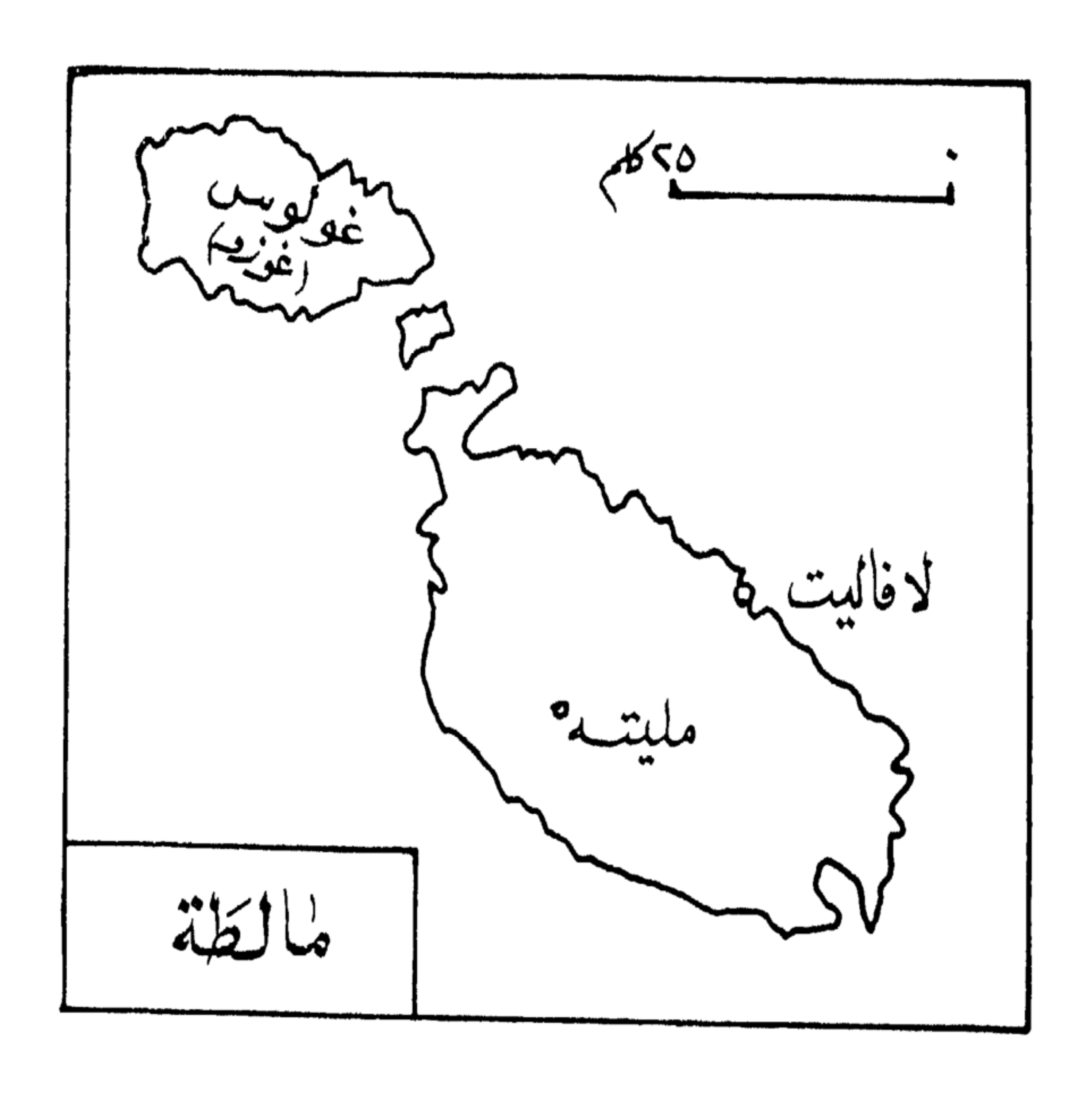
الخريطة رقم 04 : التوسع الفينيقي في شرقي و غربي البحر الأبيض المتوسط

http://explorethemed.com/PhoeniciansAr.asp



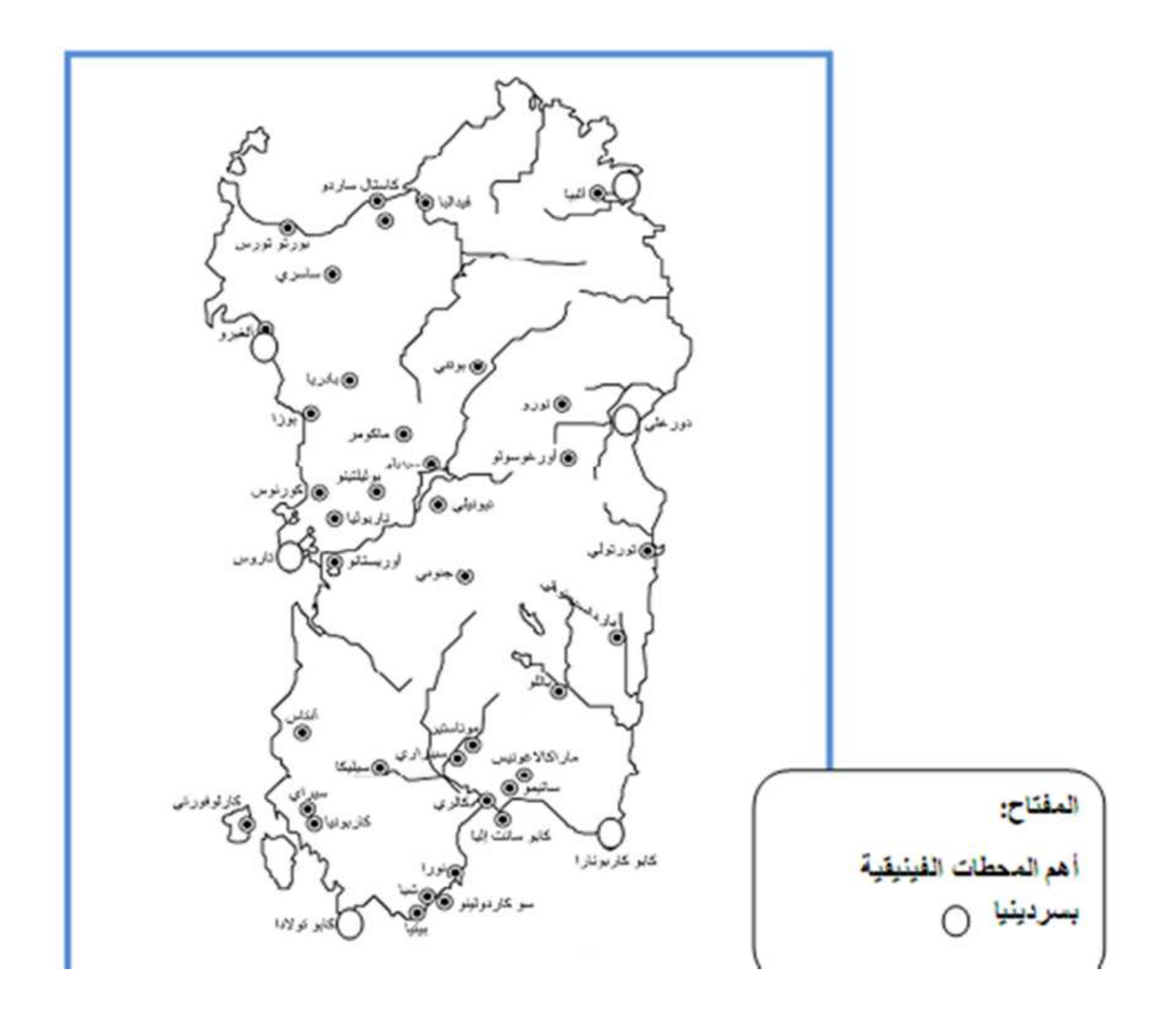
الخريطة رقم 05 : أهم المراكز الفينيقية في جزيرة قبرص

المرجع : هنري عبودي ، المرجع السابق ، ص674



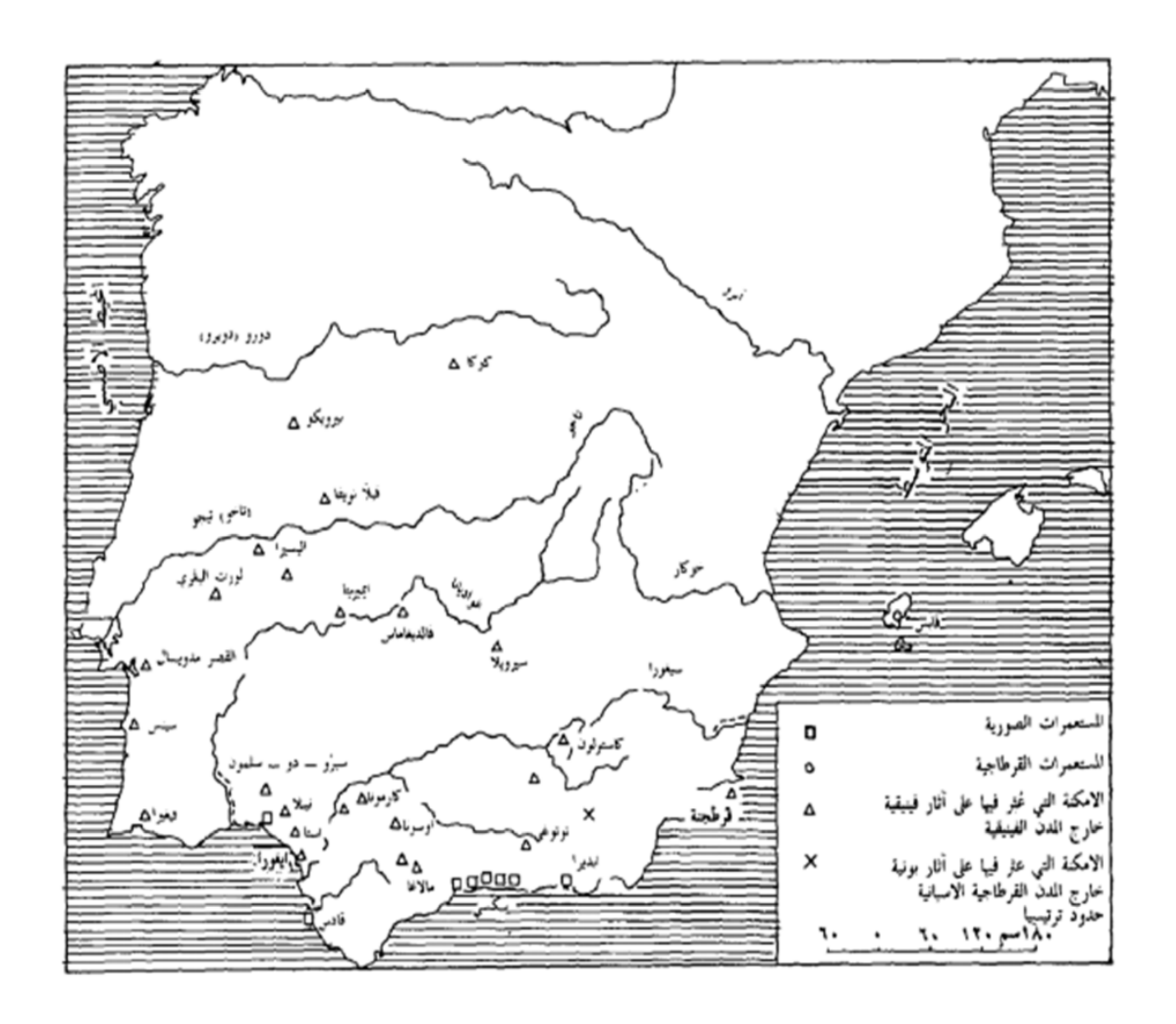
الخريطة رقم 06 : جزيرة مالطا

المرجع : هنري عبودي ، المرجع السابق ، ص769



الخريطة رقم 07 : أهم المحطات الفينيقية في منطقة سردينيا

المرجع : سلاطنية عبد المالك ، المرجع السابق، ص143



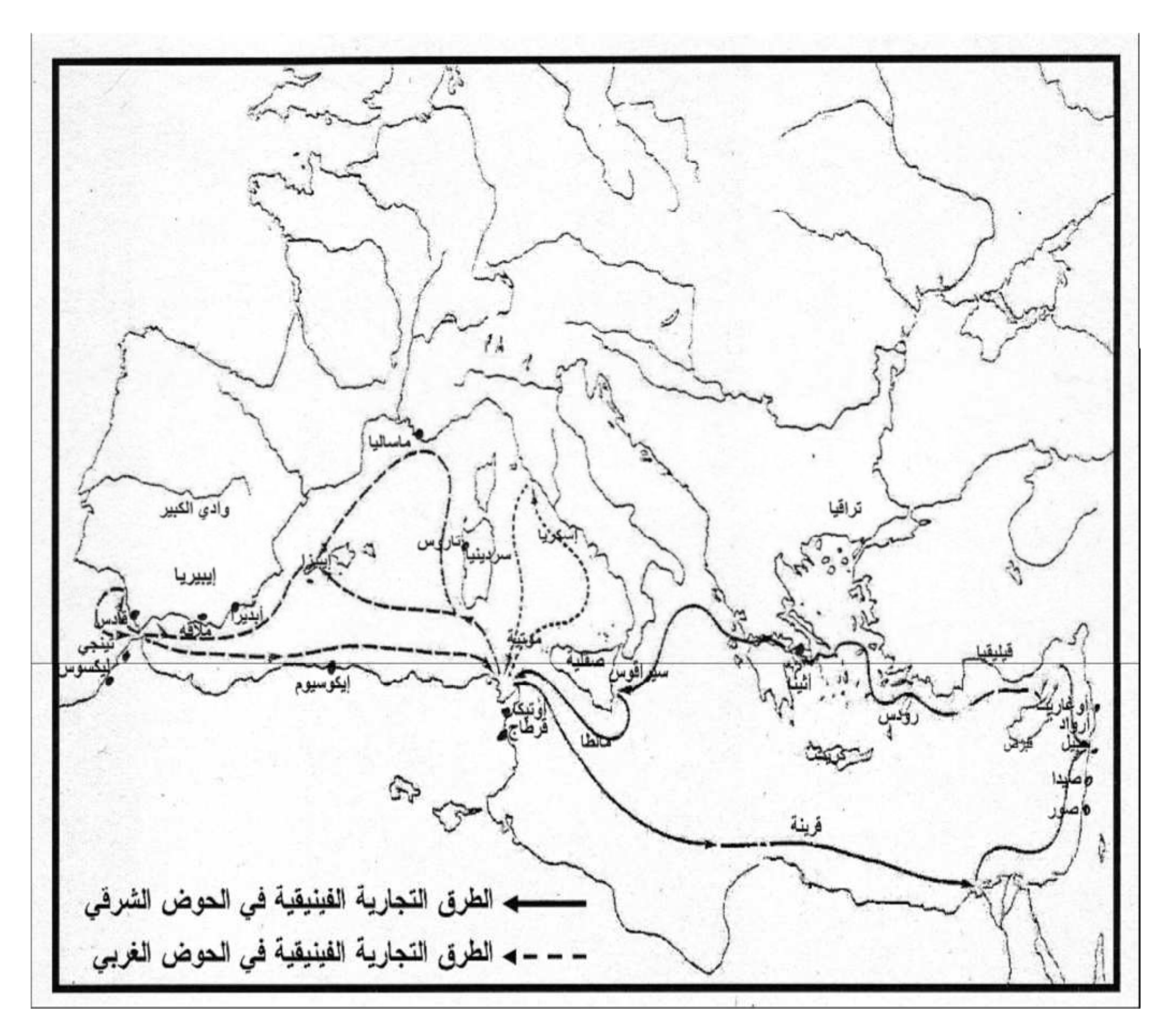
الخريطة رقم 08 : التواجد الفينيقي في اسبانيا(شبه جزيرة ايبيريا)

المرجع : يولي بركوفيتش تسولي ، المرجع السابق ،ص346



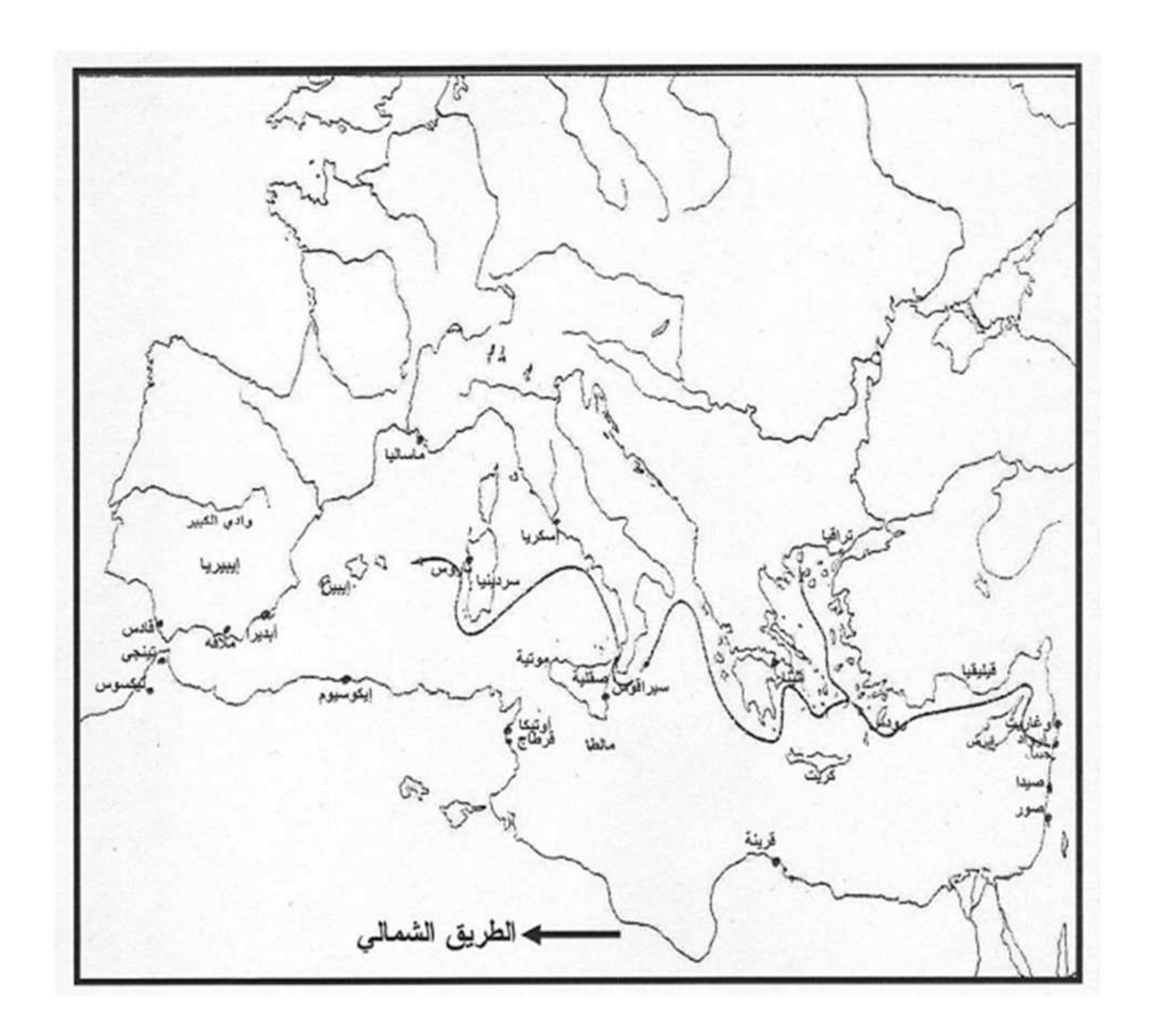
الخريطة رقم 09 : المدن الفينيقية في تونس (أوتيكا)

المرجع : إبراهيم خلايلي ، المرجع السابق ، ص32



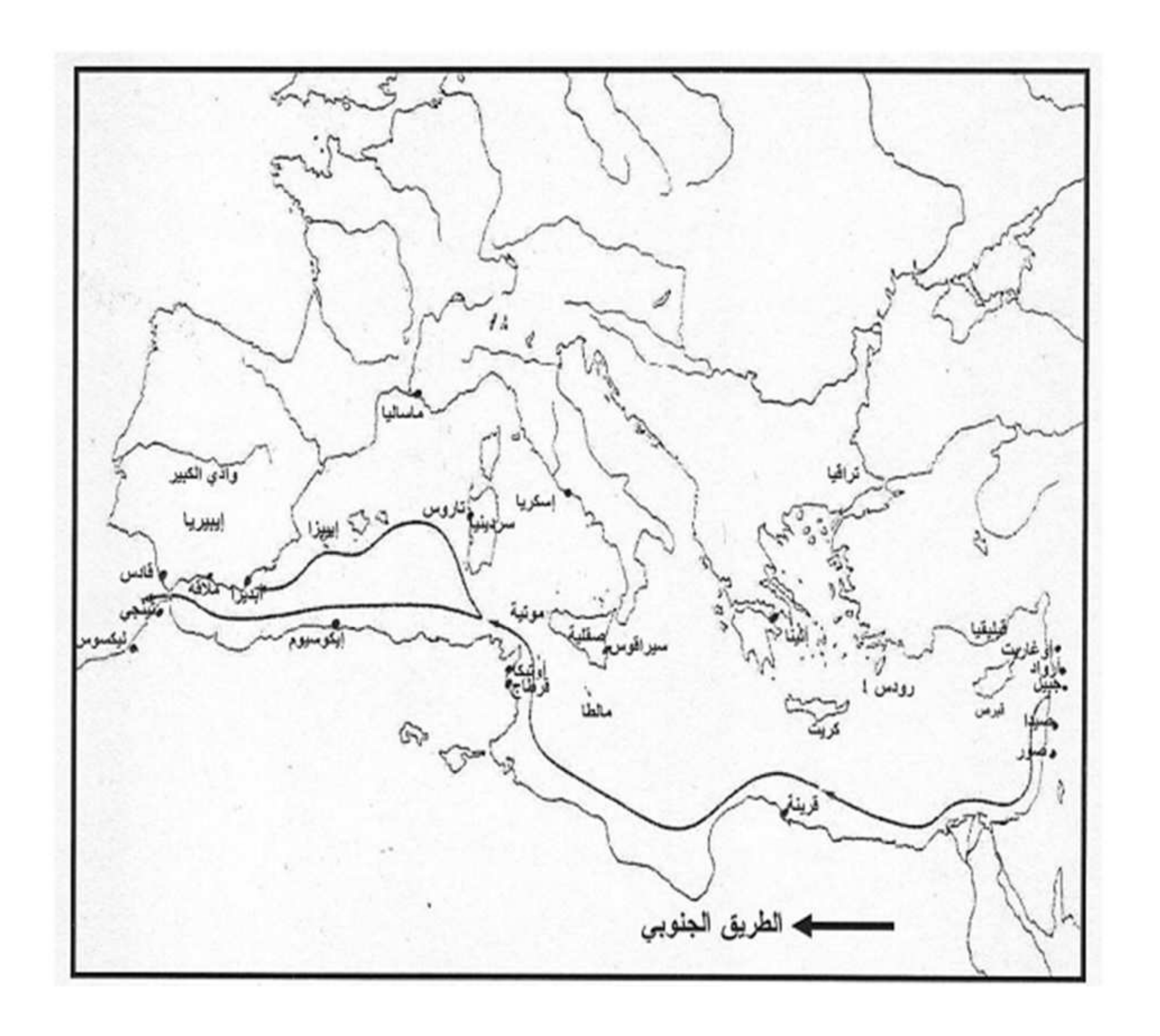
الخريطة رقم 10 : الطرق التجارية الفينيقية في البحر الأبيض المتوسط

المرجع : Moscati(S), les phéniciens, P45



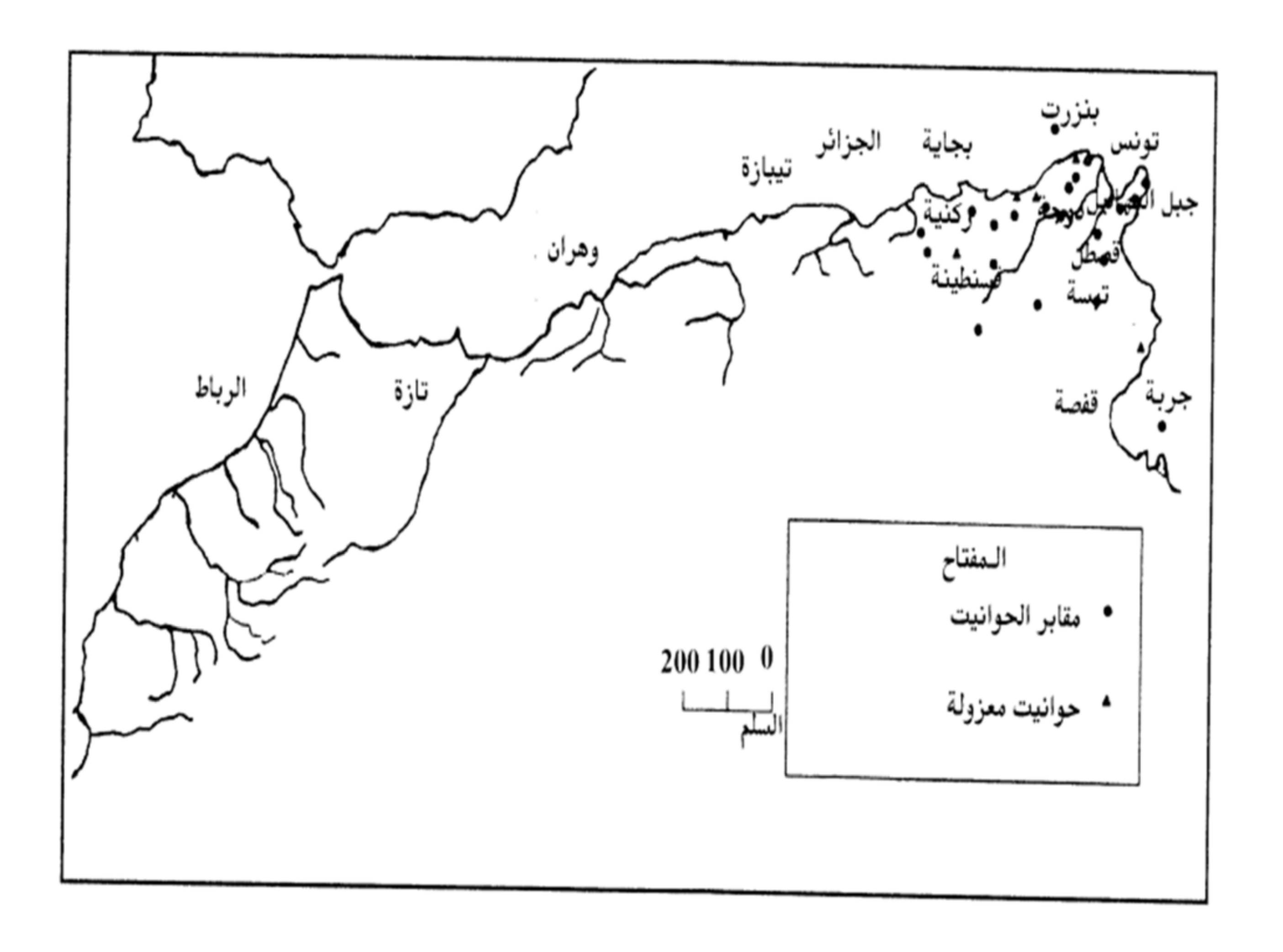
الخريطة رقم 11 : الطريق الشمالي للبحرية الفينيقية

المرجع : Moscati(S),Op.Cit ,p45



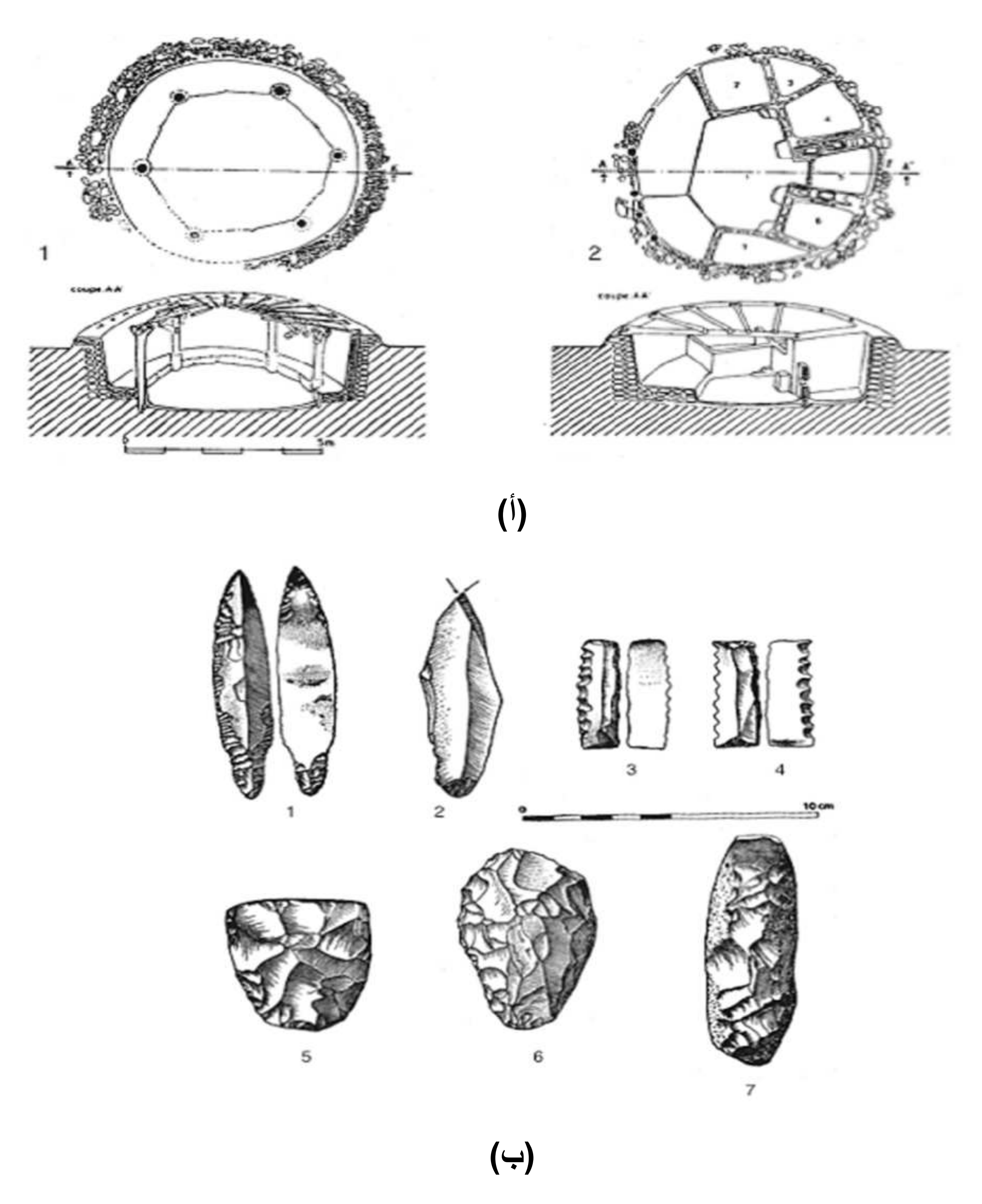
الخريطة رقم 12 : الطريق الجنوبي للبحرية الفينيقية

المرجع : Moscati(S) ,Op.Cit,p45



الخريطة رقم 13 : خريطة توزيع الحوانيت في شمال إفريقيا

المرجع : غانم محمد صغير و أخرون ، المرجع السابق ، ص120



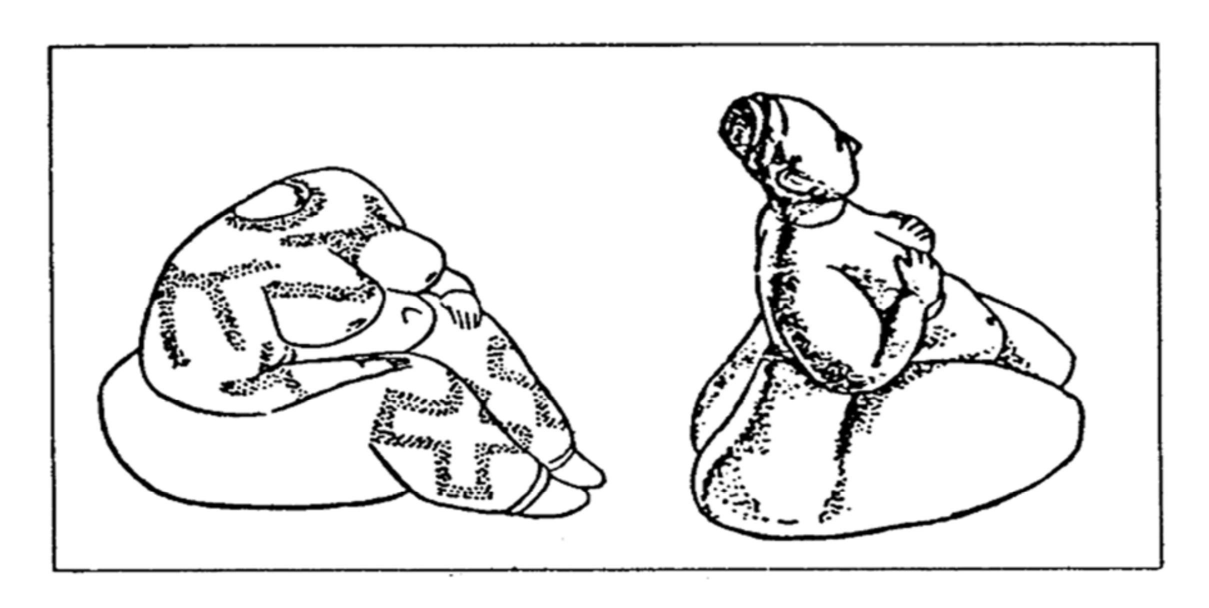
(أ)

(ب)

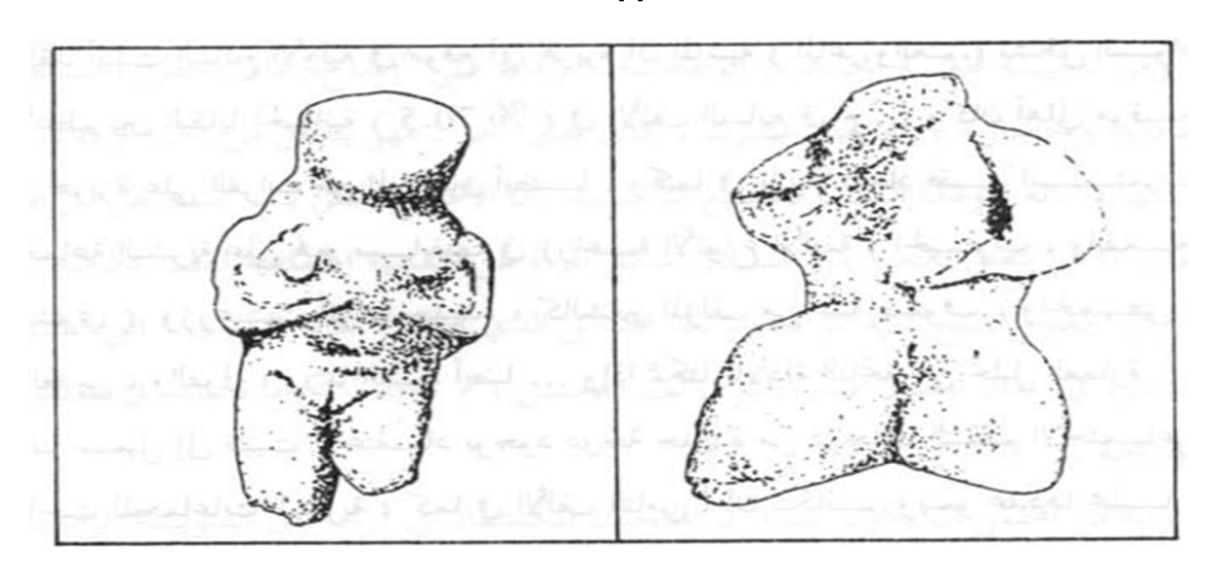
اللوحة رقم 01 : (أ) – غرف الدفن في إحدى المواقع اللبنانية القديمة (الجرف الأحمر)

(ب) – أدوات حجرية تعود للعصر الحجري الحديث بمدينة جبيل

Boustani(M .H) ; Le néolithique…….(A.H.A) , Op.Cit ,pp31-39



(أ)



(ب)

اللوحة رقم 02 :

(أ)- معبودة الأمومة في مزرعة حيوك بالأناضول حوالي 6000ق.م

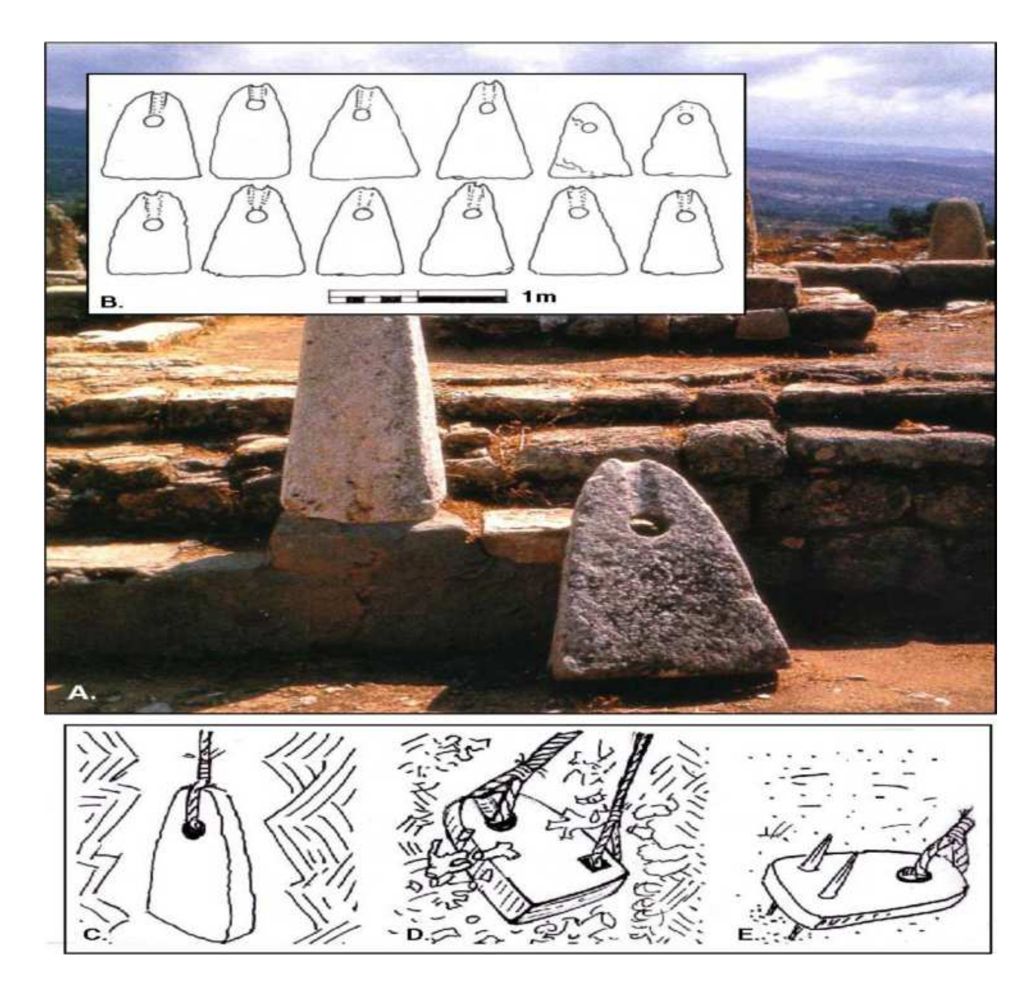
(ب)- معبودة الأمومة في تل الأسود و تل المربيط حوالي 8000ق.م

المرجع : داوود أحمد ، تاريخ سوريا القديم ، الكتاب 01، ط03، منشورات دار الصفدي ، دمشق ، 2003، صص156-157



اللوحة رقم 03 : مركب فينيقي

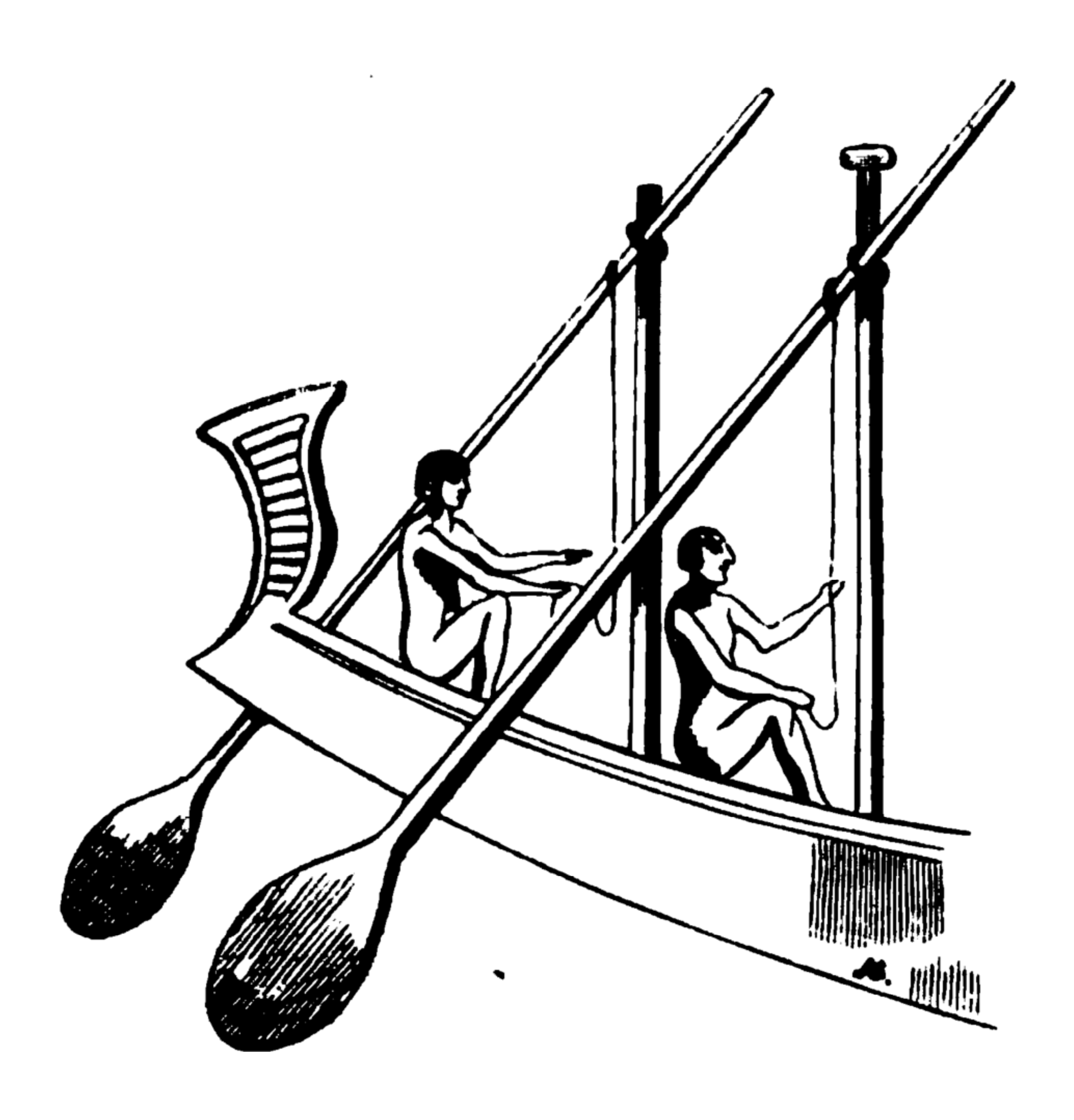
المرجع : www .musée – marine . fr



اللوحة رقم 04 : مربط السفينة

المرجع :

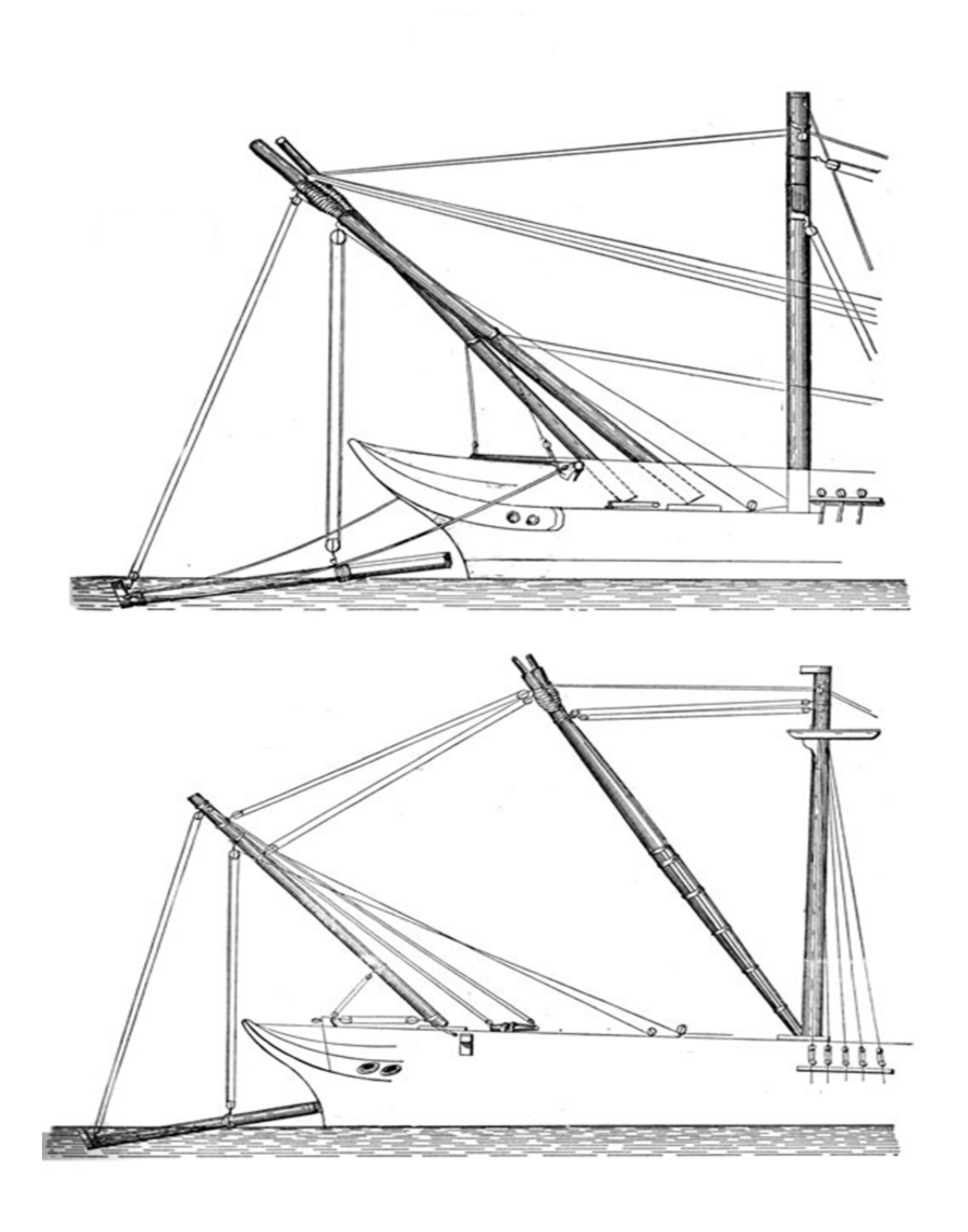
Nick (M): Paleoenvironnements littoraux du Liban l'holocène géoarchéologie des ports antiques de Beyrouth ,Sidon et Tyr 5000 ans d'interactions nature – culture ,v2,Université Aix- Marseille I, 2007 .p429



اللوحة رقم 05 : كيفية إستخدام المجاذيف

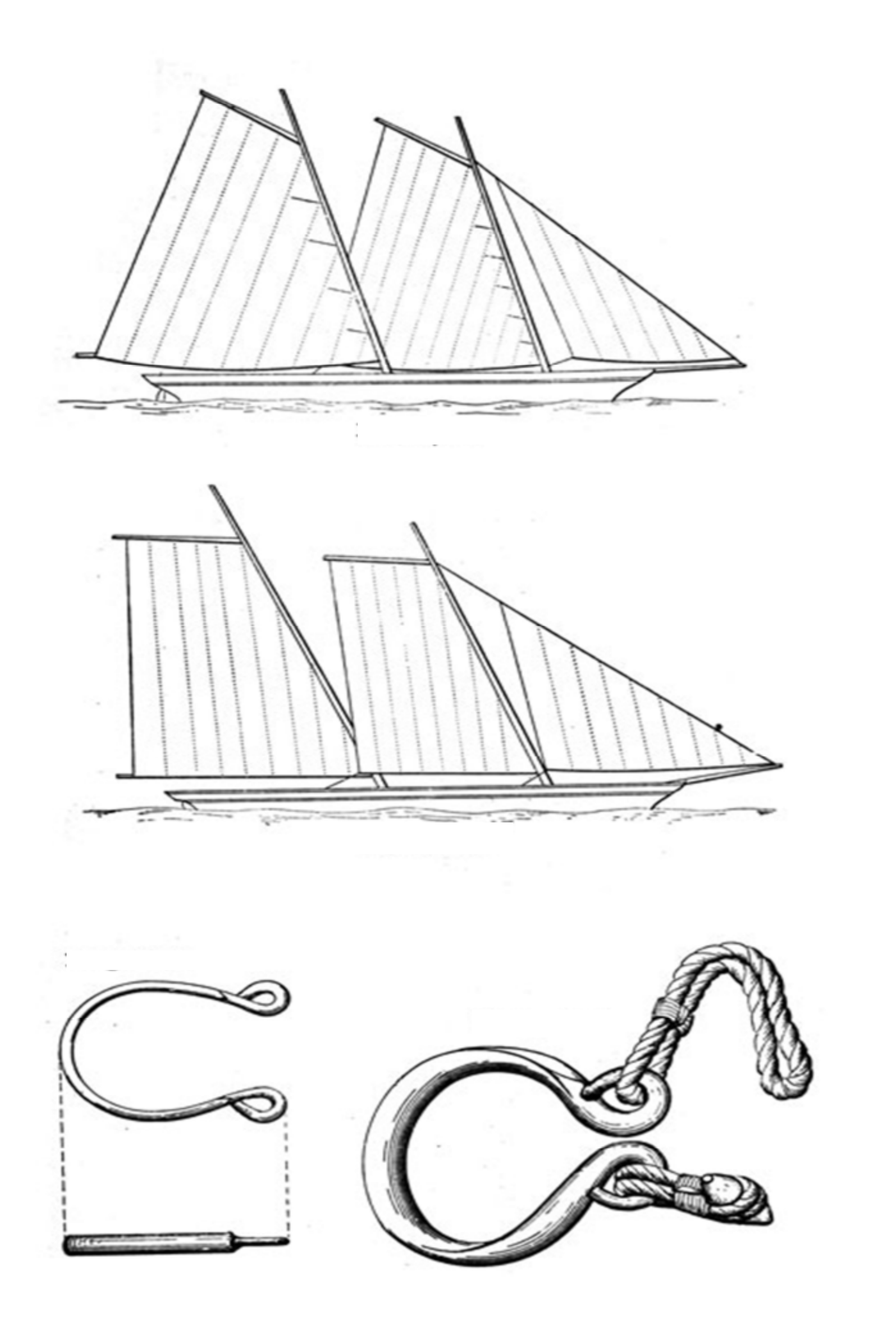
المرجع :

JAL(A), Archéologie Navale, T01, Arthus Bertrand Editeurs, Libraire de la société Géographie,Paris ,1840, P75



اللوحة رقم 06 : دفة السفينة

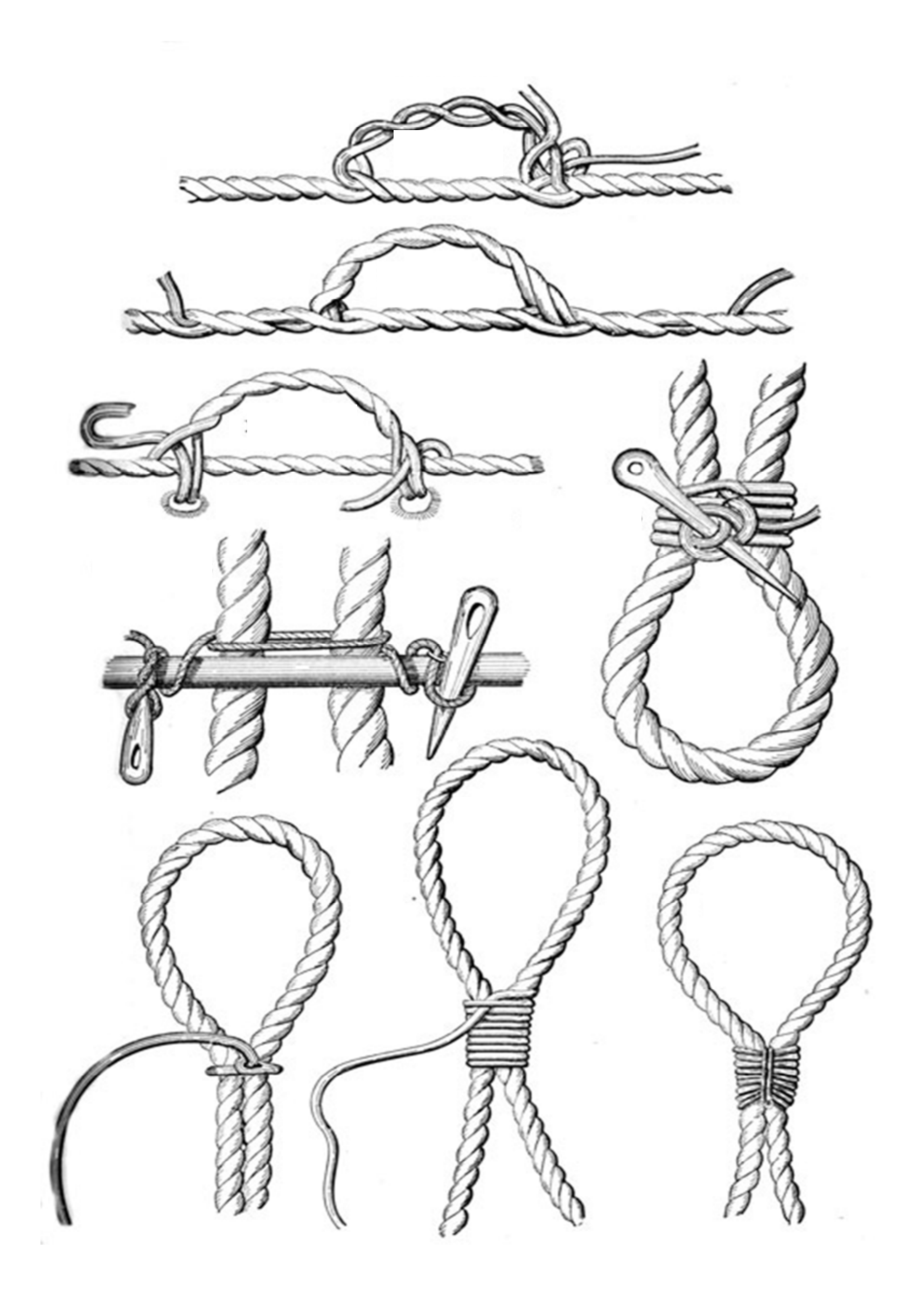
المرجع : Luce(S.B), Luce(S.B), Navy(U.S), Bury(S),Text – Book of seamanship ,The equipping and handling of vessels ,Van nostrand company ,New york 1891, Chapter(VII),P92



اللوحة رقم 07 : أنواع من الأشرعة و الأدوات التي تشدها

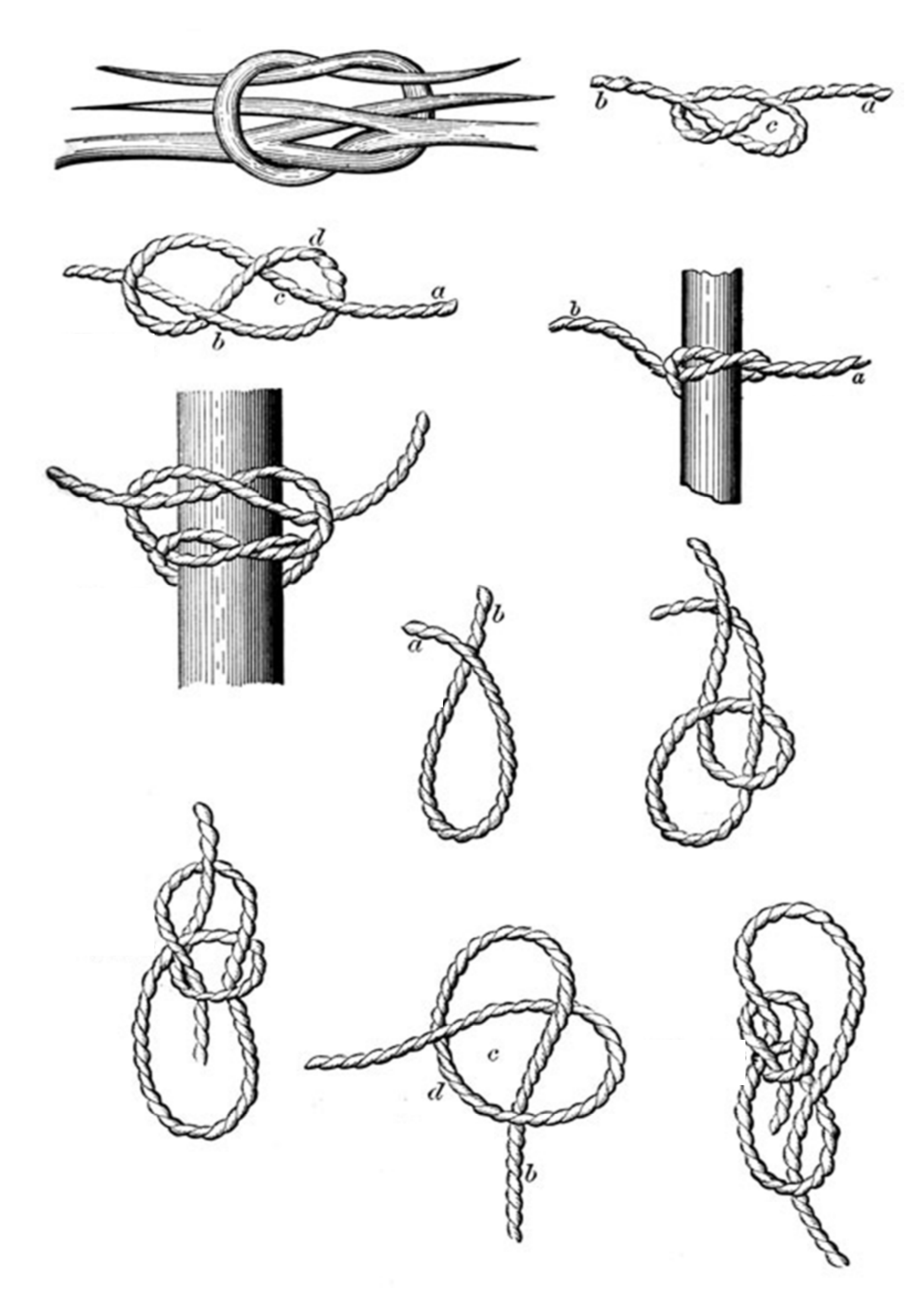
المرجع :

Luce(S.B), …….Op.Cit , Chapitre (X),pp158-159



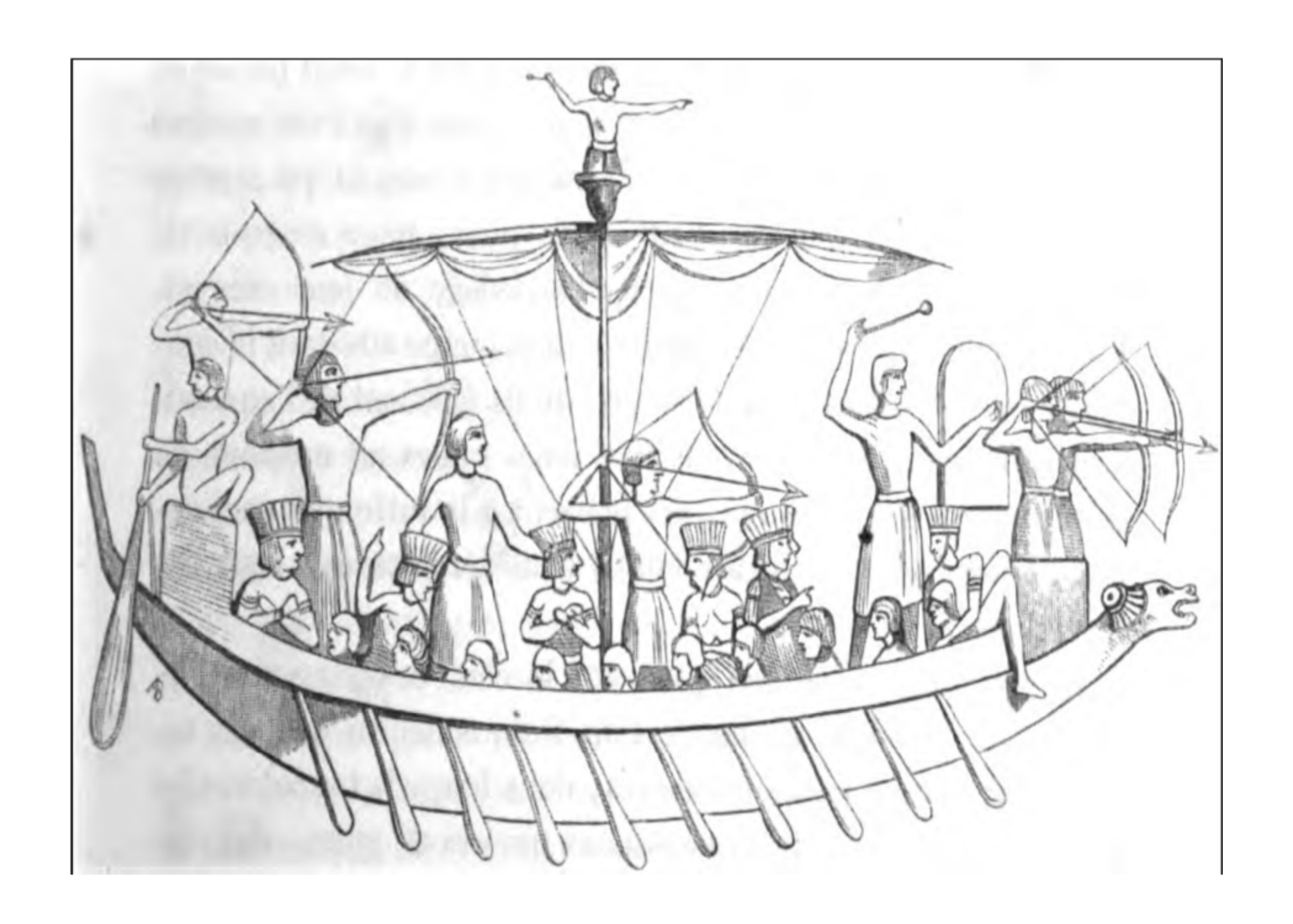
اللوحة رقم 08 : أنواع من الحبال

المرجع : Luce(S.B) ,…….Op.Cit , Chapter (IV),p44-45



اللوحة رقم 09 :أنواع من الحبال التي تشد السفينة

المرجع: Luce(S .B)…….Op.Cit, Chapter (III), p30



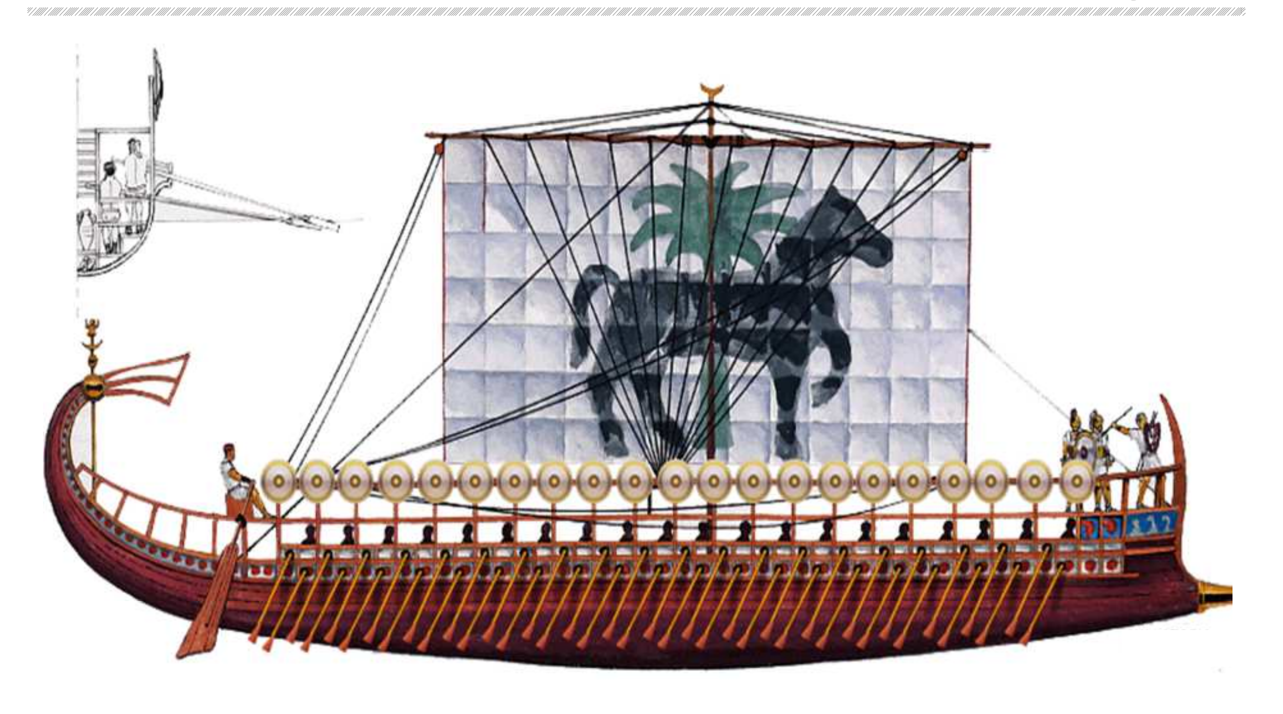
اللوحة رقم 10 : سفينة من نوع غولوا

المرجع : Jal(A), Op.Cit ,p51



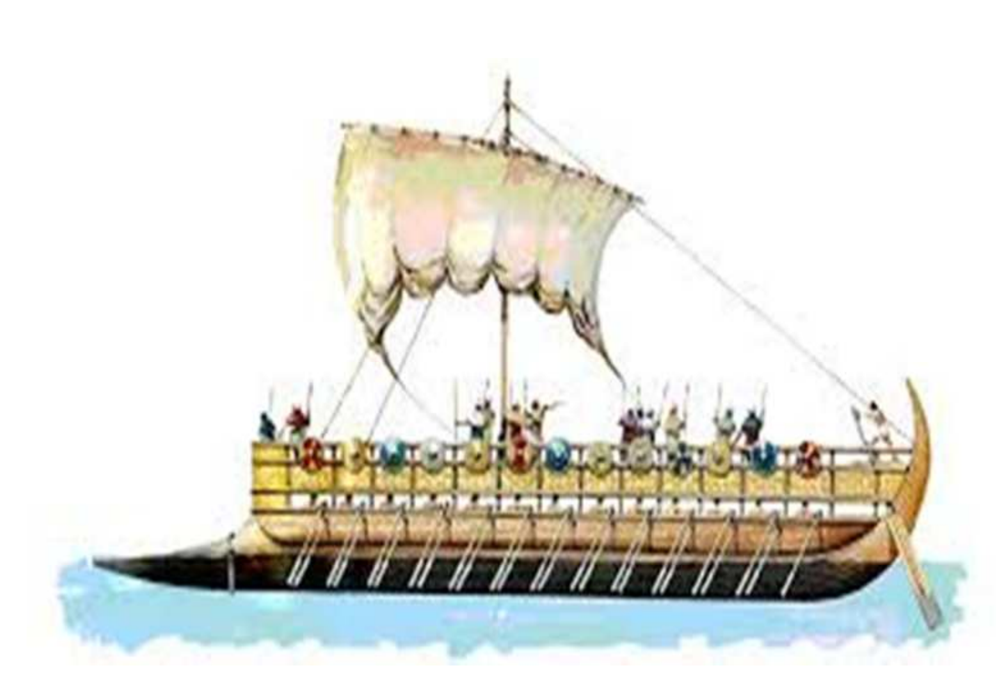
اللوحة رقم 11 : نموذج لسفينة ترشيش الفينيقية

المرجع : www.esyria.sy/etartus/index



سفينة فينيقية حربية

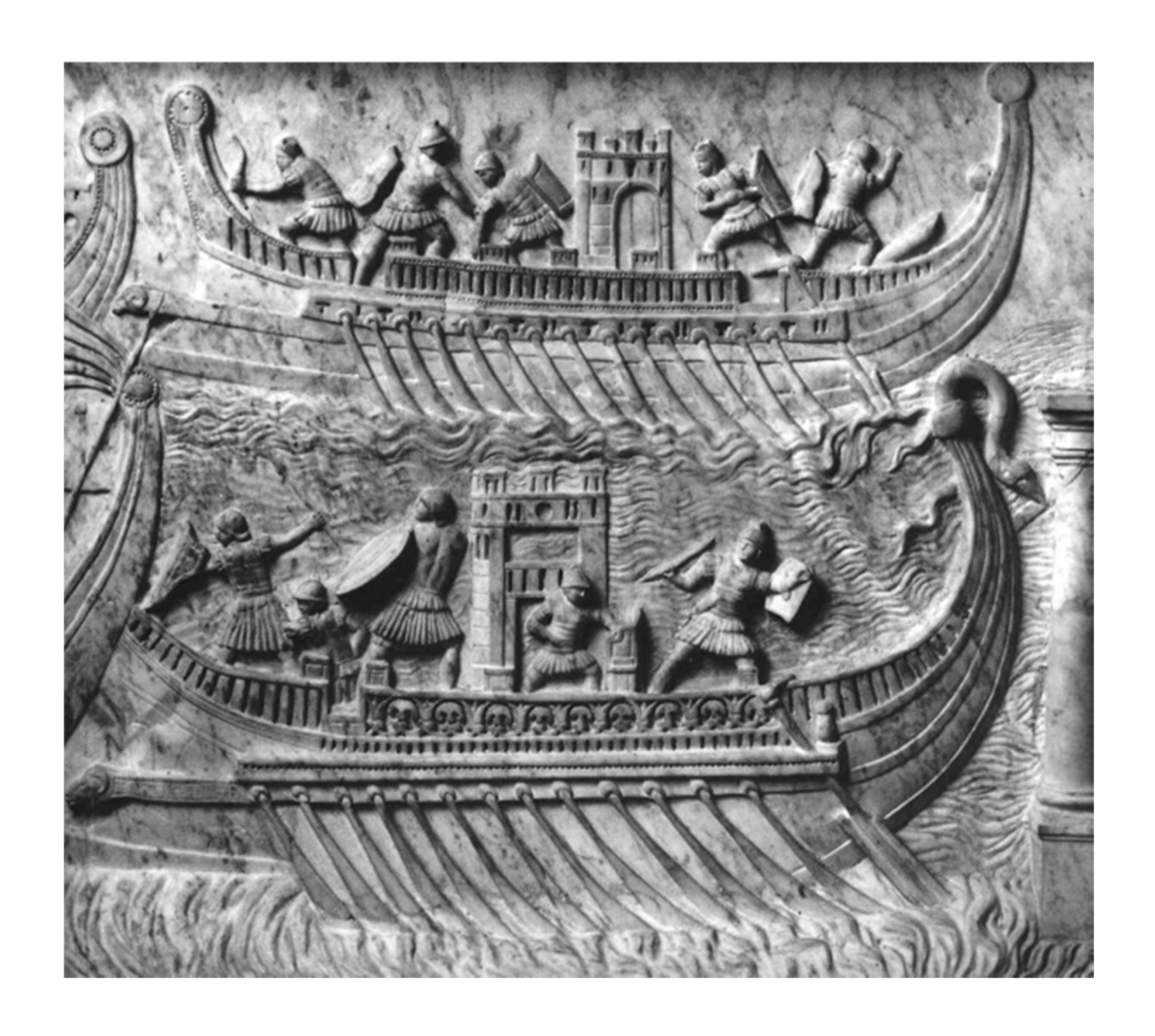
المرجع : www.navistory.com



سفينة فينيقية من نوع بيرام

المرجع : www.museé-marine.fr

اللوحة رقم 12



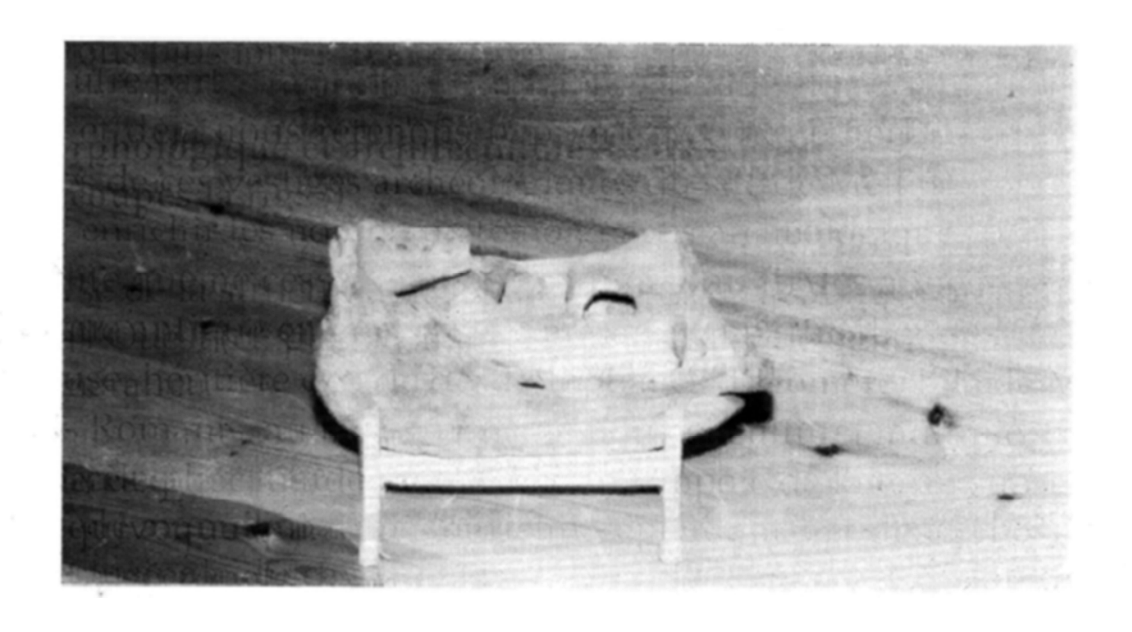
اللوحة رقم 13 : نموذج لسفينة فينيقية حربية

المرجع :

Juan (M.A),Rosario(C),Escultura romana en hispania ,VI,Homenaje Eva Kappel,Murcia,2010,p1



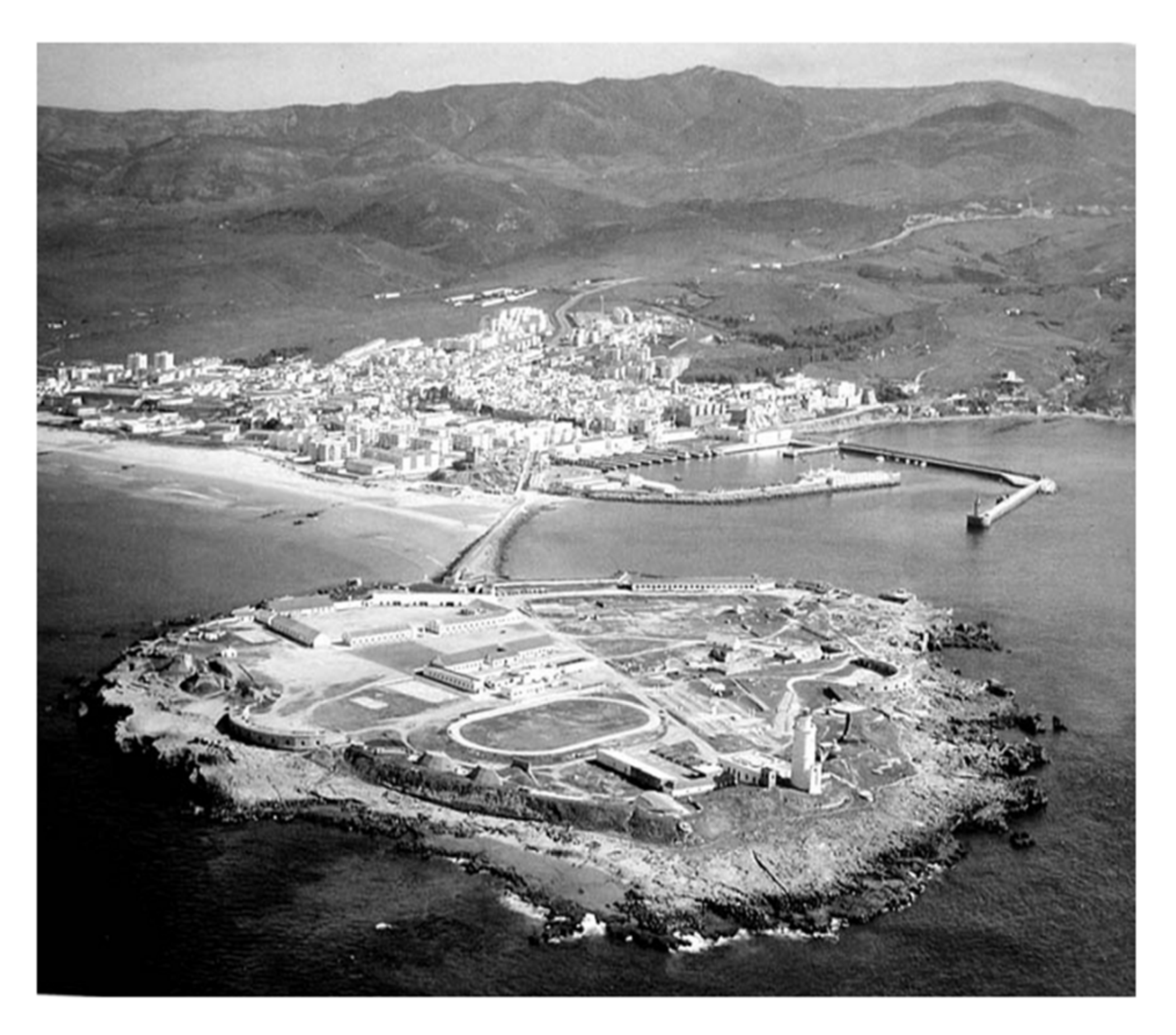
(أ)



(ب)

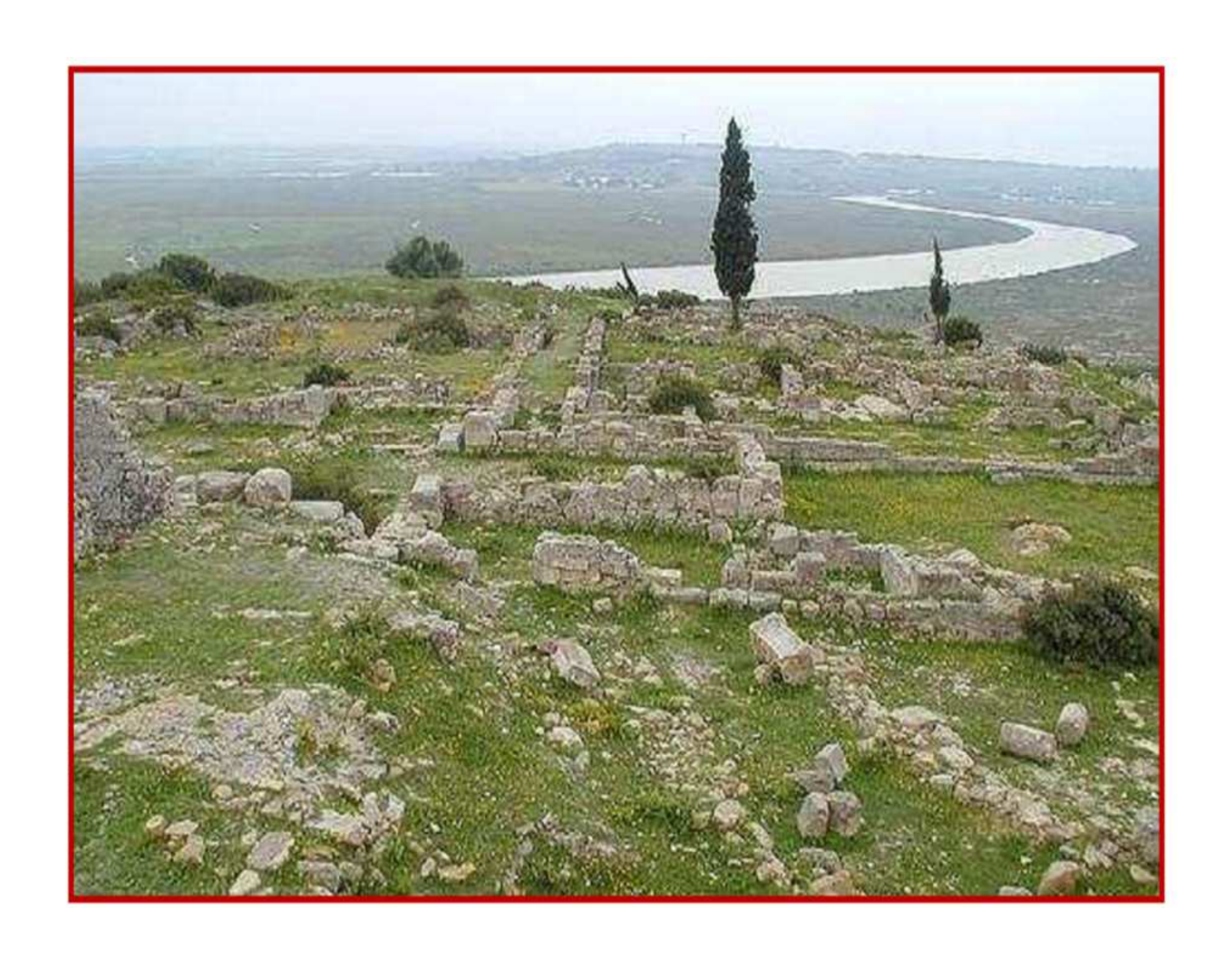
اللوحة رقم 14 : نماذج من السفن الفينيقية في متحف سوسة (بريمبولون و أبوستيس)

Barkaoui(A),A propos d'un navire en terre cuite exposé au musée de Sousse (Tunisie),Reppal XIII,Institut national du patrimoine ,Tunisie ,2004,p42



اللوحة رقم 15 : موقع مدينة قادس (Cadix) بإسبانيا

المرجع : Juan (M.A), Rosario(C),Escultura ....Op.Cit , p207



اللوحة رقم 16 : موقع ليكسوس الاثري

: **المرجع**www.maktoob.com



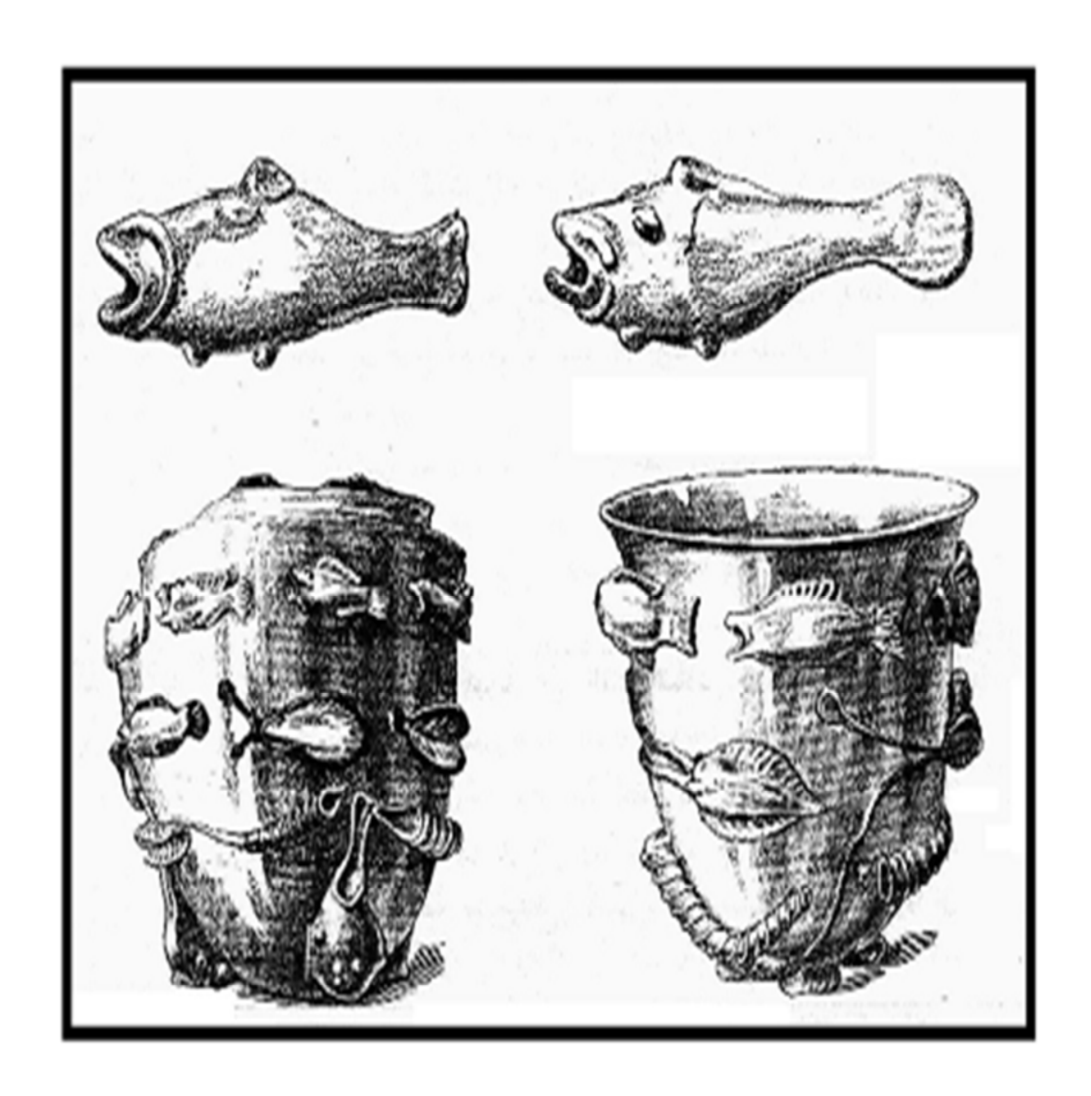
اللوحة رقم 17 : إبريق بوني يعود للقرن السابع قبل الميلاد

المتحف الوطني بباردو



اللوحة رقم 18 : فخار فينيقي من متحف صبراتة – ليبيا –

المرجع : عبد المالك سلاطنية ، المرجع السابق ،ص43



اللوحة رقم 19 : صناعة الزجاج عند الفينيقيين

المرجع : معن عرب ، المرجع السابق ، ص102



اللوحة رقم 20 : آنية زجاجية فينيقية محفوظة بمتحف قادس (Cadix)

Musée de Cadix



اللوحة رقم 21 : مجموعة من الخواتم على شكل الجعارين من الذهب والعاج والاحجار الكريمة

المرجع : المتحف الوطني بباردو



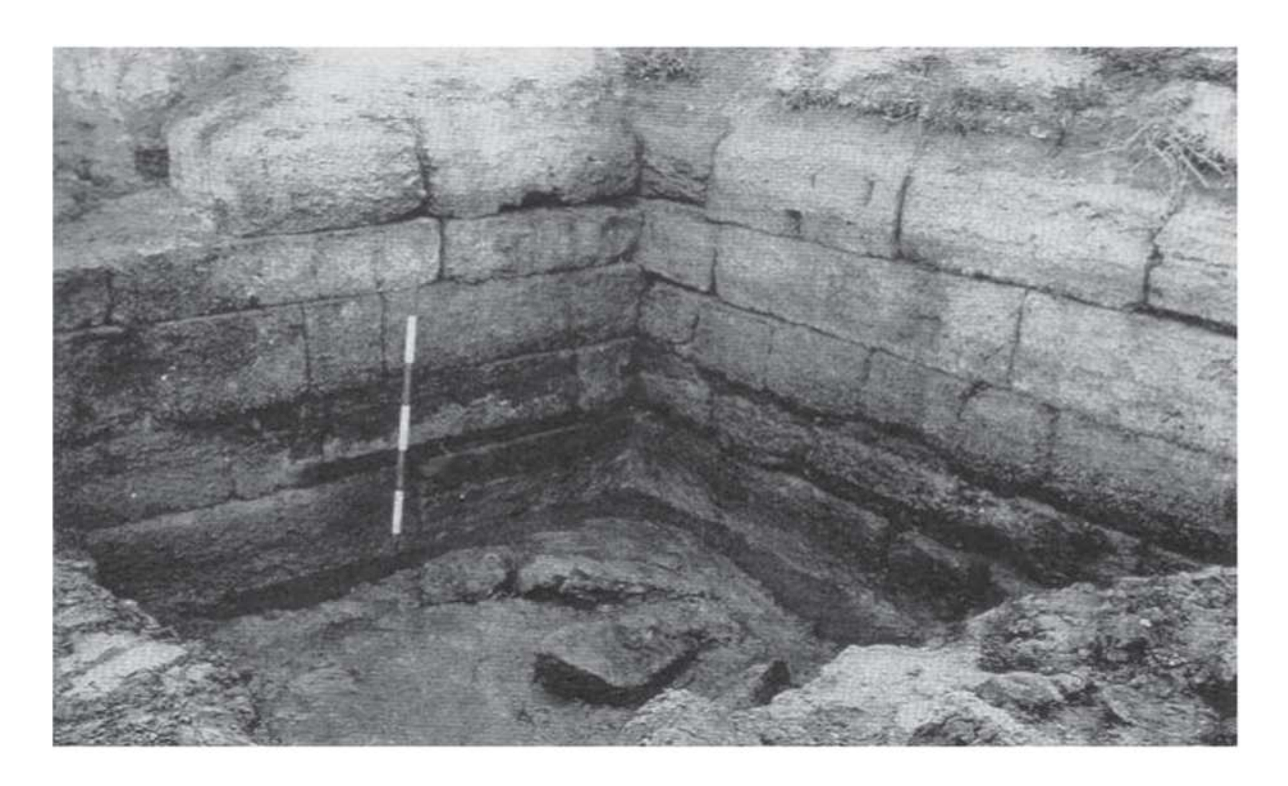
اللوحة رقم 22 : حلي فينيقي من الذهب (متحف باردو)

http://mythologica.fr/phenicien/art01.htm



اللوحة رقم 23 : ضريح الصومعة بالخروب – قسنطينة-

المرجع : العقون العربي، المرجع السابق ، ص278



(أ)



(ب)

اللوحة رقم 24 (أ)- كتون موتي (Motyé) بصقلية

(ب) – كتون المهدية (El-Mahdia) بتونس

Nicolas (C), Op.Cit ,p1091-1165



(أ)



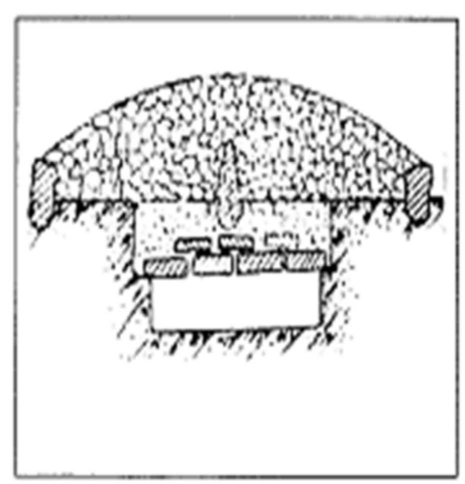
(ب)

اللوحة رقم 25 : جزيرة رشقون (الواجهتين الشمالية و الجنوبية)

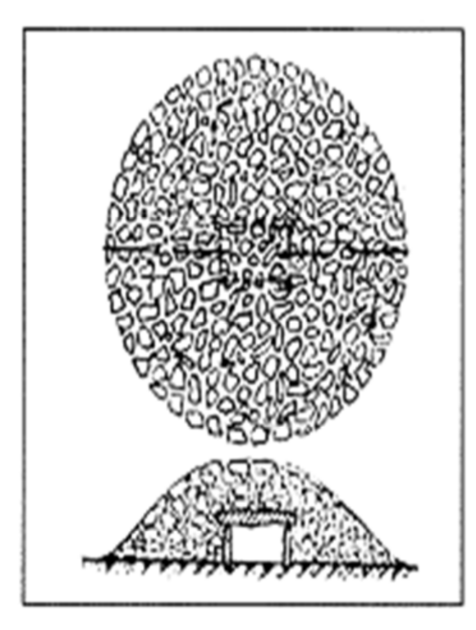
Nicolas (C) ,Op.Cit ,p1238



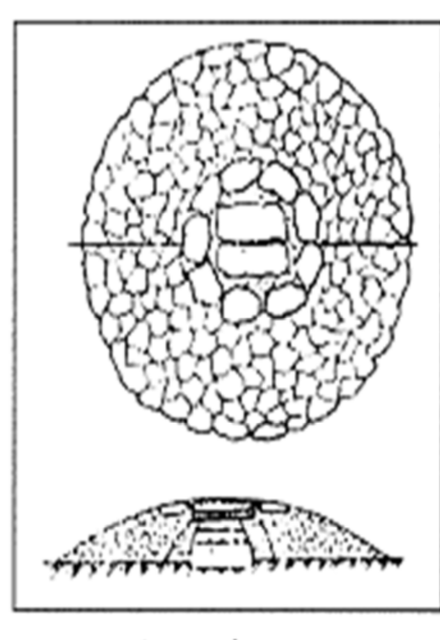
أ- تيملوس عين الصفراء



ب- تيملوس عين الحمارة



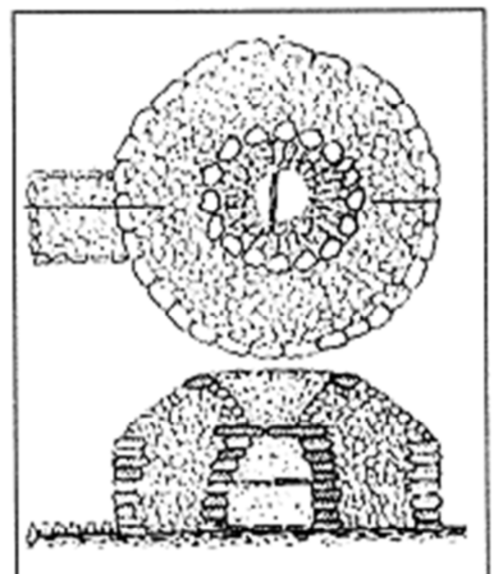
جـ- تيملوس أرفود



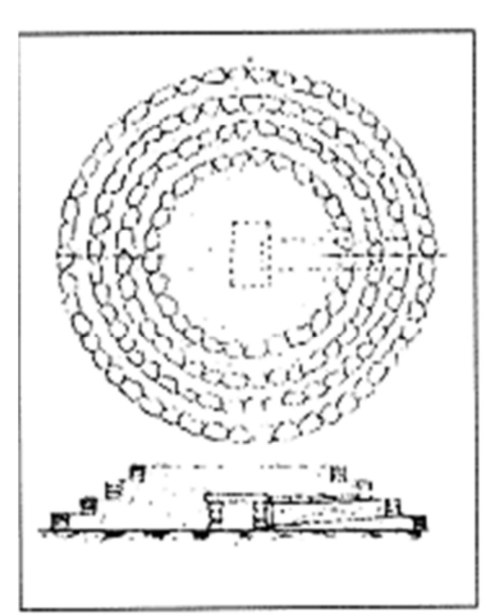
د- تيملوس بوغار

اللوحة رقم 26 : أنواع مختلفة من تيملوس بالجزائر

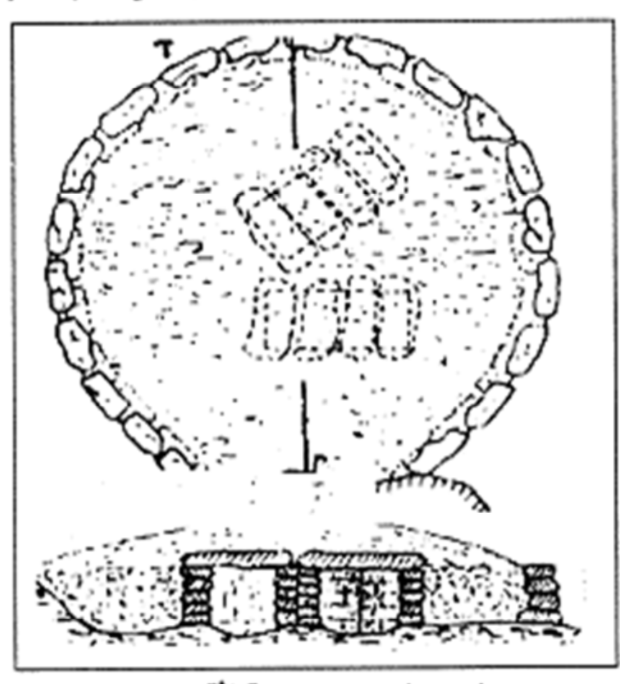
المرجع : غانم محمد صغير وأخرون، المرجع السابق ، ص32



أ- بازيناس مقببة (عين الحمارة)



ب- بازيناس مدرجة (جبل مستيري)



ج- بازيـــناس متـــعددة القبـــور

اللوحة رقم 27 : أنواع مختلفة من بازيناس بالجزائر

المرجع : غانم محمد صغير و أخرون، المرجع السابق ، ص38



اللوحة رقم 28 : معبود بعل الفينيقي

المرجع : سامي بن عبد الله المغلوث ، أطلس تاريخ الأنبياء و الرسل ، ط6، مكتبة العبيكان ، السعودية 2005، ص174



اللوحة رقم 29 : تمثال بعل حمون القرطاجي عثر عليه في بئر بورقبة

المتحف الوطني باردو



اللوحة رقم 30 : رمز معبودة تانيت على نصب نذري في توفة قرطاجة

المتحف الوطني باردو


1


2

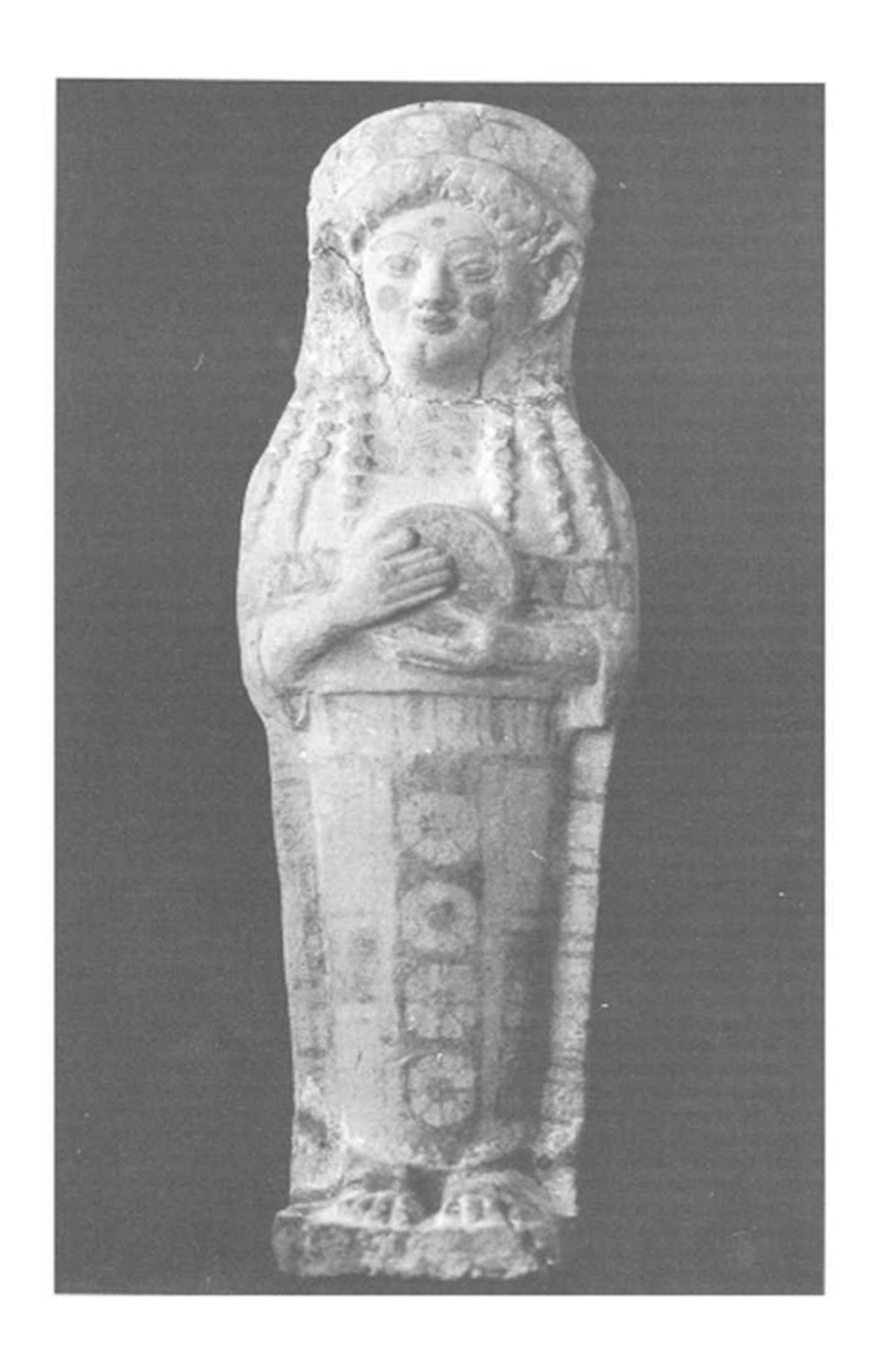
اللوحة رقم 31 : صور للمعبودة تانيت (Tanit) في تونس

Liman(A),Op .Cit,P166



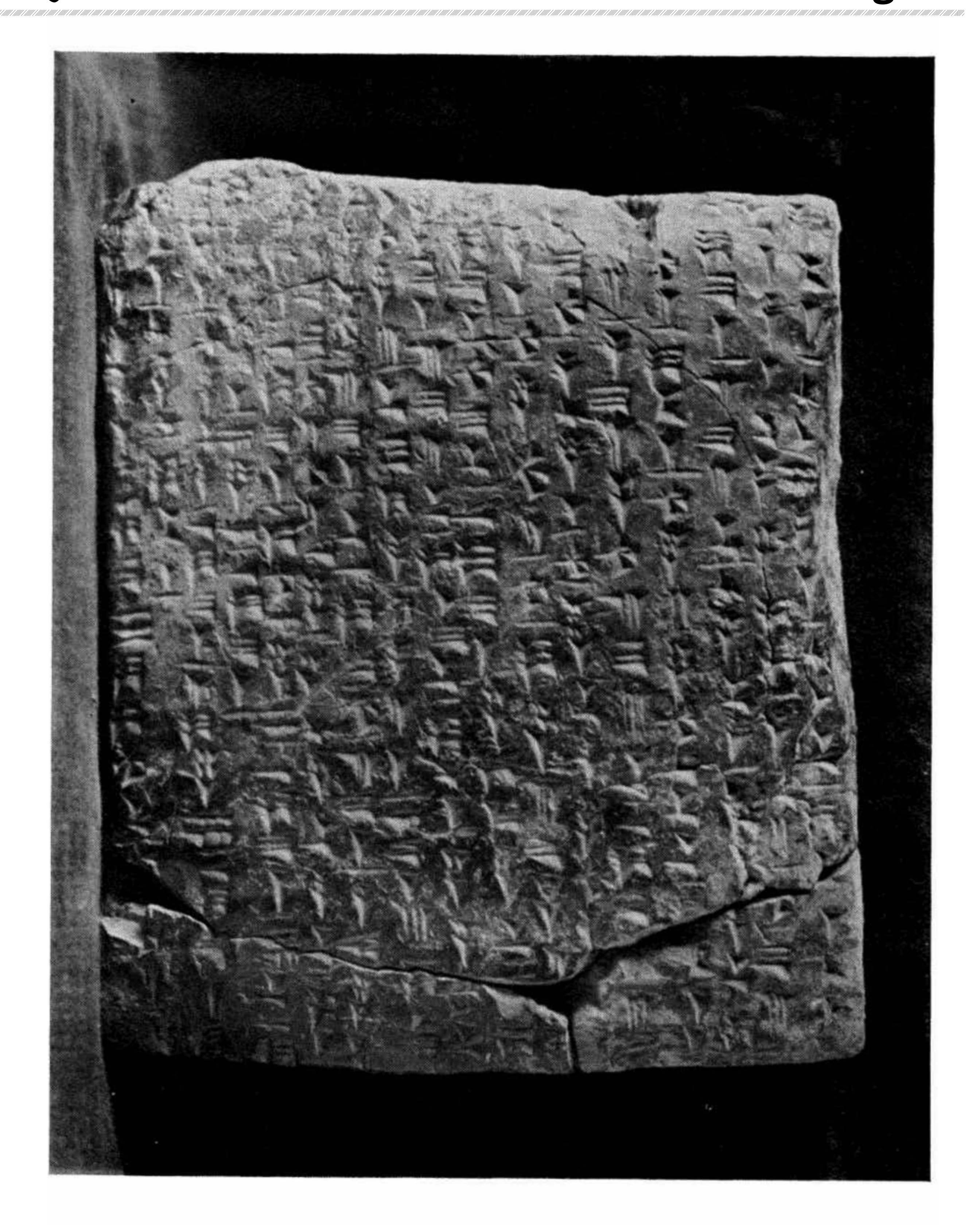
اللوحة رقم 32 : نصب جنائزي عليه معبودة تانيت

Liman(A) ,Op .Cit ,P167



اللوحة رقم 33 : المعبودة عشترت في بلاد المغرب القديم(تونس)

Fantar(M.H), Ashtart, Encyclopédie berbère,V07,1989,p964



اللوحة رقم 34 : الكتابة الأبجدية الفينيقية في رأس شمرا (Ras shamra)

Claude Schaeffer(F.A), The cuneiform texts of Ras Shamra –Ugarit, Published for the British Academy, 1939,P124(plates XVIII).

العربية الحديثة	اللاتينية	اليونانية القديمة	العربية الفينيقية	رأس الشمرة
ء	A	A	𐤀	𐎀
ب	B	B	𐤁	𐎁
ج	C G	Γ	𐤂	𐎂
د	D	Δ	𐤃	𐎄
هـ	E	E	𐤄	𐎅
و	F Y	Y	𐤅	𐎆
ز	...	I	𐤆	𐎇
ح	H	B	𐤇	𐎈
ط	...	⊗	𐤈	𐎉
ي	I	S	𐤉	𐎊
ك	...	K	𐤊	𐎋
ل	L	L Λ	𐤋	𐎍
م	M	M	𐤌	𐎎
ن	N	N	𐤍	𐎐
س	X	Ξ	𐤎	𐎒
ع	O	o	𐤏	𐎓
ف	P	Γ	𐤐	𐎔
ص	...	...	𐤑	𐎕
ق	Q	Ϙ	𐤒	𐎖
ر	R	P	𐤓	𐎗
س ش	S	Σ	𐤔	𐎌
ت	T	T	𐤕	𐎚

اللوحة رقم 35 : أبجديات اللغة واصل اللغات الحديثة

المرجع : داود احمد ، العرب و الساميون والعبرانيون و بنو اسرائيل و اليهود ،ط1،مكتبة الصفدي دمشق،1991،ص55



(أ)



(ب)

اللوحة رقم 36 : (أ) – كتابات ليبية قديمة بمنطقة القصور بالشرق الجزائري

(ب) – كتابات ليبية بمنطقة أولاد نايل بالشرق الجزائر

Hachid (M) ; Strabon, El-idrissi, la Guerba et un libyque …………Op.Cit , pp194-211



(أ)



(ب)

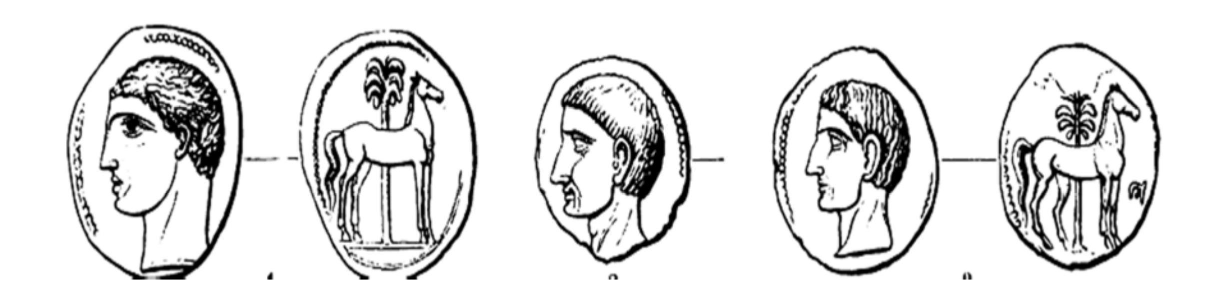
اللوحة رقم 37 : (أ) – نقوش لكتابة ليبية قديمة في منطقة عين الحمام بالقبائل(الجزائر)

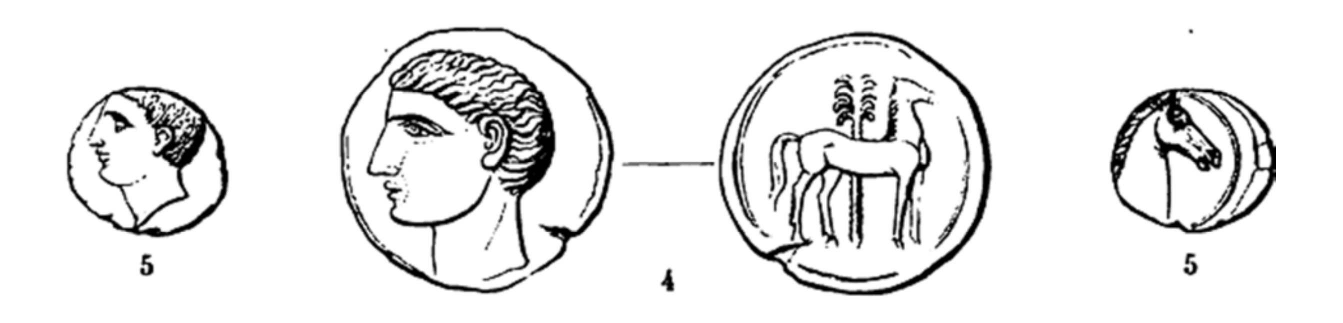
(ب) – نقوش لكتابة ليبية قديمة في منطقة سيدي نعمان بالقبائل(الجزائر)

Chaker(S), Libyque: écriture et langue, ...Op.Cit , p4402

اللوحة رقم 38 : نص دوقة (Dougga) الأثري بتونس

Ghaki(M), Le Libye , R .T.A, ……..Op.Cit , p24





اللوحة رقم 39 : نماذج من نقود ماسينيسا (نوميديا)

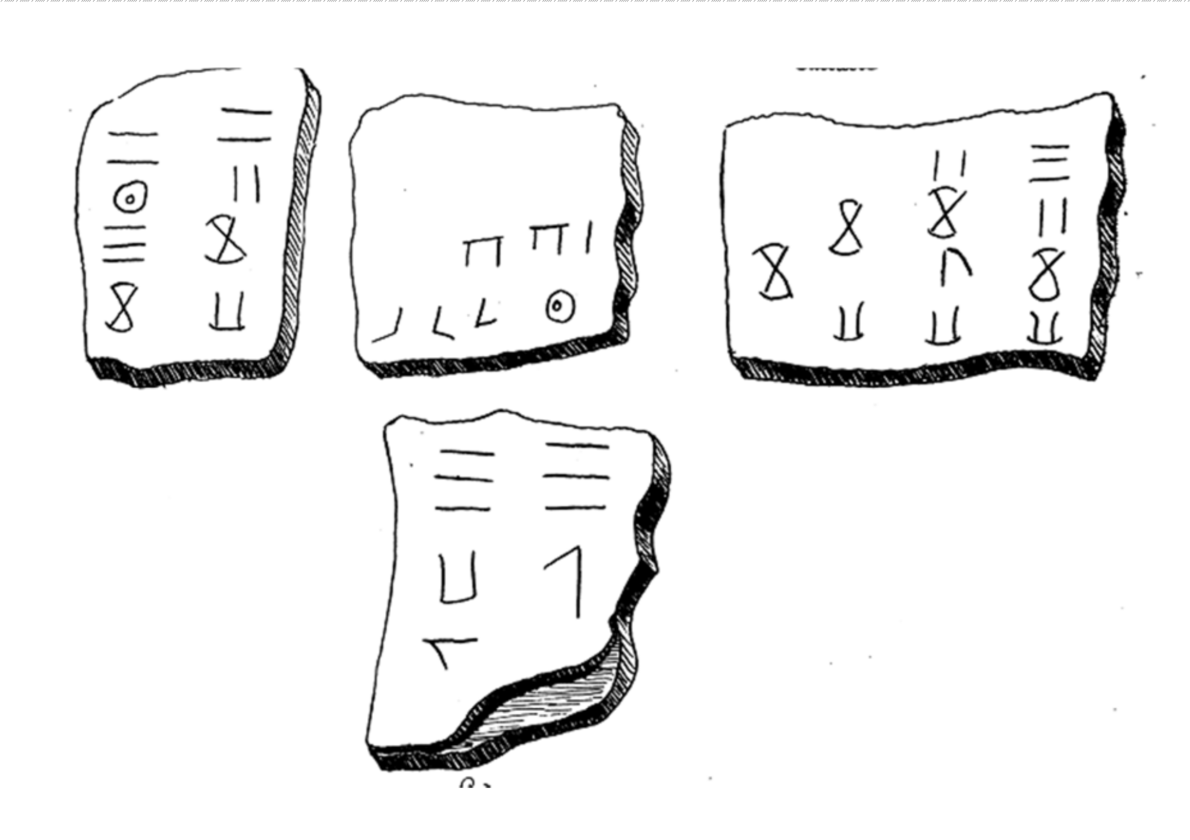
Falbe(C .T),Lindberg(J.Chr),Muller(L),Numismatique de l’Ancienne Afrique ,V03,Imprimerie de Biancoluno ,Copenhague ,1862,p13





اللوحة رقم 40 : نماذج من نقود بوكوس الثاني

Falbe(C .T),Lindberg(J.Chr),Muller(L), Op.Cit , p91



اللوحة رقم 41 : أنواع مختلفة من الكتابة اللوبية و البونية بمدينة سيرتا (Sirta)(قسنطينة)

Guyon, Op.Cit , p09

أولا : المصادر

1- المصادر الدينية

2- المصادر باللغة العربية

3- المصادر باللغة الأجنبية (نصوص أدبية)

ثانيا : المراجع

1- المراجع باللغة العربية

2- المراجع باللغة الأجنبية

ثالثا : المقالات

1- المقالات باللغة العربية

2- المقالات باللغة الأجنبية

رابعا : الرسائل الجامعية

1- باللغة العربية

2- باللغة الأجنبية

خامسا : الموسوعات

1- باللغة العربية

2- باللغة الأجنبية

سادسا : القواميس و الأطالس

1- بالعربية

2- بالأجنبية

سابعا : المؤتمرات و الدراسات الأكاديمية

ثامنا : الوابوغرافيا

أولا:المصادر

1-المصادر الدينية:

* القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع

-الكتاب المقدس (العهد القديم)، ترجمة : بولس باسم ، ط3، دار المشرق ، بيروت ، لبنان،1994

2-سجلات النقوش:

- Saulcy, Mohel (J) ,Longpérier , Waddington (W.H) , Renan (E), Corpus Inscriptionum Semiticarum, Academia inscriptionum litterarum humaniorum, EreipublicaeTypographeo, T01 ,Parisis ,1881

3- المصادر باللغة العربية :

1-يوسيفوس اليهودي ، تاريخ اليهود ، تقديم و ترجمة : الراهب انطونيوس الأنطوني ، ط1 ، دار الطباعة المصرية ، 2006

2- هيرودوت ، يتحدث عن مصر ، تر: محمد صقر خفاجة ، شرح: أحمد بدوي،القاهرة، 1966

3-هيرودوتس، كتاب التاريخ الرابع، نصوص ليبية، ترجمة علي فهمي خشيم، منشورات دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1967

4-المصادر باللغة الأجنبية :

1-Anonyme,le périple de la mer Erythrée, Tardieu :Wilford(H)chaff(A .M) Lougrans, Green ,London, 1912

2-Diodore de Sicile, Bibliothèque Historique, Tra: par Miot, librairie Hachette, Paris,1916

3- Flavius Josephus, life of Josephus, Trad ; Steve (M), Library of congress, Brill, U.S.A, 2001

4-Hérodote,Histoires, Tardieu par Larcher, charpentier, libraire éditeurs, Paris, 1856

5-Justin, Histoire Universelle, Trad, Pierrot et E.Biotard, Panckoucke, Paris, 1853

6-Pline l'Ancien, Histoire Naturelle, Traduire par Ajasson le grand sagne, Edition Panckoucke, Paris, 1829-1833

7-Salluste, Guerre de Jugurtha, éd: François Richard, Garnier, Paris,1933

8-Strabon, Géographie, Tardieu, Amédée-libraire, Paris, 1967
9-Polybe, Histoire romaine,Trad: par Rossel, collections pléiade, Paris, 1970
10- Thucydide, la guerre de Péloponnèse, Trad: Nouvelle et introduction par Jean Voilguin librairie Garnier, frères,s.d
11-Veleuis(P), Histoire Romaine, Garnier, édition Hachette, Paris,1894

ثانيا :المراجع:

1-المرجع باللغة العربية:

1-أبو محاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم "من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر "، ط1، دار النهضة العربية بيروت ، 1984

2- ------: المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، بيروت،1981

3-أبوعيانة محمد فهمي ، دراسات في جغرافية شبه جزيرة العرب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994

4- أديب سمير، تاريخ وحضارة مصر القديمة، مكتبة الإسكندرية، 1997

5- أحمد صفر، مدينة المغرب العربي في التاريخ، ج1، الدار التونسية للنشر والتوزيع بوسلامة، تونس، 1959

6-آل ناصر علي شداد ، الذخيرة انساب قبائل الجزيرة ، طبعة مزيدة ومنقحة ، ب ط ، 2012

7- ألبير أبونا، الآراميون في التاريخ،ط1، دار المشرق الثقافية، دهوك، العراق، 2010

8-أمهز محمود، في تاريخ الشرق الأدنى القديم،ط1، دار النهضة العربية، بيروت،لبنان، 2009

9- أنيس فريحة، ملاحم وأساطير من رأس الشمرا، دار النهار للنشر، بيروت، 1980

10-أعشي مصطفى، أحاديث هيرودوت (489/487-425 قبل الميلاد) عن الليبيين (الامازيغ) ، منشورات المعهد الملكي للثقافة الامازيغية، المملكة المغربية، 2008

11- إدنا مجوير، الماضي يبعث حيا، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد، المراجعة علي أوهم، مكتبة النهضة المصرية،د. ت.

12- إ.ش.شيفمان، الساميون في العصور القديمة، ترجمة حسان ميخائيل،ط1، دار الأبجدية، دمشق، 1988.

13-باك (س) ، القدرة البحرية في البحر المتوسط، ترجمة : بسام العسلي، دار الشورى، بيروت، لبنان، 1981

14- بازمة مصطفى ، تاريخ ليبيا في عصور ما قبل التاريخ، ج1، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي 1973

15- بشور أمل ميخائيل، تاريخ الإمبراطوريات السامية في بابل و أشور، المؤسسة الحديثة للكتاب،طرابلسلبنان،2008.

16- برنهردت كارلهاينز، لبنان القديم، ترجمة، ميشيل كليو، ط1، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق،1998

17- برو توفيق، تاريخ العرب القديم، ط2، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1996

18- بورينة الشاذلي، محمد طاهر، قرطاج البونية، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1999

19- بوزياني الدراجي، ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، 2010

20- جان مازيل، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ترجمة : ربا الخش، تقديم ومراجعة عبد الله الحلو، ط1، سوريا، 1998

21- جواد علي، المفصل في تاريخ قبل الإسلام، ج3، ط4، دار الساقي، بيروت،2001

22- جورج كونتينو، الحضارة الفينيقية، ترجمة عبد الهادي شعيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1997.

23- جوليان شارل أندري، تاريخ شمال إفريقيا (تونس-الجزائر -المغرب الأقصى)منذ البدء حتى الفتح الإسلامي، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة،ط3، السداد التونسية للنشر، تونس،1978.

24- جون كلود مارغرون، السكان القدامى لبلاد ما بين النهرين وسوريا الشمالية، ترجمة سالم سليمان العيسى، ط2 دار علاء الدين للنشر والتوزيع، سوريا، 2006

16- جيمس هنري بريستد، العصور القديمة، ترجمة داود قربان، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، لبنان، 1983.

25- جيروم كركوبينو، المغرب العتيق، ترجمة محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط ،2008 .

26- جربي فيصل علي سعد، الفينيقيون في ليبيا من " 1100ق.م حتى القرن 2ميلادي "، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع الإعلان، ليبيا، 1996.

27- داوود أحمد ، تاريخ سوريا القديم ، الكتاب 01، الطبعة الثالثة، منشورات دار الصفدي، دمشق، 2003

28- داود احمد، العرب والساميون والعبرانيون وبنو اسرائيل واليهود ،ط1،مكتبة الصفدي، دمشق،1991.

29–دونالد ريدفور، إخناتون ذلك الفرعون المارق، ترجمة بيومي قنديل، دار الوفاء الدين للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1999–2000 .

30– هيا علي جاسم آل ثاني، الخليج العربي في عصور ما قبل التاريخ، "صلات دلمون بأموروالأموريين (2050–1530 ق.م)، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، مصر، 1996 .

31– هارون هاشم رشد، قصة مدينة غزة، منظمة اليونسكو، دائرة الثقافة، فلسطين، ب، ت.

32– ويل ديورانت، قصة الحضارة،ج2، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع (د،ت)

33– الزوكة محمد خميس، جغرافية حوض البحر الأحمر، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع الإسكندرية، 2003 .

34– زايد عبد الحميد، الشرق الخالد،دار النهضة العربية، القاهرة،1966 .

35– الحلو عبد الله، سوريا القديمة، الكتاب الأول،ط1،ألف باء الأديب، دمشق، 2004 .

36– حاطوم نورالدين وآخرون ، موجز تاريخ الحضارات " حضارات العصور القديمة "، ج1 ، مطبعة الكمال1965.

36– حارش محمد الهادي، التاريخ المغاربي القديم، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1985.

37– حافظ صلاح الدين، صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت، 1982 للنشر والتوزيع،ليبيا، 1996.

38– حسين مسعود أبو مدينة، الموانئ الليبية "دراسة في الجغرافيا الاقتصادية"،ط2،منشورات جامعة السابع اكتوبر،ليبيا، 2008.

39– حسين عبد الله، تاريخ ما قبل التاريخ، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، مصر 2012

40– سعد الله، من أسرار الفراعنة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2007.

41– حتي فيليب، تاريخ سوريا و لبنان و فلسطين ، ترجمة : جورج حداد و عبد الكريم رافق ، ج1، دار الثقافة، بيروت لبنان،1985.

42– حتي فيليب، العرب " تاريخ موجز "، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1991.

43– طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1 ، " تاريخ العراق القديم "، ط2 ، مطبعة بغداد، 1955.

44– طه باقر، بابل وبورسبا، ط1، مطبعة الحكومة العراقية، مديرية الأثار العامة، بغداد، العراق، 1959.

45– ياقوت عبد الله الحموي، معجم البلدان، ج4، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت،1990.

46-يولي بركوفيتش تسيركين، الحضارة الفينيقية في اسبانيا، ترجمة يوسف أبي فاضل، بيروت، لبنان، 1987.

47- لبيب عبد الساتر، الحضارات، ط11، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1986.

48- ليف غوميلوف، في دوامة التاريخ "النهاية والبداية وبحوث في نشوء الحضارات وانهيارها" ترجمة: نواف القنطار، ط2،دار علاء الدين للنشر والتوزيع ،دمشق، سوريا، 2008

49- لطفي عبد الوهاب يحيى، مقدمة في نظم الحكم عند اليونان والرومان "دراسة في حوض البحر المتوسط"، ط2، مطبعة دار النشر للثقافة، الإسكندرية، 1985.

50- مجموعة من المؤلفين، دور سوريا في بناء الحضارة الإنسانية عبر التاريخ القديم، ترجمة سعد صائب، ط1، طلاس للدراسات والترجمة والنشر دمشق، سوريا، 1994.

51- مادون محمد علي، تفاعلات حضارية على الطريق الحرير "تدمر"، ب ط، دمشق، 1995.

52- مادلين هورس ميادان، قرطاج، ترجمة : إبراهيم بالش، منشورات عويدات، بيروت، 1981.

53- -------- ، مصر والشرق الأدنى القديم " المغرب القديم "، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990.

54- -------- ، مصر والشرق الأدنى القديم " بلاد الشام "، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990

55- ------- ، المدن الفينيقية " تاريخ لبنان القديم "، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،1994 .

56- مهران محمد بيومي، المدن الكبرى " مصر والشرق الأدنى القديم " ، دار المعرفة الجامعية، ج2 الإسكندرية، مصر، 1999.

57- موسكاتي سباتينو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة يعقوب بكر، دار الشرقي، بيروت، لبنان،1986.

58- مورتيكات أنطوان، تاريخ الشرق الأدنى القديم، تعريب توفيق سليمان وعلي أبو عساف وقاسم طوير، د. ت

59- محمد علي سعد اللّه، في تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر، سورية القديمة، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2001.

60- محمد حسن، تاريخ العمارة (في عصور ما قبل التاريخ)، قسم العمارة وعلوم البناء، جامعة الملك سعود، د. ت

61- محمد عبد اللطيف محمد علي، سجلات ماري وما تلقيه من أضواء التاريخ السياسي للمملكة (حوالي 1820-1760 ق.م)، ب ط، جامعة الإسكندرية، 1985.

62- مفتاح محمد سعد، الصراع القرطاجي الإغريقي من القرن السادس ق.م الى منتصف القرن الثالث ق.م و اثره على الحياة السياسية،الاقتصادية، والاجتماعية،والدينية في قرطاجة، مجلس الثقافة العام، بنغازي، ليبيا،2008.

63- الميار عبد الحفيظ، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية البونية في إقليم المدن الثلاث في ليبيا، منشورات جامعة الفاتح ، طرابلس، ليبيا، 2005.

64- الملاح عبد الإله، تاريخ هيرودوت، مراجعة، محمد اسقاف وحمد بن صاري، المجمع الثقافي، أبو ظبي،الإمارات،2001.

65- معن عرب، صور حاضرة فينيقيا، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1970.

66- ملاك محارب، دليل العهد القديم، مكتب النسر للطباعة، أبناء الأنبا رويس، الإسكندرية، 1997.

67-المرعي توفيق، قصة مدينة أريحا، "سلسلة المدن الفلسطينية (1)"، دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، ب ت.

68- مرشد اليوسف، دموزي (طاووسي ملك) بحث في ديانة الكردية القديمة، ط1، ب.ط ، 1999

69- الناضوري رشيد ، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري و السياسي في جنوب غرب أسيا وشمال إفريقيا " الكتاب الثالث " المدخل في تطور التاريخي للفكر الديني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1976.

70- نجيب ميخائيل، مصر وسورية في العصور القديمة، مطبعة جامعة الاسكندرية، 1958.

71- نخلة المدَور جميل أفندي، تاريخ بابل وأشور، صححه (إبراهيم اليازجي)، طبع بيروت، 1879

72- س.باك، القدرة البحرية في البحر الأبيض المتوسط، ترجمة بسام العسلي، دار الشورى، بيروت، لبنان، 1981.

73- سحنوني محمد، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

74- سيغموند فرويد، الطوطم والحرام ، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت . 1997

75- سلطان محيسن، دمشق من مستوطنة إلى مملكة، دمشق عاصمة الثقافة العربية، جامعة دمشق، 2008.

76- سلطان محسين، بلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ "الصيادون الأوائل"، ط1، الأبجدية للنشر، دمشق، سوريا، 1989.

77- سليم أحمد أمين، العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعرفة الجامعية، مصر، د. ت.

78- سعد الله فوزي ، يهود الجزائر (هؤلاء المجهولون) ، ج01، دار القرطبة، د.ت

79- سركيس خليل، تاريخ القدس المعروف بتاريخ أورشليم، ط$_1$، مكتبة الثقافة الدينية، الإسكندرية، 2001.

80- عبده علي رمضان، تاريخ الشرق الادنى القديم وحضارته " منذ فجر التاريخ حتى مجيء حملة الاسكندر الأكبر "، ج2، "الأناضول – بلاد الشام "، ط1،دار النهضة للشروق، مصر، 2002.

81- عبد اللطيف أحمد علي، محاضرات في تاريخ الشرقي الأدنى القديم، مكتبة بريدية بيروت، لبنان 1971.

82- عدنان البني، خالد الأسعد، تدمر اثريا وسياحيا، ط2 ، مطبعة سوريا، د.ت.

83- عمر السكندري، تاريخ سوريا، مطبعة بيروت الأدبية، 1981 .

84- الفرجاوي أحمد، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي و قرطاجة ، ط1، المعهد الوطني للتراث، تونس، 1993.

85- فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، دار علاء الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ،1993.

86-فراس السواح، لغز عشتار، الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، ط1، دارعلاء الدين، دمشق،1985.

87- فراس السواح، مدخل إلى نصوص الشرق القديم، ط$_1$، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، سوريا، 2006

88- فرزات محمد حرب، مرعي عبد، دول وحضارات في الشرق العربي القديم، ط2، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1994

89- فرنسيس أور، حضارات العصر الحجري القديم، تعريب: سلطان محيسن، ط2، مطابع ألف-باء (الأديب)، مكتبة الإسكندرية، دمشق، 1995

90- صالح البرغوتي، خليل طوطح، تاريخ فلسطين، ب ط، مكتبة الثقافة الدينية، ب ت

91- صالح عبد العزيز، مصر القديمة وأثارها "الاتجاهات الحضارية العامة حتى أواخر الألف الثالثة ق.م، مكتبة الأنجلو-المصرية، المنشورات العربية، 1972.

92- قابريالكامبس، في أصول البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، تعريب وتحقيق العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر 2009

93- رحماني بلقاسم، حضارة العرب القديمة " الحضارة اليمنية نموذجا "، الكتاب الأول ، مطبعة بغيجة، قسنطينة، الجزائر، 2009.

94- رحماني بلقاسم، حرفوش مدني، الدور المصري في جنوب شبه الجزيرة العربية والشرق الإفريقي، مراجعة الناضوري سيد أحمد علي، مكتبة زهراء للشرق، القاهرة، 2007.

95- شارل سنيوبوس، تاريخ الحضارات العالم، تعريب محمد كرد علي، مطبعة الطاهر، القاهرة، 1908.

96- شافية شارن، حضارة مصر القرعونية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.

97- شوقي شعث، فلسطين أرض الحضارات، ط1، الأوائل للنشر والتوزيع دمشق، سوريا، 2000.

98- الشيخ حسن،اليونان " دراسة في الحضارات القديمة " ، ج1 ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2001.

99- الخوري منير، صيدا عبر الحقب التاريخ، المكتب التجاري ، بيروت، 1966.

100- خزعل الماجدي ، المعتقدات الكنعانية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن،2001

101- -------- ، بخور الآلهة (دراسة في الطب والسحر والأسطورة و الدين) ، ط1، منشورات الأهلية لبنان،1998.

102- الخطيب محمد،الحضارة الفينيقية، ط2، دار علاء الدين للنشر ،دمشق،سوريا، 2007 .

103- خير الله شوقي، قرطاجة العروبة الأولى في المغرب،دار الدراسات العلمية والمركز العلمي،1994

104- خيرنمر ياسين، جنوبي بلاد الشام تاريخيه وأثاره في العصور البرونزية، منشورات لجنة تاريخ الأردن، الأردن، 1991.

105- غانم محمد صغير، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،1975.

106- -------، معالم التواجد الفينيقي – البوني في الجزائر ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003.

107- --------- ، الملامح الباكرة للفكر الديني في شمال إفريقيا، دار الهدى، عين مليلة،2005

108-غانم محمد صغير وأخرون،المعالم الحضارية في الشرق الجزائري "فترة فجر التاريخ "، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين مليلة،الجزائر، 2006 .

109- غالب محمد سيد، الساحل الفينيقي وظهيره ، ط1 ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،1997

110- الغول علي فايز ، الجذور التاريخية والمعمارية التي أثرت على التشكيل الفني للحروف العربية منذ نشأتها حتى الآن، منشورات عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، عمان، 2005.

111- غلاب محمد السيد، يسرى الجوهري، الجغرافية التاريخية " عصر ما قبل التاريخ وفجره "، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، مصر، 1997

2-المراجع باللغة الأجنبية :

1-A .du sein, Histoire de la marine de tous les peuples, libraire de firmin didot frères, Paris, 1863.
2-Alexandre(M), Histoire de l'orient "T1", préhistoire IV et III millénaires (Égypte-Élam – Sumer – Akkad – Babylone), presses universitaires de France ,Paris ,1941.
3-Anquetil, Précis de l'histoire universelle ou tableau historique, T1, imprimerie de les quilliezFrères،Paris, s.d
4-Basset (A) ;la langue berbère,oxford université presse, Londres,1929.
5-Basset (h) ; Essai sur la littérature des Berbères, imprimeur-libraire-éditeur, Alger 1920.
6-Boreux(Ch),Etude de nautique égyptienne l'art de la navigation en Egypte Jusqu'à la fin de l'Ancien Empire, le Caire, 1929.
7-Boulous(J) ,les peuples et les civilisation du proche orient , T1, mouton et Go.s-Gravenhage, Paris ,1961.
8-Buccellati(G),The Amorites of the UR III period, institutor oriental de Napoli,Naples,1966
9-Camps(G),Aux origines de la bérbérie, Monuments et rites funéraires protohistoriques,Paris ,1961.
10- Carcopino(J),Le Maroc Antique éd:Gallimard, Paris,1943.
11-Decret(F), Carthage ou l'empire de la mer, éd: Du seuil, 1977.
12-Dubeux (I) ,Le perse "l'univers ou l'histoire et description de tous les peuples de Leurs religions ,Mœurs ,Coutumes ...etc.), Firmin Didot frères libraires ,Paris ,1848
13-Ernest(R),Mission de Phénicie, imprimerie impériale ,Michel Lévy Frères Libraires éditeurs,Paris ,1864
14- Eugène (S),Histoire de la marine militaire de tous les peuples "Depuis l'Antiquité jusqu'à nos jours,H.L .Delloye Editeur, Paris, 1839

15- Fantar(M.H) ,Carthage approche d'une civilisation ,édition Alif,Tunis,1993
16-Février(J.G), Histoire de l'écriture « écriture libyque et Ibérique », Payot, Paris, 1959.
17-Forster(M), Histoire des découvertes et des voyages faits dans le nord, T01, chez Cuchet libraire, Paris, 1788.
18-Gaudio(A), Les empires de la mer, Edition René Julliard, Paris, 1962
19-Gerhard(H),the Phoenicians "the purple empire of the ancient word " 2éd,illus Tree Harper Collins Publishers,university du Michigan,1975.
20-Gsell(S), Histoire Ancien de l'Afrique du nord, t8, libraire hachette, Paris, 1927.
21-Gsell(S), Les Monuments Antiques de l'Algérie, T1, Ancienne librairie des écoles Française d'Athènes et de Rome, Paris, 1901.
22-Guyon, Inscriptions puniques et libyques,"dans la province de Constantine, imprimerie du gouvernement", Alger, 1854.
23- Hachid (M) ; les premiers berbères, Entre méditerranée, Tassili et Nil, Inas-yas, Alger,2000- 2001
24- Halévy(J), Mélanges de critique et d'histoire relatif aux peuples sémitique ,éditeur Maisonneuve et Cie, Paris, 1883.
25-Harden(D), The Phoenicians, Thames and Hudson, London, 1963
26-Healy (M),Qadach 1300D.C " clash of the warrior kings " ,edition illus treeOsprey publishing , U.S.A, 1927
27- Hédi (D), Carthage et le monde punique, Edition les Belles lettres, Paris, 2006
28- Hoefer(M.F), L'universChaldée,Assyrie ,Médie, Babylonie, Mésopotamie, Phénicie,Polmyréne, Firmin Didot frères éditeurs imprimerie librairie de l'Institut de France, Paris, 1852.
29- Huet (M)., Histoire du commerce et de la navigations des anciens, libraire imprimeur, paris,1716
30- Juan (M.A),Rosario(C),Escultura romana en hispania,VI,Homenaje Eva Kappel Murcia,2010,p1

31-Kramer (S .N), Sumerian Mythology (As study of spiritual and literary Achievement in the third millennium) « B.C », forgotten Books, 2007

32-Langier(T), Histoire du royaume d'Alger, Amsterdam, 1724

33- Lenormand (F), Histoire des peuples orientaux, éditeur librairie A. Lévy, Paris, 1884.

34- Léon(L), Les Aventures du Capitaine Magon ou une exploration phénicienne 4éd, Librairie, Paris, 1904.

35- l'évêque (P) ; les premiers civilisations," des despotismes orient aux à la grecque, tome 01, France, 1987

36-Lipinski ; Dieux et déesses de l'univers phéniciens et punique, Leuven,Peeters, Paris, 1995 .

37-L'hote(H), Vers d'Autres Tassili, Nouvelles découvertes au Sahara, éd: Arthaud, Paris, 1976.

38- Luce(S.B), Navy(U.S), Bury(S),Text – Book of seamanship ,The equipping and handling of vessels ,Van nostrand company ,New York 1891

39-Maitland(E),les premiers marchands des mers, édition Time-life international, Paris,1979

40-Marriner(N) : Paléo-environnements littoraux du Liban l'Holocène géo archéologie des ports antiques de Beyrouth, Sidon et Tyr 5000 ans d'interactions nature culture, V2, UniversitéAix- Marseille I, 2007 .

41-Meirat (J) , Marine antique en méditerranée résurrection du passe ,Fayard,Paris, 1964

42-Mebarek (S.T), L'alphabet latin serait – il d'origine Berbère, Edition l'harmattan, Paris, 2004

43-Mignard(M.P), Histoire Générale de la Tunisie (depuis l'an 1590 A.C), librairieEtChallementsiné, Paris, 1883.

44-Molinie(A.M), Hiram ou la parole perdue, édition publibook, paris, 2011

46- Moscati(S), The world of the Phoenicians, l'university de California Praeger , 1968

45- Moscati(S), Les Phéniciens, Editeurbel bord, Paris, 1989.

47- Nicolas (G), Histoire de l' Egypte, Fayard, France, 1942

48-Nicolas(P), La Civilisation égéenne "Du néolithique au bronze récent ", édition Albin Michel, Paris, 1981
49-Olivier (M.G), Recherche sur l'origine des berbères, Bône Imprimerie dagand 1867.
50-Raymond (W), La Phénicie et L'Asie occidental, Edition Armand Colin , Paris, 1992.
51-Rochette (P), mémoires d'archéologie comparée (Asiatique, Grecque, Etrusque), imprimerie nationale, Paris, 1848.
52- Rougé(J),La Marine Antique, P.U.F,Paris ,1975.
53- Sébastien(R), Histoire des bateaux et des marins, éditions Jean-Paul, Gesseret, Paris, 2000
54- Wallis (B. E.A) :Babylonian like and history, 2 ,Réimprimé, Kessinger, Publishing,2003
55- Xavier(A), Du commerce maritime de son influence sur la richesse et la force Des États, démontrée par l'histoire, T 01, Baudouin, Imprimeur I.N.S.A, Paris, s.d

ثالثا :المقالات :

1-المقالات باللغة العربية :

1- بيل كراوس، سفينة نوح ومرساها الأخير، ترجمة حسين ناصر، مجلة تراث النجف، العدد 01، 2008. صص124-132
2- الجبوري محمود شكر محمود، من هم الأوائل في معرفة حروف الهجاء ، الحوار المتمدن،العدد 52، أكتوبر، 2011، نسخة الكترونية.
3- درويش مهاب، الأثاث في مصر القديمة "صفحة مصريات"، مكتبة الإسكندرية، ب ت. صص2-52
4- هيكل احمد الشحات ، يهود المغرب (تاريخهم وعلاقاتهم بالحركة الصهيونية)، مجلة سلسلة الدراسات الدينية و التاريخية، العدد 35، مطبعة العمرانية ، جامعة القاهرة، 2007 ، صص7-185
5- الهاشمي رضا جواد، الملاحة النهرية في بلاد وادي النهرين، مجلة سومر، ج5، كلية الآداب، مديرية الآثار العامة، العراق، د.ت

6- وارمنجتون(ب-هـ)،الهجرات السامية إلى ليبيا وشمال إفريقيا ، تاريخ إفريقيا العام،إصدار اليونسكو مطبعة الكاثوليكية، لبنان، 1984.

7- الحبيب بن يونس، ملامح عن المصوغ البوني، تونس أعلام ومعالم، المعهد الوطني للتراث، تونس ، 1997. صص98-101

8- محمد حسين فنطر، مدينة سوسة قبل الغزو الروماني، مجلة الدراسات الفينيقية والبونية والآثار اللوبية العدد 01، المعهد القومي للآثار والفنون،تونس، 1985.

9- ---------- ، اكتشاف حنون لعالم جديد، تونس اعلام ومعالم، المعهد الوطني للتراث، تونس، 1997. صص46-49.

10----------،اللوبيون وحدة أم شتات قبائل وشعوب مختلفة،مجلة الدراسات الفينيقية البونيةوالآثار اللوبية،العدد 12،المعهد الوطني للثرات،تونس،2002، صص43-60.

11- مطلق منشد، اللغة والكتابة الليبية،مجلة جامعة عمر المختار، العدد 09، ت.ب ، صص01-17

12-منتصر عبيد عبادي، أنواع الأخشاب ، مجلة الحضارة المصرية (مجلة صفحة مانيتون السمنودي) العدد السابع، مصر، ت.ب . صص64-68.

13- م.م شيماء عبد الباقي محمود، صناعة السفن الحربية في مدن البحر المتوسط وكيفية تطورها عند المسلمين خلال القرن الأوّل الهجري السابع الميلادي، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد 7، العدد3، قسم التاريخ جامعة تكريت، العراق، 2012.

14- عيسى محمد علي، الليبيون القدماء من خلال المصادر الأثرية والتاريخية القديمة، جامعة الفاتح،ليبيا، نسخة الكترونية.

15- العقون العربي، الملاحة والتجارة بين الشرق والغرب في القديم " أهمية البحر الأحمر "، العدد 2648، "الحوار المتمدن " ، دراسات و أبحاث في التاريخ و التراث واللغات ،www.oheubr.org

16- الصفدي هشام، شواهد من حضارات عالم البحر المتوسط، مجلة الأصالة، العدد 52، مطبعة البحث، قسنطينة، الجزائر، 1977. صص31-46

17- خليل المقداد، قرطاج العاصمة السورية في إفريقيا الفينيقية،مجلة الباحثون، العدد 54، 2011، نسخة الكترونية.

18- الخثعمي سفر سعد محمد، منطقة عسير في عصور ما قبل التاريخ "، دراسة حضارية في ضوء المخلفات الأثرية، مجلة جامعة الملك آل سعود، م21، السياحة والآثار، الرياض، السعودية، 2009 .

19- غانم محمد صغير، نظرة في العلاقات الحضارية الفينيقية الليبية القديمة من خلال المصادر المادية مجلة سيرتا، العدد 10، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة ،1988. صص49-56.

20- ----------، الملامح الباكرة لنشأة الزراعة وتطورها في بلاد المغرب القديم، مجلة العلوم الإنسانية،العدد17، جامعة منتوري، قسنطينة، جوان 2009.

21------------، العرب "امة قائمة منذ سبعة ألاف ق.م "، مجلة الدراسات عالم اليوم، العدد 1423، 2011 .

22-غطيس مصطفى، ساحل المغرب المتوسط خلال العصر القديم، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 15، جامعة عبد الملك سعدي، تيطوان،2009.

23- غطيس مصطفى، المغاربة والبحر خلال العصور القديمة، ص3 نسخة الكترونية www.amrh.ma

24-الظفيري احمد بن محارب ، الجزيرة العربية مستودع القيم والشيم ومهد الحضارة الإنسانية ، مجلة الدراسات العالم اليوم ، العدد 1493، 2001.

2-المقالات باللغة الأجنبية:

1-Barkaoui (A), A propos d'un navire en terre cuite exposé au musée de Sousse (Tunisie), Reppal XIII, Institut National de patrimoine, Tunis, 2004,pp35-44

2-Bartoloni(P) ,Carthage et le contrôle des mers " les phéniciens en Algérie les vois du commerce Entre la méditerranée et l'Afrique noire,"ministre de la culture Algérie,2011.

3- Basset(H), Les influences punique chez les berbères, R. Afr, V62, Alger, 1921.pp334-340

4- Boustani(M .H) ; Le néolithique du Liban dans le contexte proche – orientale état de connaissace, Annales d'histoire et d'archéologie, V 12-13, Université Saint- Joseph, Beyrouth, 2001-2002.pp01-39

5- Bunneus(G), Considérations géographiques sur la place occupé par la Phénicie dans l'expansion de l'empire assyrien, Studia phoenicia,I-II,1983,pp169-193

6- Camps(G), Recherche sur l'Antiquité de la céramique modelée et peinte en afrique du nord,Libyca, T3, Alger,1955 .345-395

7- Camps (G) ; Aux origines de la berbérie : Massinissa ou les débuts de l'histoire, imprimerie officielle,Libyca,TVIII, Alger,1960.

8- Camps(G), Dougga, Encyclopédie Berbère ,XVI, 1995.pp2522-2527

9- Chaker(S), Libyque : écriture etlangue, Encyclopédie berbère, 2014, pp4398-4409

10- Charles(V), La question du site de Troie, L'Antiquité classique, Tome3, 1934.pp469-488

11- Cintas(P), Fouilles puniques à Tipasa, R.Af, V,92, Alger, 1948.pp263-330

12- Fantar(M.H) ,Ashtart,Encyclopédie berbère, V, 07, 1989.pp962-968

13- ----------- ,Kerkouane, Encyclopédie berbère , V,27, 2005.pp4166-4175

14------------, La Vigne et la Vin à l'époque carthaginoise ,Reppal X,Institut National de patrimoine ,Tunis,1997.pp39-52

15- -----------, Baal Hamon, Reppal,V, Institut national d'archéologie et d'Art, Tunis, 1990.pp67-106

16- Galand(L), L'Alphabet libyque de Dougga, R.O.M.M,N13-14, 1973.pp361-368.

17-Ghaki(M), Le Libye, R.T.A, N 01, Tunisie, 2013.pp09-28 .

18- Liman(A), Le génie de la fertilité dérivé du signe dit de Tanit:Filiation iconographique et symbolisme, Reppal, XIII, Institut National de patrimoine Tunis, 2004.pp149-174

19-Lacau(P), l'inscription phénicienne de chypre, IFAO, 02,Le Caire , 1902.pp295-321.

20- Radissi(T), Etude des scarabées et scaraboides de kerkouane, Reppal IX,Institut National de patrimoine Tunis, 1995.pp201-216

21-Ziade (S), Le Culte impériale en Phénicie :"Culte civique ou culte provincial ?".Studia hellenistica, 51, Peeres, Leuven, Paris, 2011.pp593-618

رابعا :الرسائل الجامعية :

1- بالعربية :

1-أيت عمارة ويزة، دور السفينة في التجارة و التوسع الاستيطاني في البحر المتوسط القديم ، رسالة ماجستير في التاريخ القديم ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر، جوان 1995.

2-أشلاف فطومة، الصناعات الحرفية الفينيقية (1200ق.م – 332ق.م)، مذكرة ماجستير في التاريخ القديم ، قسم التاريخ جامعة الجزائر ،2009

3- بن عبد المؤمن محمد، عقائد ما بعد الموت عند سكان بلاد المغرب القديم، أطروحة الدكتوراه في التاريخ القديم، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية 2011-2012

4- مها عيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم " من عصر ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي "، أطروحة الدكتوراه العلوم في تاريخ المغرب القديم، جامعة منتوري، قسنطينة،2009-2010

5- سلاطنية عبد المالك ، المستوطنات الفينيقية – البونية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، قسم التاريخ و الآثار ، جامعة منتوري ، قسنطينة ،2010

6- عباسي عبد الجبار،الكتابة الليبية البربرية في إطار الفن الجداري الصحراوي،دراسة أثرية لمجموعة من الكتابات الصخرية في محيطها الطبيعي والأثري بالتاسيلي ناجر،رسالة ماجستير في علم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر،2005/2004.

7- قعر المثرد السعيد، الزراعة في بلاد المغرب القديم "ملامح النشأة والتطور حتى تدمير قرطاجة سنة 146ق.م"، رسالة ماجيستر في تاريخ القديم، جماعة منتوري، قسنطينة،2007.

8- غانم محمد صغير ، التواجد الفينيقي – البوني في الجزائر ، رسالة الدكتوراه الدرجة (03) في التاريخ القديم و الآثار ، معهد العلوم الاجتماعية ، قسنطينة ، 1981-1982

2-بالأجنبية:

-Nicolas(C), les Ports phéniciens et Puniques, Géomorphologie et Infrastructures Thèse Doctorat, Université Strasbourg II, 2008

خامسا: الموسوعات:

1-بالعربية:

1- أديبسمير، موسوعة الحضارة المصرية، ط1، العربي للنشر والتوزيع،القاهرة، 2000

2- دغيم سميح ، أديان و معتقدات العرب قبل الإسلام ، موسوعة الأديان السماوية و الوضعية ، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت 1995

3-هارفي بورتر، موسوعة التاريخ القديم، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997

4-مجموعة من المؤلفين، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور " مصر القديمة "، لجنة التاريخ والآثار، الهيئة المصرية العامة، 1977

5- نعمة حسن، موسوعة ميتولوجيا و أساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994

2-بالأجنبية:

1- Dummar(J.P), Lebanon, Encyclopédia, Universel Lebanon company, 2004

2- Grande Encyclopédie Larousse, Paris,1971-1976

سادسا : القواميس والأطالس:

1-بالعربية:

1-هنري عبودي ، معجم الحضاراتالسامية ، ط2 ، جروس برس ، طرابلس ، 1991

2-يزبك احمد زكي ، قاموس الجغرافية ،ط1، الطبعة الكبرى الأميرية ، مصر ، 1891

3-مصطفى إبراهيم و آخرون، المعجم الوسيط " مجمع اللغة العربية "، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 2004

4- سامي بن عبد الله المغلوث، أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ، ط6، مكتبة العبيكان ، السعودية 2005

5- سيف الدين الكاتب، أطلس التاريخ القديم، ط3، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، 2009

6-رينهارتدوزي، تكملة المعاجم العربية، المحقق محمد سليم النعيمي، ط1 ، دار الثقافة و الإعلام ، بغداد ، 2000

2-بالأجنبية:

1- André (L.G)-, Dictionnaire de la préhistoire, 2 édit –P.U.F, université saint-joseph-Beyrouth, S.d

2-Fernand(H), Dictionnaire de la civilisation grecque, Edition Hirmer de Munich, Paris, 1966

3-Michel(M), Dictionnaire encyclopédique d'histoire, Bordas, 1978.

سابعا :أعمال الملتقيات المنشورة:

1-بالعربية:

1- يسمينة شايد، نتائج الحفريات الجديدة لعصور ما قبل التاريخ في الجزائر وعلاقاتها بمصر، ندوة الدراسات في أثار الوطن العربي منشورات جمعية الآثاريين العرب، ج4، القاهرة، 2003

2- خطيب العفراء، بعض النماذج من العلاقات والتفاعلات بين شبه الجزيرة العربية والصحراء الكبرى وشمال إفريقيا خلال العصور القديمة، ندوة الدراسات في أثار الوطن العربي، منشورات جمعية الآثاريين العرب ، ج4، القاهرة ، 2004

2-بالأجنبية:

1-Chaker (S) ; l'écriture libyco- berbère " Etat des lieux, déchiffrement et Perspectives linguistique et sociolinguistique, colloque annuel de la shesl, Lyon ENS, Samedi 2 février 2002

2- Fantar (M.H); les phéniciens et leur présence en Afrique du Nord, par de Conférence, S.D

3-Hachid (M) ; Strabon, El- Idrisi, la Guerba et un libyque plus tardif que le V[e]/VI[e]Siècles ? Actes du premier colloque de préhistoire maghrébine, centre national de Recherches préhistoriques anthropologiques et historiques, ministre de la culture, Tamanrasset les 5,6 et 7 novembre ,2007

4- Vandersleyen(G),l'étymologie de phoenix (phénicien),Phoenicia and the East Mediterranean in the first millennium B.C,Studia Phoenicia,V,Proceedings of The conference held in Leuven from the 14th To the 16th of November, 1985

ثامنا : الوابوغرافيا :

-www.herodote.net

- www.amrh.ma

-www .musée – marine .fr

-http://www.esyria.sy/etartus/index

-www.maktoob.com

-http://www.inp.rnrt.tn

-http://mythologica.fr/phenicien/art01.htm

-http://www.revuephenicienne.com

-www.albahethon.com

2- فهرس الأماكن و المدن و المواقع

(أ)

فهرس القبائل و الشعوب :

فهرس المعبودات الوثنية

1- فهرس الأسماء

الملخص

يعتبر موضوع البحرية الفينيقية من أهم المواضيع التي طرحت إشكالية التواصل الحضاري بين الشعوب القديمة التي سكنت ضفتي البحر الأبيض المتوسط، وقد كان للفينيقيين ادوار حضارية في عدة مناطق في العالم، هذا نتيجة تحركاتهم البحرية والبرية ، كما أقاموا جسرا حضاريا بين حوضي البحر الأبيض المتوسط الشرقي والغربي مستفيدين في أواخر الألف الثانية قبل الميلاد من ظروف عسكرية و طبيعية تقنية ، منها تطور تقنيات بناء السفن الملاحة البحرية ،وبذلك أضحت الأساطيل الفينيقية تصل بين ضفاف البحر المتوسط ، خاصة على سواحل شمال إفريقيا ، و قد أشار المؤرخون القدامى عن الحضور الفينيقي في منطقة شمال إفريقيا والتي كان يطلق عليها اسم ليبيا. و قد أسس الفينيقيون عدة مستوطنات في شرقي و غربي المتوسط ومن خلال ذلك ظهرت تأثيرات متبادلة بينهم وبين السكان الأصليين في المجال الاجتماعي والاقتصادي و الديني واللغوي.

الكلمات المفتاحية :

الفينيقيين؛ البحرية الفينيقية؛ البحر الأبيض المتوسط؛ التجارة؛ شمال إفريقيا؛ السكان الأصليين؛ البونيين؛ الديانة؛ الكتابة؛ الزراعة؛ الصناعة.

نوقشت يوم 07 جوان 2015